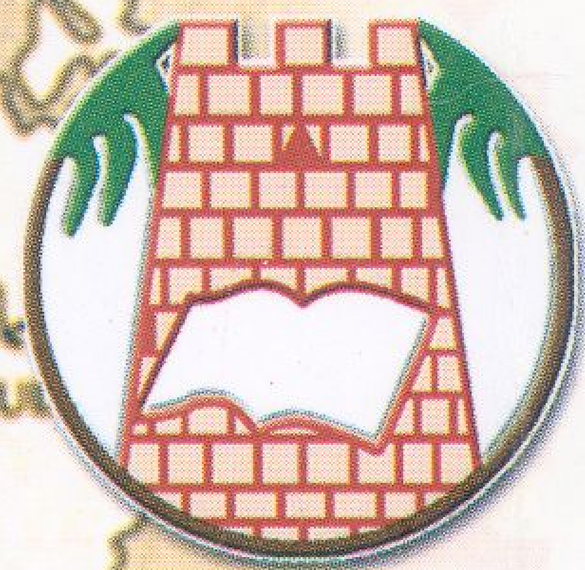


مركز الدراسات و الوثائق

موسوعة الغوص و اللؤلؤ

في مجتمع الإمارات و الخليج العربي قبل النفط

المجلد الثاني

مملكة الغوص و اللؤلؤ و أسباب إندثارها

تأليف
مصطفى عزت هبرة

سلسلة كتاب الأبحاث
(14)

موسوعة

الغوص واللؤلؤ

في

مجتمع الإمارات والخليج العربي قبل النفط

المجلد الثاني
مملكة الغوص واللؤلؤ وأسباب اندثارها

تأليف

مصطفى عزت هبرة

المراجعة التاريخية والتراثية

د . عبد الله الطابور - نجيب عبد الله الشامسي - محمد ماجد السالفة - جمعة خليفة أحمد بن ثالث

تصميم الغلاف وتحرير الصور
محمد عدنان الخواجة

موسوعة الغوص واللؤلؤ – المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم آياته في القرآن الكريم

" إنَّ اللهَ يُدْخِلُ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَاتِ جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ولُؤلُؤاً ولِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ "

صدق الله العظيم

موسوعة الغوص واللؤلؤ — المجلد الثاني

الأمة التي لا ماضي لها

لا حاضر لها

ولا مستقبل

القائد الخالد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

موسوعة الغوص واللؤلؤ — المجلد الثاني

الإهداء

إلى معلمتي الرائدة .. ومنارتي الخالدة

ومعلمة الأجيال وقدوتهم

إلى والدتي الرؤوم حفظها الله ورعاها

وإلى المعلمة المربية .. شريكة حياتي الوفية .. زوجتي

وإلى كل مربياتنا العظيمات من أمهاتنا وجداتنا

اللائي تجرعن مرارة شقاء الماضي

لننعم بشهد الحاضر ونعيمه

مصطفى

شكر خاص

إلى الرجل الإنسان المؤمن بربه

المخلص لوطنه .. ولأمته .. ولشعبه

الوفي لفكر ومنهج القائد الخالد زايـــد طيب الله ثراه

إلى سمو الشيخ سعود بن صقر القاسمي

ولي عهد ونائب حاكم رأس الخيمة حفظه الله ورعاه

لرعايته الكريمة السامية لهذا العمل

بطاقة شكر

أعتقد أن بطاقة الشكر الأولى، التي يتوجب على كل باحث في التراث أن يسطرها، يجب أن تكون موجهةً لحافظ التراث وراعيه، القائد الخالد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

أما بطاقة الشكر الثانية، فإنه يسعدني ويشرفني أن أتقدم بها إلى حضرة صاحب السمو الوالد الشيخ صقر بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم إمارة رأس الخيمة حفظه الله ورعاه، الذي لا يدخر جهداً في سبيل خدمة نور العلم والإيمان في شعبه وأمته، والذي تفضل برعايته الكريمة لهذا العمل كي يرى النور .

وبطاقة الشكر الثالثة، يسعدني ويشرفني أن أتقدم بها بكل الحب والتقدير والوفاء، لسمو الشيخ سعود بن صقر القاسمي، ولي العهد، ونائب الحاكم، رئيس مركز الدراسات والوثائق حفظه الله؛ لرعايته ومتابعته الشخصية الكريمة المباشرة لجميع مراحل العمل بهذه الموسوعة .

وبطاقة الشكر الرابعة أتقدم بها للمجمع الثقافي بأبوظبي الذي عني بوثائق كنوز تراث وتاريخ الإمارات وكامل منطقة الخليج العربي، إصداراً، وجمعاً، والذي فتح لي أبواب خزائن كنوزه طيلة سنوات

عملي بهذه الموسوعة، مثلما فعل ويفعل مع كل الباحثين والمفكرين.
وبطاقة الشكر الخامسة أتقدم بها لجمعية ابن ماجد للفنون الشعبية والتجديف في إمارة رأس الخيمة، رئيساً، وإدارة، وأعضاء؛ لأنها كانت المحطة الأولى التي انطلقت منها لإنجاز هذا العمل .

وبطاقة الشكر السادسة أتقدم بها لسعادة الأخ الدكتور فالح حنظل مؤلف معجم الغوص واللؤلؤ في الخليج العربي الذي يعتبر بحق منارة لكل باحث يعمل في مجال الغوص واللؤلؤ والتراث البحري .

وبطاقة الشكر السابعة أتقدم بها لجمعية الإمارات للغوص التي زودتني ببعض الوثائق الخاصة بالغوص، ولمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ولمركز زايد للتراث والتاريخ، ولدائرة جمارك دبي، ولنادي أبوظبي الدولي للرياضات البحرية، ولمركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري برأس الخيمة الذي أعمل فيه، والذي وفر لي العديد من المراجع، ولكافة مراكز توثيق وإحياء التراث في الدولة لقيامهم بتوثيق تراث وتاريخ الإمارات العربية المتحدة وكامل منطقة الخليج العربي .

وبطاقة الشكر الثامنة أتقدم بها لكل السادة الباحثين الذين كتبوا في تاريخ الغوص واللؤلؤ في الإمارات والخليج العربي، والذين نهلت من مراجعهم الثرية لتأليف هذه الموسوعة .

وبطاقة الشكر التاسعة أتقدم بها لأخوتي وزملائي الباحثين الذين قاموا بمراجعة وتدقيق هذه الموسوعة، وهم السادة :

- المؤرخ الدكتور عبد الله الطابور .
- الأديب المؤرخ الأستاذ نجيب عبد الله الشامسي .
- المؤرخ والخبير التراثي السيد جمعة خليفة بن ثالث .
- المؤرخ والخبير التراثي السيد محمد ماجد السالفة .

وبطاقة الشكر العاشرة والأخيرة أتقدم بها لكل السادة القائمين على كافة مواقع الإنترنيت الخاصة بالتراث، والغوص، واللؤلؤ، والرياضات البحرية، ولشركة الخليج للرياضات البحرية بأبوظبي، وللغواصين الجدد السادة :

عبد الله الكندي	إماراتي الجنسية .
فراس الكبرة	فلسطيني الجنسية .
ناصر حاجي	إماراتي الجنسية .
سهيل عبدو الزعبي	سوري الجنسية .

لما قدموه لي من وثائق ومعلومات .

والله ولي التوفيق .

المؤلف

موسوعة الغوص واللؤلؤ – المجلد الثاني

تقديم

بقلم الدكتور علي عبد الله فارس

مدير عام مركز الدراسات والوثائق

منذ اليوم الأول لولادة مركزنا بموجب المرسوم الأميري رقم / ٣ / لعام ١٩٨٦ ونحن نسعى جاهدين لإعادة كتابة تاريخ الإمارات وكامل منطقة الخليج العربي بصدقٍ، ووضوحٍ، وأمانةٍ علميةٍ مطلقةٍ، وعلى هذا الأساس أصدرنا العديد من الكتب والمؤلفات ضمن إطار سلسلتي : " كتاب الأبحاث " و " الندوات التاريخية " ومن هذا المنطلق نتابع إصدار الكتب والمؤلفات ضمن إطار المسار الذي رسمه لنا مرسوم إنشاء المركز .

ولكي نستكمل كافة جوانب تاريخ منطقة الخليج العربي، قررنا أن نكتب عن حقبةٍ تاريخيةٍ هامةٍ في حياة الإمارات ومنطقة الخليج العربي، والتي نعني بها حقبة ماقبل اكتشاف واستثمار النفط، أو بعبارةٍ أخرى " حقبة الغوص واللؤلؤ " .

وبناءً عليه، وبعد دراسةٍ مستفيضةٍ قررنا أن نصدر كتاباً يتحدث عن تلك الحقبة التاريخية، وبدأنا العمل برعايةٍ كريمةٍ من صاحبي السمو الوالد الشيخ صقر بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم رأس الخيمة، والشيخ سعود بن صقر القاسمي ولي العهد نائب الحاكم، ورئيس المركز حفظهما الله ورعاهما، وبدأ المؤلف الباحث السيد مصطفى عزت هبرة عمله

الميداني بتدوين وتوثيق ذاكرة الآباء والأجداد من النواخذة، والغواصين، ورجال البحر، والتي شكلت أولى صفحات كتاب الغوص واللؤلؤ الذي تحول فيما بعد إلى الموسوعة التي بين أيديكم .

وعلى الرغم من تواضع إمكانات مركزنا، صممنا أن نقدم للقارئ العربي الكريم، وللمكتبة العربية، عملاً تاريخياً يحق لنا أن نعتز به ونفخر، وذلك بفضل رعاية سمو الشيخ سعود بن صقر القاسمي ولي العهد، ونائب الحاكم، ورئيس المركز حفظه الله ورعاه، الذي تبنى دعم هذه الموسوعة منذ اللحظة الأولى لانطلاقتها، وطيلة فترة تأليفها التي تجاوزت عشر سنوات .

إن هذه الموسوعة التي صارت بين أيديكم تشكل بحق مرجعاً شاملاً، دقيقاً، أميناً لتاريخ الإمارات ومنطقة الخليج العربي ماقبل اكتشاف واستثمار النفط، مثلما تشكل منهلاً عذباً غزيراً للباحثين والدارسين وطلبة العلم وأساتذة الجامعات .

نرجو من الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا في إصدارنا هذا، مثلما وفقنا في إصداراتنا السابقة، ونعدكم أن نظل دائماً عند حسن ثقتكم بنا؛ لنقدم لكم، وبالتعاون معكم، أفضل روافد المكتبة العربية بعونه تعالى .

والله ولي القصد والتوفيق .

١٠ / ٤ / ٢٠٠٤ .

هذه الموسوعة

على مدى قرون مديدة موغلة في عمر التاريخ، كان اللؤلؤ يشكل الثروة الرئيسة لمنطقة الخليج العربي التي تميزت، ولاتزال تتميز بموقعها الجغرافي الاستراتيجي الهام، وعلى مدى زمن تلك القرون الغابرة، كان الغوص لصيد اللؤلؤ مهنة مهن أهل الخليج العربي، التي شكلت في ذلك الوقت المصدر الرئيس للدخلين القومي والفردي، والتي قامت عليها العديد من الحرف اليدوية، والصناعات التقليدية، وفي مقدمتها صناعة السفن، ولذلك تبوأت تلك المهنة موقع الصدارة في مجمل شؤون الحياة اليومية لأبناء منطقة الخليج العربي، اقتصادياً، وسياسياً، واجتماعياً .

وللتعريف بتاريخ تلك الحقبة من الزمن الغابر، وللتعريف باللؤلؤ ومهنة الغوص التي شكلت العمود الفقري للذاكرة الشعبية الخليجية، التي نسج الناس حولها العديد من الروايات والحكايات، التي بلغت في بعض الأحيان حدَّ الأسطورة، ظهرت في مطلع القرن العشرين بعض المؤلفات التي تحدثت عن اللؤلؤ، وأحجامه، وأوزانه، وأسعاره، ومن هذه المؤلفات كتاب ثمين طبع على نفقة التاجر سعيد بن محمد المدفع، أهداني إياه سلطان بن سيف المدفع – رحمه الله – عنوانه ((اللآلئ)) والذي شكل فاتحة إصدارات هامة في هذا المجال، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- (**الجوهر العالي في حساب وزن اللآلي**) للسيد هاشم بن السيد رضا الهاشمي .

- (**الغوص في الكويت والخليج العربي**) للسيد سيف مرزوق الشملان .
- " **نالية الغوص** " التي أصدرها عام ١٩٣٩ الشيخ مانع بن راشد آل مكتوم – رحمه الله – (خارطة بحرية توضح " هيرات " أو مواقع مغاصات اللؤلؤ في الخليج العربي) .

وإلى جانب هذه الإصدارات الهامة، هنالك العديد من وثائق الغوص التي تعتبر مصدراً خصباً للباحثين في هذا المجال الرحب، كالروزنامات، ودفاتر الغوص، ويوميات سفن الغوص التي تتضمن وثائق المبايعات، والمنازعات، والتحكيم، ويوميات النواخذة، والغواصين، والبحارة .

لقد تعمدت الحديث عن تاريخ الغوص في الإمارات وكامل منطقة الخليج العربي، لأمهد الطريق لتقديم هذه الموسوعة القيمة التي بين أيدينا، والتي أعتقد أنها عمل مفيد يستحق الثناء والتقدير؛ لأنه استغرق وقتاً طويلاً في الدراسة والتوثيق والتبويب، ولأنه بحث بأمانة في فصول مجلديه، وفصولهما الأربعة عشر، كامل جوانب حياة مجتمع الإمارات والخليج العربي في مرحلة ما قبل اكتشاف واستثمار النفط، أي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ، اقتصادياً، واجتماعياً، وثقافياً، وصحياً، بدءاً من هوية وخصائص الخليج العربي ومغاصاته، ومحاره، وكيفية تكوين اللؤلؤ، وأسمائه، وأصنافه، وأوزانه، ومعاييره، وأسواقه، وتجاره، وتجارته، مروراً بمواسم الغوص، ووظائف بحارته، وأدواته، ومخاطره، وفوائده، وسفنه، وأهم صانعيها،

ومروراً باللؤلؤ الصناعي، واللؤلؤ المستنبت، ومزارعه، وأنواعه، وصولاً إلى الغوص في الألغاز والأمثال الشعبية، والنهمات، وأغاني البحر والبر .

ومع أن هذه الموسوعة التي تستحق منا التقدير والثناء تشكل إضافةً رائدةً للمكتبة العربية؛ لأنها تعتبر مرجعاً أميناً وشاملاً لمجتمع الإمارات والخليج العربي في مرحلة ما قبل اكتشاف واستثمار النفط، ومنهلاً هاماً وخصباً لكل الباحثين في مجال الغوص واللؤلؤ، إلا أننا نظل بحاجة ماسة لمتابعة عملية استنطاق التاريخ، من خلال استنطاق وتحفيز الذاكرة الشعبية، التي لا تزال ثريةً غنيةً بمعلوماتها الصادقة والمفيدة .

والله ولي الأمر والتوفيق .

المؤرخ

د . عبد الله الطابور

موسوعة الغوص واللؤلؤ — المجلد الثاني

إذا كانت العقود الحالية التي بدأت مع اكتشاف واستثمار النفط في منطقة الخليج العربي في الستينات من القرن المنصرم يمكن تسميتها " عصر النفط " فإن عقود الزمن التي سبقت عصر النفط تسمى " عصر اللؤلؤ " وعلى هذا الأساس فإن ثروة النفط في الزمن المعاصر، توازي ثروة اللؤلؤ في الزمن الغابر، وتقنيات اكتشاف النفط المعقدة في الزمن المعاصر، توازي مخاطر مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ في الزمن الغابر، كما أن صناعة النفط في الزمن المعاصر، توازي حرفة تصنيع حبات اللؤلؤ في الزمن الغابر .

وإذا كانت حبات اللؤلؤ البراقة الجذابة التي كانت تسمى " عيون السمك " قد تألقت على صدور الثريات الحسان في كل أنحاء الدنيا، فإن غواصي عصر اللؤلؤ الذين اصطادوا تلك الحبات من أعماق البحر، والبحارة الذين قاموا بفرز ومعالجة تلك الحبات، قد تجرعوا الحنظل والعلقم في عصر اللؤلؤ، وبالتالي فإن تسليط الضوء على مفردات وتفاصيل مفاصل تلك الحقبة من التاريخ، سوف تسمح لنا برصد إيقاعات نبض حياة مجتمع الإمارات والخليج العربي في تلك الحقبة من الزمن :

- بمرارتها التي تمثلت بالتعامل مع قسوة حياة البحر ومناخه الحار وأمواجه العاتية .
- وبمخاطرها التي تمثلت بالتعامل مع أهوال الأعماق والأسماك السامة والمفترسة .
- وبطهارتها التي تمثلت بالمحبة والمودة والتآلف والعطاء بلا حدود، فالفرد لبنة في البناء الاجتماعي القوي المتماسك، والمجتمع قلعة كل أفراده العاملين فيه من أجل مستقبله كخلية النحل .

- وبانضباطها المهني الهرمي على متن سفينة الغوص، الذي انتقل إلى انضباطٍ اجتماعي في الأحياء والبيوت والأسر، فالكبير يعطف على الصغير ويحبه، والصغير يوقر الكبير ويطيعه ويحترمه .

إن عصر اللؤلؤ يجسد الصورة الأنقى لتطور مجتمع متماسك متآزرٍ متعاضدٍ رغم أشواك معاناته المريرة وفقره المدقع، وذلك بفضل إيمان ذلك المجتمع بربه، وتسليمه بالقضاء والقدر، واعتزازه بهويته، وشموخه، وكرامته، ليسطر بذلك ملحمة تاريخية نبيلة سامية لم يتمكن عصر النفط، ولا بقية العصور والمجتمعات الأخرى من تسطيرها، ولا أبالغ إن قلت إن معظم جوانب ذلك العصر المشرقة التي يحق لنا أن نفاخر بها، يجهلها العديد من أبناء مجتمع الإمارات، والخليج العربي، وأبناء مجتمع الوطن العربي الكبير .

إن موسوعة الغوص واللؤلؤ في مجتمع الإمارات والخليج العربي لمؤلفها الباحث مصطفى عزت هبرة، التي بين أيديكم، والتي تشكل بحق رافداً علميا وتاريخياً للمكتبة العربية، ومرجعا رائداً للباحثين والدارسين من أساتذة الجامعات، وطلاب العلم، والمهتمين بتاريخ مجتمع الإمارات والخليج العربي، وعشاق عصر اللؤلؤ، تستحق التقدير والثناء، ليس لحجم وزمن الجهود التي بذلها مؤلفها لتقديمها لنا على هذا النحو وحسب، وإنما لدقة معلوماتها التاريخية، ولأمانة تلك المعلومات التي أنصفت آباءنا وأجدادنا الذين ضحوا من أجلنا .

رحم الله الآباء والأجداد، ووفق الله مؤلف هذه الموسوعة، وجعلها في ميزان حسناته، وجزاه خيراً، وأعانه على المزيد من العطاء .

الأديب المؤرخ
نجيب عبد الله الشامسي

هذه الموسوعة

عندما بدأت قراءة " **موسوعة الغوص واللؤلؤ في مجتمع الإمارات والخليج العربي** " لمؤلفها الباحث مصطفى عزت هبرة، لم أكن أفعل ذلك لمجرد القراءة وحسب، وإنما لمراجعة وتدقيق كافة المعلومات والمصطلحات التراثية التي وردت في صفحات مجلديها، ولذلك كنت أتفحص ما ورد في تلك الصفحات الثرية سطراً سطراً، وكلمةً كلمةً، حتى تمكنت من تسجيل ملاحظةٍ واحدةٍ تتعلق بوظائف الفطام، والخاصة بمعادلة الضغط الواقع على أذن الغواص، ومن اكتشاف خطأ مطبعيٍ واحدٍ يتعلق باسم بلدة الحيرة التابعة لإمارة الشارقة، ودون ذلك فإنني أثمن هذه الموسوعة، وأسجل تقديري لمعلوماتها القيمة التي درست بعمقٍ وشموليةٍ كافة جوانب حياة مجتمع الإمارات والخليج العربي في زمن الغوص على اللؤلؤ .

والله ولي القصد والتوفيق .

محمد ماجد السالفة

عضو مجلس إدارة جمعية الإمارات

للغوص والتراث

موسوعة الغوص واللؤلؤ — المجلد الثاني

هذه الموسوعة

منذ زمن بعيد وأنا أتمنى أن تحتضن المكتبة العربية موسوعةً شاملةً تتحدث عن طبيعة جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمجتمع الإمارات ومنطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ، وعندما اطلعت على مجلدي " **موسوعة الغوص واللؤلؤ في مجتمع الإمارات والخليج العربي** " لمؤلفها الباحث مصطفى عزت هبرة أدركت أن الله سبحانه وتعالى قد حقق أمنيتي في موسوعة تصور بأمانة مطلقة تفاصيل حياة الآباء والأجداد ونضالهم الدؤوب لبناء المستقبل الأفضل في ذلك الزمن الصعب .

رحم الله الآباء والأجداد، وبارك بالمؤلف، وجزاه خيراً عن جهوده الحميدة في سبيل إصدار هذه الموسوعة القيمة .

جمعة خليفة أحمد بن ثالث

عضو مجلس إدارة جمعية الإمارات

للغوص والتراث

الفصل الأول

تجارة اللؤلؤ

موسوعة الغوص واللؤلؤ – المجلد الثاني

تمهيد :

كنا قد تحدثنا في المجلد الأول من هذه الموسوعة عن اللؤلؤ، وأصنافه، ومواصفاته، ومغاصاته، وعن كيفية تكوينه داخل أصداف المحارة في قاع البحر، كما تحدثنا عن اللؤلؤ في التاريخ، وعن معاني ومدلولات اللؤلؤ في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، واللغة العربية، وعن أنواع أصداف ومحار اللؤلؤ، وعن الاستخدامات العلمية والغذائية لهذه الأصداف والمحار، وتحدثنا عن دانات اللؤلؤ، وعن طقوس ومراحل ومواسم الغوص لصيد اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي، وعن أدوات ووظائف تلك المهنة الشاقة الخطرة التي امتدت لآلاف السنين، وعن السفن، وأنواعها، وصناعها، ونواخذها، وعن مجتمع الخليج العربي المسلم الذي احتضن حقبة الغوص لصيد اللؤلؤ مثلما احتضنته تلك الحقبة المريرة البهيجة، حتى صار يحق لنا أن ننسب تلك الحقبة لأصدافها، ومحارها، ولؤلؤها، ولأبطالها الأشاوس الذين عاشوها وعايشوها وسطروا ملاحم آمالها وآلامها بنضال

أرواحهم وأجسادهم، فنسميها بكل الفخر والاعتزاز " حقبة الغوص لصيد اللؤلؤ " .

وفي هذا المجلد سوف نتحدث بإذن الله عن تجارة اللؤلؤ، وعن حالات ومراحل ودوائر وأسواق هذه التجارة، وأبرز رجالاتها تجاراً وطواشين في الإمارات والخليج العربي، وعن أمراض ومصاعب ومخاطر وفوائد الغوص، وعن الصراعات السياسية والاقتصادية الداخلية والخارجية في زمن الغوص .
كما سنتحدث عن وحدة الخليج العربي في زمن الغوص، وعن أنواع وأصناف وخصائص اللؤلؤ المستنبت الأبيض، والأسود، والملون : اللؤلؤ الياباني – الأسترالي – التاهيتي – الصيني، وعن أنواع وأصناف وخصائص اللؤلؤ المصنع مخبرياً " الصناعي المقلد " وعن أسباب اندثار مملكة الغوص واللؤلؤ.
وفي هذا المجلد سوف نتحدث أيضاً عن الجهود الحميدة لإحياء تراث الغوص في الإمارات " رحلات الغوص الحديثة " وعن التطور التاريخي لأدوات ومعدات رياضة الغوص

وعن فوائد ومراكز هذه الرياضة الممتعة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وعن سياحة الغوص في الإمارات .

ثم نختتم هذا المجلد بالحديث عن الأغاني والنهمات والألغاز والأمثال الشعبية في زمن الغوص .

ومع أننا تلقينا من بعض الأخوة المؤرخين والمفكرين والباحثين الذين اطلعوا على هذه الموسوعة بمجلديها ما يثلج الصدر، إلا أننا نعتقد أنها لم تصل بعد إلى درجة الكمال الذي نرنو إليه ونطمح في بلوغه، والكمال لله وحده، ولذلك فقد بدأنا العمل لاستكمال النقص الذي نعتقد وجوده فور دخول هذين المجلدين أبواب مطبعة الإمارات برأس الخيمة، راجين من الله سبحانه وتعالى أن يأخذ بيدنا، ويعين عزيمتنا لاستكمال هذه الموسوعة، وللقيام بأعباء رسالتنا التي نذرنا أنفسنا لها لإصدار مؤلفات أخرى تفيد الأهل والوطن، نسأل الله العلي القدير أن تكون في ميزان حسناتنا يوم ننعم بلقاء وجهه الكريم .

حالات ملكية سفينة الغوص

وفي الزمن الغابر من تاريخ منطقة الخليج العربي

في مرحلة ما قبل اكتشاف واستثمار النفط

وفي الزمن المرير البهيج في تاريخ منطقة الخليج

في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ .

كانت ملكية سفينة الغوص تخضع إلى حالةٍ من إحدى الحالات التالية : [١] – [٢]

١ – الحالة الأولى – الخلوية :

وهي الحالة التي يكون فيها ربان السفينة " النوخذة " مالكاً لسفينة الغوص، وفي هذه الحالة يقوم الربان بإعداد سفينته،

١ – د . سالم راشد تريس القمزي – المرجع السابق .

٢ – نجيب عبد الله الشامسي – الإمارات في سفينة الماضي .

وتمويل رحلة الغوص، والتكفل بنفقات السفينة والبحارة، وبالمقابل تكون عائدات هذه الرحلة تحت تصرف الربان .

٢ – الحالة الثانية – الحلالية :

وهي الحالة التي يكون فيها تاجر اللؤلؤ " الطواش " مالكاً لسفينة الغوص، حيث يقوم هذا التاجر بإعداد السفينة، وتمويل رحلة الغوص، والتكفل بنفقات السفينة والبحارة، والتكفل بنفقات وأجور الربان أيضاً، وبالمقابل تكون عائدات هذه الرحلة تحت تصرف هذا التاجر .[٣]

٣ – الحالة الثالثة – المستأجرة :

وهي الحالة التي يقوم فيها شخص ما باستئجار سفينة الغوص من شخص آخر، فيخصص نصيب وأجرة محددة من عائدات رحلة الغوص للمؤجر، تقدر بخمس المحصول، تسدد بعد العودة من رحلة الغوص، وبعد استكمال عمليات بيع اللؤلؤ .

---

[٣] – راشد الزياني – الغوص والطواشة .

وضع اللؤلؤ بعد القفـّال

وقبل المتاجرة به بين الأسواق والتجار

سبق وقلنا في المجلد الأول من هذه الموسوعة إن حاصل اللؤلؤ على متن سفينة الغوص يكون لدى النوخذة فقط، وهو الرجل الوحيد المفوض بعقد صفقات البيع، وإن كانت بعض تلك الصفقات تعقد بحضور بعض بحارة السفينة، وخاصة الغواصين منهم، بل وبمشاركتهم أحياناً، وفق النظام التالي الذي يحدد نسب كل حالةٍ من الحالات التالية : [٤]–[٥]

---

[٤] – د . سالم راشد تريس القمزي – مواقع صيد اللؤلؤ في دولة الإمارات العربية المتحدة .

[٥] – روايات الذاكرة الشعبية .

الحالة الأولى

تاجر اللؤلؤ المموِّل لرحلة الغوص

في هذه الحالة يقوم النوخذة بتسليم المموِّل كامل محصول اللؤلؤ عن طريق البيع، ولكن بسعرٍ خاصٍ يقل عن سعر السوق، بنسبةٍ تتراوح بين / ١٥-٢٠٪ / ثم يتم تقسيم النسبة المتبقية / ٨٠ - ٨٥٪ / بين صاحب السفينة والنوخذة والبحارة، وذلك بعد حسم المبلغ الذي دفعه الممول للنوخذة سلفاً.

الحالة الثانية :

التاجر المموِّل لرحلة الغوص

جرت العادة أن يكون مموّل سفينة الغوص أحياناً من التجار العاملين في مجالاتٍ أخرى غير مجال تجارة اللؤلؤ، وفي هذه الحالة يحق للنوخذة بيع اللؤلؤ لأي تاجر لؤلؤ، إذا لم يتمكن الممول من دفع قيمة اللؤلؤ، وبعد أن يقوم النوخذة بسداد

كافة الديون المترتبة عليه للممول، تتم عملية تصفية حساب رحلة السفينة .

الحالة الثالثة :

حالة النوخذة الممول

إذا كان النوخذة هو ممول سفينته، فإنه يقوم ببيع اللؤلؤ للتاجر الذي يريد، وبالسعر الذي يريد، ويقرر أنه السعر الأعلى والأنسب، سواء في سوق الإمارة، أو في الأسواق الأخرى .[٦] _ [٧] _ [٨] _ [٩]

---

٦ – سيف مرزوق الشملان – تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي .

٧ – علي إبراهيم الدرورة – ملامح من تاريخ اللؤلؤ في الخليج العربي .

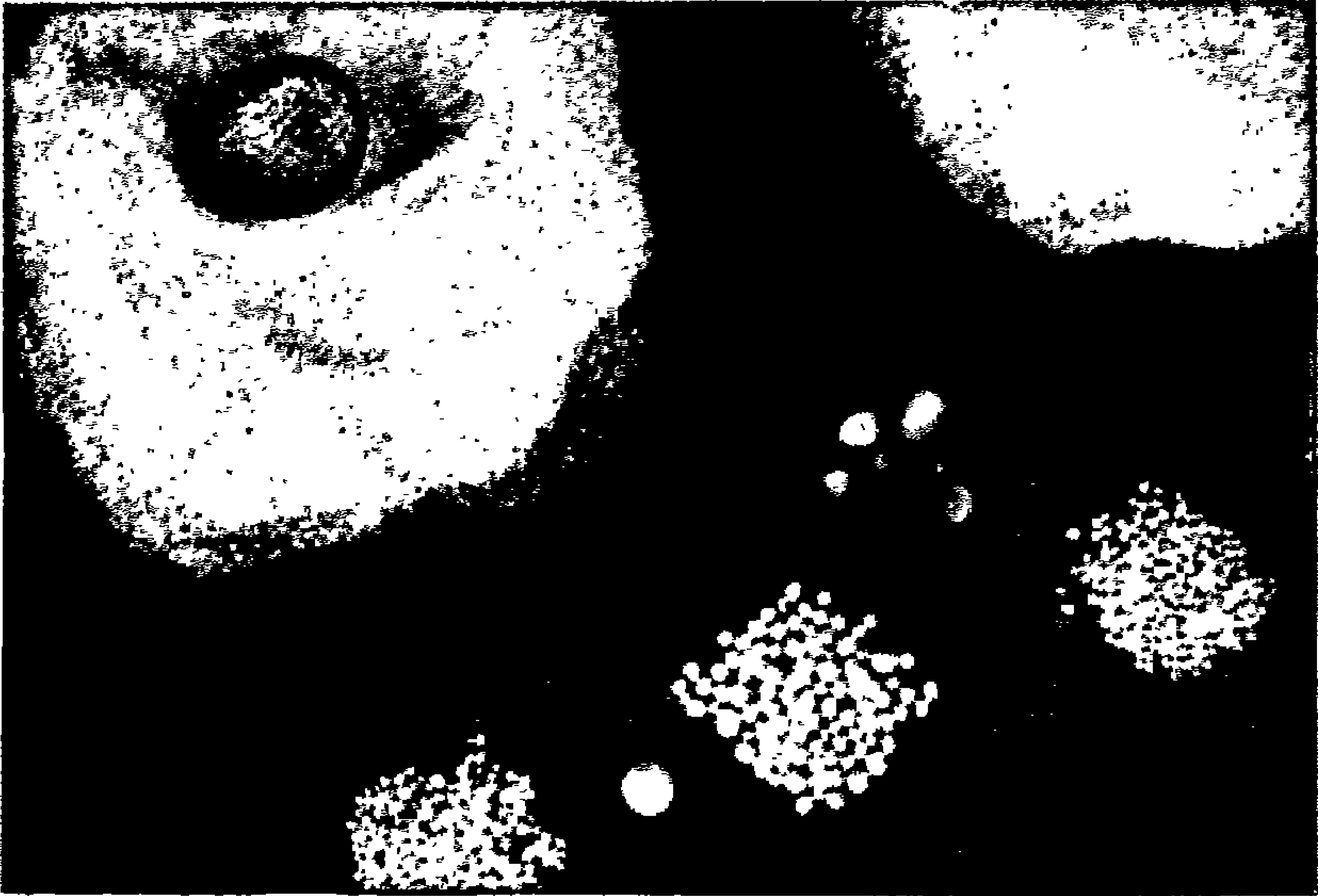
٨ – د . سالم راشد تريس القمزي – المرجع السابق .

٩ – نجيب عبد الله الشامسي – الإمارات في سفينة الماضي .

دوائر تجارة اللؤلؤ

- بعد أن ينتهي الغواصون من عملية استخراج اللؤلؤ من قاع البحر .
- وبعد أن ينتهي البحارة من فتح المحار وجمع اللؤلؤ لدى النوخذة الذي يقوم بجمعه في صرةٍ خاصةٍ من القماش تسمى (**تبــــرة**) .
- وبعد أن تجمع اللآلئ الكبيرة في صرةٍ خاصةٍ بها .

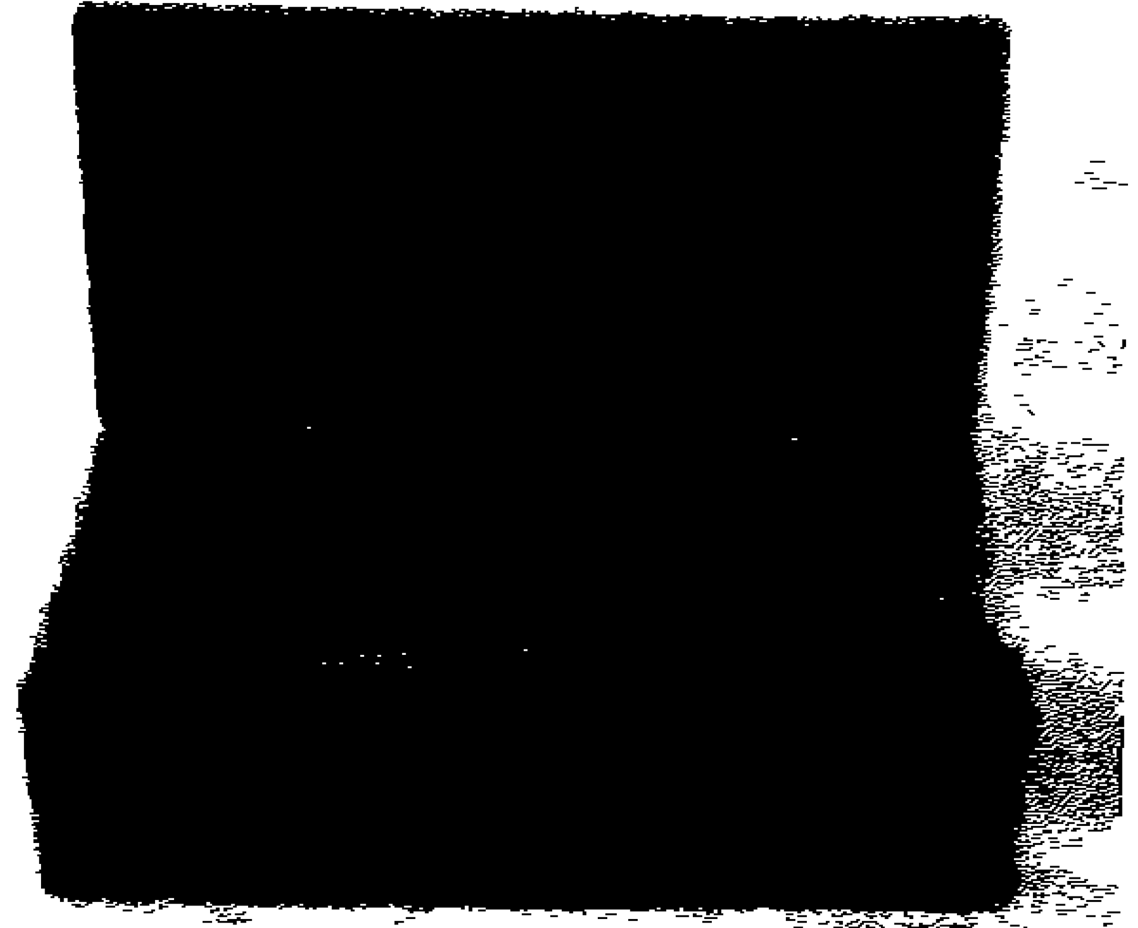
الصورة الملونة رقم / ١ /



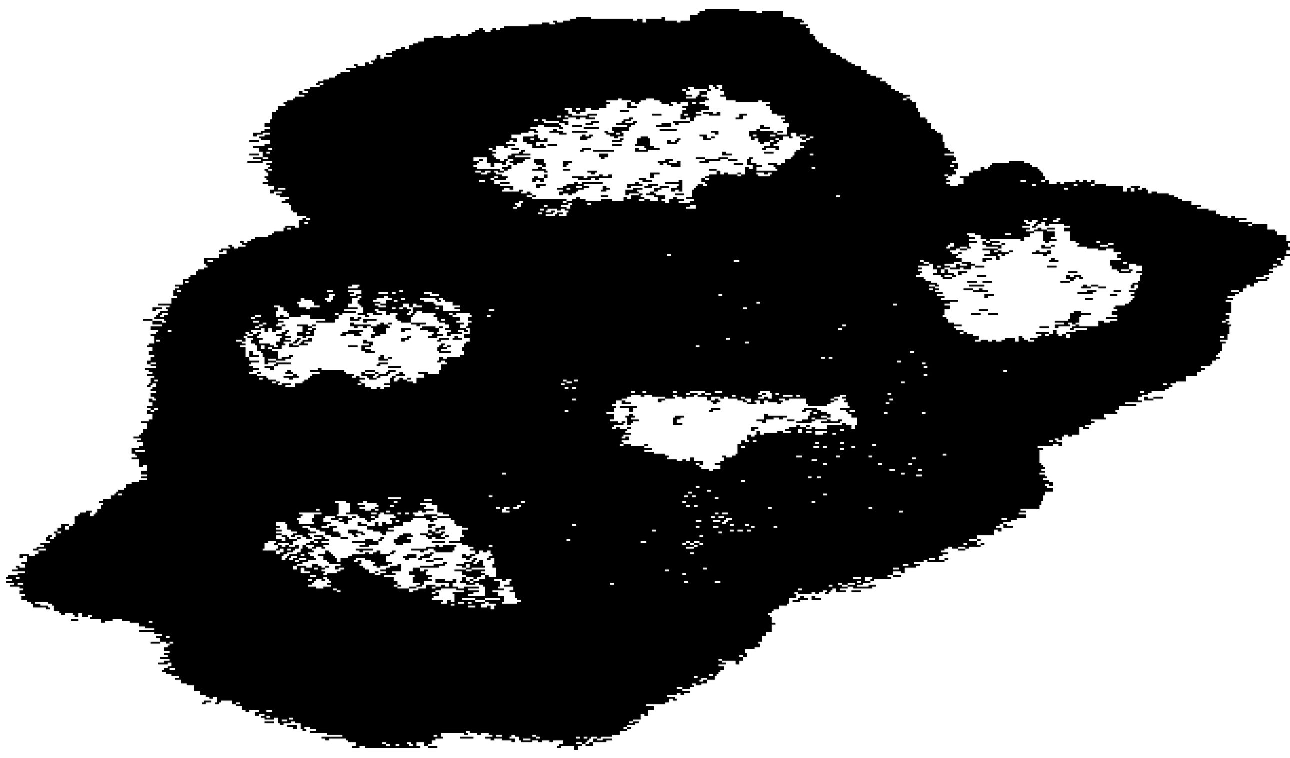
حاصل اللؤلؤ

- وبعد أن تجمع جميع هذه الصرر في صندوقٍ خاصٍ ذي قفلٍ خاصٍ يحمل مفتاحه النوخذة فقط .

الصورة الملونة رقم / ٢ /



صندوق اللؤلؤ " البشتختة "



صرار اللؤلؤ

- وبعد نهاية موسم الغوص في يوم " القُفَّال " الذي يفترض أن يكون عادةً في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر تقريباً لا تحديداً .[١٠]

- وبعد أن يقوم النوخذة بفتح صندوق اللؤلؤ أمام بحارته؛ ليعرض عليهم اللؤلؤ الذي حصلوا عليه في موسمهم صرةً صرةً، ويوماً بيوم .

[١٠] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – القفال – صفحة / ٣٧١ / و كيفية حفظ اللؤلؤ على متن سفينة الغوص صفحة / ٤٤٢ / .

- وبعد أن يجمع حاصل هذه الصرار مجتمعةً في صرةٍ كبيرةٍ واحدةٍ من القماش اللين الأحمر اللون والتي يغلقها أمام الجميع بإحكامٍ تامٍ بعقد جميع أطرافها، ثم بقص ما تبقى من الأطراف، لتبدو وكأنها مختومة بالشمع الأحمر .
- وبعد وصول السفينة إلى البر، تبدأ عملية تجارة اللؤلؤ محلياً، ثم إقليمياً في أسواق منطقة الخليج العربي، ثم عالمياً، فيقوم النوخذة بعرض مخزونه من اللؤلؤ للتسويق والمساومة المحلية، أو يقوم بنقله إلى الأسواق الخليجية والعالمية للمضاربة والمزايدة، وهكذا يعبر اللؤلؤ عدة مراحل تسويقية، تبدأ في الأسواق المحلية، ثم في الأسواق الخليجية، ثم في الأسواق العالمية، وإلى جانب هذه المراحل التسويقية كان اللؤلؤ يمر بعدة دوائر تجاريةٍ أيضاً، تبدأ من دائرة الطواش : [١١] _ [١٢] _ [١٣] _ [١٤]

---

[١١] - سيف مرزوق الشملان – تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي .

[١٢] - علي إبراهيم الدرورة – ملامح من تاريخ اللؤلؤ في الخليج العربي .

[١٣] - د . سالم راشد تريس القمزي – المرجع السابق .

[١٤] - عبد الله خليفة الشملان – لؤلؤ البحرين .

الدائرة الأولى

دائرة الطواشة " الطواش "

(الطوَّاش) هو تاجر اللؤلؤ الذي كان يلحق بسفن الغوص وهي تعمل فوق مغاصات اللؤلؤ في عرض البحر خلال موسم الغوص الكبير، وكان الطوَّاشون يتنقلون بين سفن الغوص على متن سفنهم الفاخرة نسبياً، أو على متن قوارب صغيرة خفيفة الحركة تسمى " القلص " أو على متن سفنٍ خشبيةٍ تدعى " تشاشيل " وهي أشبه بالأسواق المتنقلة بين المغاصات والسفن؛ لأنها كانت تحمل وتبيع الماء، والتمر، والأرز، وبعض الحاجيات والمواد واللوازم الأخرى التي تحتاجها سفن الغوص وبحارتها، وبالمقابل كان الطواش يعقد الصفقات لشراء اللؤلؤ من النواخذة خلال موسم الغوص، أو بعد نهايته والعودة إلى اليابسة، أي بعد القفال، أما طرق شراء اللؤلؤ فكانت تختلف من طواش إلى آخر، مثلما تختلف عمليات عرض اللؤلؤ للبيع من نوخذةٍ إلى آخر .

الدائرة الثانية

دائرة الدلالة " الدلال "

(الدلال) في مجال العمل التجاري هو الوسيط، أو السمسار، وبالتالي فهو الشخص الذي لا يملك بضاعةً، لكنه يملك تفويضاً ببيع بضاعةٍ ما، بسعرٍ ما، يعرفه هو وصاحب البضاعة الذي خوله حق التصرف بالبضاعة في المزايدات، وقد يفوض الدلال في إبرام عقود بيع وشراء بضاعةٍ ما من الطرفين المتبايعين لقاء مبلغٍ يتفق عليه . [١٥]

وقد اشتهرت مهنة الدلال أو الدلالة في تجارة اللؤلؤ، واتصف صاحبها بالذكاء، والفطنة، وسرعة البديهة، وبعد النظر الذي يمكنه من تقريب وجهات النظر بين الطرفين المتعاقدين، أو المتبايعين، ثم ارتبطت مهنة الدلالة بالمجالات التجارية الثمينة، كتجارة السيارات، والعقارات، والأسهم، والسندات، والأحجار الكريمة .. إلخ .

---

[١٥] – د . سالم راشد تريس القمزي – مواقع صيد اللؤلؤ وتجارته في دولة الإمارات العربية المتحدة .

وفي مجال تجارة اللؤلؤ كان الدلال يتوسط بين الطواش والنوخذة، أو بين الطواش والتاجر، أو بين النوخذة والتاجر، وخاصةً في عمليات المتاجرة بحبات اللؤلؤ الثمين، فيسعى إلى تقريب وجهات النظر، وتضييق فجوة الخلاف، كما كان الدلال يقوم برحلات سفر تجاريةٍ بالاتفاق مع أحد تجار اللؤلؤ؛ لعرض، أو لشراء اللؤلؤ لحساب ذلك التاجر . [١٦] – [١٧]

---

[١٦] – سيف مرزوق الشملان – المرجع السابق .

[١٧] – الصادق محمد سليمان – اللؤلؤ في الخليج .

الدائرة الثالثة

دائرة تاجر اللؤلؤ الفعلي

تاجر اللؤلؤ الفعلي هو ذلك التاجر الذي يحتل في السوق مكانةً تجاريةً مرموقةً، وموقعاً تجارياً دائماً، ورأس المال الكبير الذي يمكّنه من تمويل سفن الغوص، وعقد الصفقات التجارية الكبيرة، ومنافسة بقية كبار التجار، وتحمّل الخسائر الكبيرة التي قد تنجم عن صفقةٍ أو عمليةٍ ما .

ويحتل هذا التاجر مكانةً اقتصاديةً، واجتماعيةً، وسياسيةً مرموقةً جداً في المجتمع، ولدى حاكم الإمارة باعتباره مساهماً في إنعاش وانتعاش السوق المحلية، وفي تغطية احتياجات الناس من المواد الاستهلاكية والتموينية اللازمة لحياتهم المعيشية اليومية .

ويوصف هذا التاجر بالتاجر الفعلي؛ لأن محصول اللؤلؤ من رحلة الغوص يقع بين يديه في نهاية المطاف، ويصل إلى متجره دون السعي إليه، فيشتريه بكمياتٍ كبيرةٍ جداً من

النوخذة، والطواش، والتاجر، ثم يمتلك حق التصرف به، مثلما يمتلك حق التصرف بأسعاره أيضاً .[١٨] –

وعلى هذا الأساس فإن تاجر اللؤلؤ الفعلي هو الذي كان يزوِّد أسواق اللؤلؤ العالمية[١٩] بهذه البضاعة في زمن ازدهار تجارة اللؤلؤ، وهو الذي كان يتعامل مع التجار العالميين من كافة أنحاء العالم، وهو الذي كان يُصدِّر اللؤلؤ إلى موانئ وأسواق خليجيةٍ وعالميةٍ، كأسواق البحرين، والهند، وسيلان، وشرق أفريقيا، وعواصم أوربا .

[١٨] – د . سالم راشد تريس القمري – مواقع صيد اللولو وتجارته في دولة الإمارات العربية المتحدة .

[١٩] – أهم أسواق اللولو العالمية في ذلك الوقت : سوق بومباي في الهند، وسوق جزيرة سيلان، وأسواق البحرين، والكويت، ودبي، ولنجه الواقعة على الساحل الشرقي من الخليج العربي، إضافةً إلى سوقي لندن وباريس .

الطواش والطواشة

كانت مهنة الاتجار باللؤلؤ تسمى في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ (طواشة) .

ورحلة (الطواشة) تشابه إلى حدٍّ كبيرٍ رحلة الغوص شكلاً من حيث السفر والتنقل البحري، وتختلف عنها مضموناً، وذلك للأسباب التالية : [٢٠] – [٢١]

١ – لأنها تبدأ بعد بدء موسم الغوص " الركبة " بحوالي شهر تقريباً .

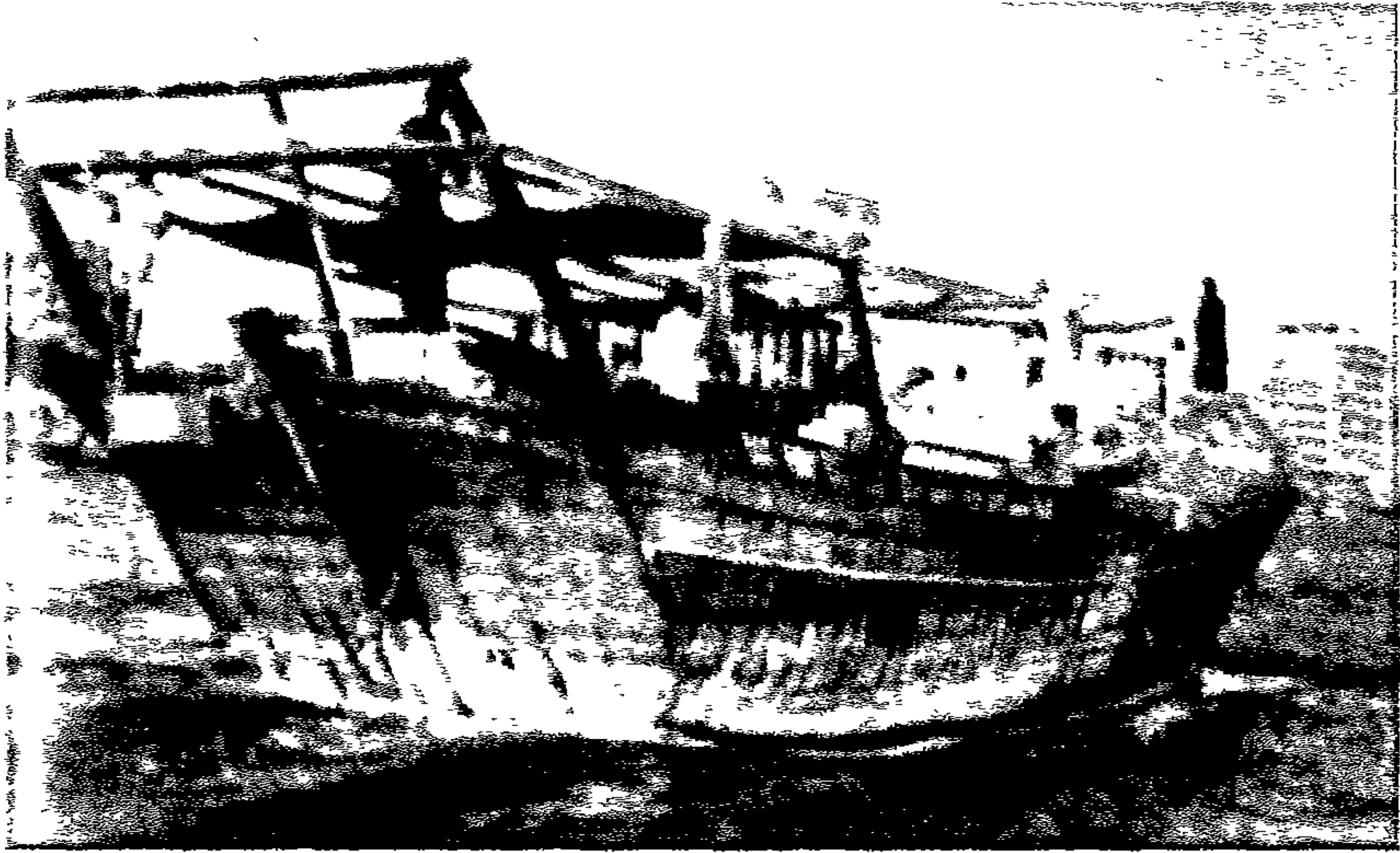
٢ – لأن الطوَّاش ومن معه ينعمون بالعيش على متن سفينةٍ فاخرةٍ نسبياً، تخلو من مخاطر غوصٍ من على متنها في الأعماق تحت سطح الماء .

---

[٢٠] – سيف مرزوق الشملان – المرجع السابق.

[٢١] – الصادق محمد سليمان – الغوص والطواشة .

صورة ملونة رقم / ٣ /



سفينة الطواش

٣ – لأن الطوّاش يستغل موسم الغوص ليقوم بأعمالٍ تجاريةٍ أخرى متممةٍ لعمله الرئيس في تجارة اللؤلؤ .

ويعتبر الطوّاش رئيس فريق العمل التجاري الذي يرافقه على متن سفينته التي يتنقل بواسطتها بين سفن الغوص العاملة في مغاصات اللؤلؤ " الهيرات " في الخليج العربي، ولذلك فالطواش هو صاحب القرار المسؤول عن كافة مراحل رحلة سفينته، بدءاً من لحظة الإقلاع، مروراً بجولات التسوق بين

سفن الغوص على صفحة أمواج ومياه الخليج العربي، وصولاً إلى لحظة العودة إلى البر .

ولم تكن تجارة اللؤلؤ هي التجارة الوحيدة التي يمارسها الطواش في موسم الغوص، بل كانت هنالك أعمال تجارية أخرى يقوم بها الطواش يمكن اعتبارها متممةً لتجارة اللؤلؤ في موسم الغوص : [٢٢] – [٢٣] – [٢٤]

١ – تجارة المواد التموينية التي تحتاج إليها سفن الغوص المتمركزة في مغاصات اللؤلؤ " الهيرات " حيث كان الطواش يستغل حرية حركته وتنقلاته، فيحمل على متن سفينته مواداً غذائيةً تموينيةً تحتاجها سفن الغوص، كالتمر، والسكر، والأرز، وماء الشرب العذب، ثم يقوم ببيع تلك المواد في عرض البحر نقداً، أو مقايضةً باللؤلؤ .

---

[٢٢] – د . سالم راشد تريس القمري - مواقع صيد اللؤلؤ وتجارته في دولة الإمارات العربية المتحدة .

[٢٣] – راشد الرياني – المرجع السابق .

[٢٤] – مراجع الذاكرة الشعبية .

٢ – نقل وتوصيل ما يبعثه الغواصون الذين يعملون على متن سفن الغوص في عرض البحر لذويهم الذين على اليابسة أثناء رحلة الغوص، وهو مايشبه النقل البريدي في الوقت الراهن .

وإذا كان الطوّاش هو الممول لإحدى سفن الغوص التي تعمل في عرض البحر بين مغصات الخليج العربي، فإن كامل اللؤلؤ المستخرج يكون من حقه، ولا يحق لنوخذة سفينة الغوص التصرف به بأي شكلٍ من الأشكال، وفي هذه الحالة، فإن الطوّاش المموّل هو الذي يقوم بتسويق لؤلؤه بين بقية الطواويش " الطواشين " الذين يتجولون على متن سفنهم في الخليج العربي، وكان الطواش يتنقل بين سفن الغوص الراسية في مغاصات اللؤلؤ " الهيرات " بواسطة زورق، أو مركب القلص، و " القلص " هو عبارة عن زورق الطواش الصغير الذي يتنقل الطواش على متنه بين سفن الغوص في الخليج العربي في موسم الغوص .

صورة ملونة رقم / ٤ /



زورق البانوش الشبيه بزورق الطواش " القلص "

ويعتبر الطواش تاجر لؤلؤ من الدرجة الثانية، وذلك للأسباب التالية : [٢٥] _ [٢٦]

١ – عدم امتلاكه رأس مال كبير .

٢ – عدم مقدرته شراء كامل اللؤلؤ الموجود على متن سفن الغوص، أو شراء القسم الأعظم منه .

---

[٢٥] - د . سالم راشد تريس القمزي – مواقع صيد اللؤلؤ وتجارته في دولة الإمارات العربية المتحدة .

[٢٦] - راشد الرياني – الغوص والطواشة .

٣ – عدم مقدرته شراء لؤلؤةٍ كبيرةٍ كالدانة، أو الحصباة إذا عرضت بثمن مرتفع .

صورة ملونة رقم / ٥ /



تعليم أصول الملاحة

ولكن، وبصفةٍ عامةٍ كانت عمليات بيع النوخذة ما لديه من اللؤلؤ للطواش تتم بطريقتين :

الأولى : طريقة بيع اللآلئ والدانات دانةً دانةً، وكل دانةٍ على حدة حسب وزنها، وحجمها، ولونها، وصفائها، وجمالها .

الثانية : طريقة البيع / مية / بواسطة الوزن والغربلة. [٢٧]

وكانت عمليات بيع اللؤلؤ على ظهر سفينة الغوص تتم بأسلوبين اثنين أيضاً : [٢٨]

الأول – البيع العلني : الذي يتم علناً أمام جميع البحارة، حيث يتم خلاله التفاوض بين الطواش والنوخذة على سعر اللؤلؤ، والذي يستمر علناً إلى حين التوصل إلى السعر المناسب الذي يرضي الطرفين .

---

[٢٧] – علي إبراهيم الدرورة – المرجع السابق .

[٢٨] – عبد الله خليفة الشملان – المرجع السابق .

الثاني – بيع المداس : وهذا الأسلوب من البيع يعتمد على السرية بعكس الأسلوب الأول، وهو أسلوب متعارف عليه فيما مضى بين الطواش والنوخذة، ويتم بتغطية يدي النوخذة والطواش بقطعةٍ من القماش؛ لكي تبدأ عمليات التفاوض بين الطرفين بواسطة لمس الأصابع للاتفاق على سعر اللؤلؤ، حيث تعارف أولئك الطووايش والنواخذة على مفاهيم معينة ومحددة للأصابع، فكانت كل إصبعٍ من أصابع الكف ذات مدلولٍ معين يعلمه الطرفان المتفاوضان، وعلى هذا الأساس تتم الصفقة بين الطرفين بسعر لا يعلن، ولا يعلمه الآخرون سواء تمت هذه العملية على ظهر السفينة، أو على البر .

ولكن، وبشكلٍ عام كانت صفقات بيع اللؤلؤ بين النواخذة والطووايش تتم بالطريقة الإجمالية التي تعتمد على بيع كامل اللؤلؤ الذي تحتويه صرة المخمل، ودفعةً واحدةً، أو بعد أن يقوم النوخذة بعزل حبات اللؤلؤ المتميزة وزناً، وحجماً، ولوناً، وإشراقاً، وجودةً لبيعها لاحقاً لطواشٍ معين بسعرٍ

خاصٍ مرتفعٍ، أو لبيعها على البر، بشكلٍ خاصٍ، وبسعرٍ خاصٍ أيضاً.

وفي حالة الطريقة الإجمالية لبيع اللؤلؤ، ولأن الطواش تاجر لؤلؤ خبير ومحترف، فإن هذا اللؤلؤ يخضع لفحصٍ دقيقٍ من قبل الطواش قبل الاتفاق على السعر، وتخضع عملية تقييم هذا اللؤلؤ إلى مقاييس دقيقةٍ جداً يتقنها الطواش بكفاءةٍ عاليةٍ، تبدأ من " الطوس " أو " المشاخيل " التي تحدد أحجام اللؤلؤ، ثم مروراً بالوزن، واللون، والشكل، والاستدارة، والإشراق، وصولاً إلى الشفافية والنقاء .

وإذا كانت حبة اللؤلؤ نادرةً وفريدةً في نوعيتها ومواصفاتها فإنها تخضع لمعايير تقييمٍ خاصةٍ جداً إضافةً إلى المعايير الآنفة الذكر؛ لأن الطلب عليها يكون أكبر بكثير، ولأن المنافسة على امتلاكها تكون أقوى بكثير، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فالحصابة التي كان التاجر الكويتي السيد محمد بن علي الزياني قد اشتراها بمبلغ / ١١٠٠٠٠ / روبية، بيعت في الهند عام ١٩١٨ بمبلغ / ١٧٠٠٠٠ / روبية .

والدانة التي كان أحد تجار اللؤلؤ في الجبيل في البحرين اشتراها بمبلغ / ١٨٠٠٠ / روبية، بيعت للحاج عبد الرحمن ابن حسن القصيبي بمبلغ / ٢٨٠٠٠ / روبية، ثم قام الحاج القصيبي ببيعها ثانيةً لتاجر لؤلؤ فرنسي بمبلغ / ٥٠٠٠٠ / روبية .

وفي عام ١٨٩٩ عثر أحد سكان كمزار، إحدى جزر مسندم في عمان على لؤلؤةٍ نادرةٍ، ولأنه لم يتمكن من تقدير معاييرها وثمنها، قام ببيعها في الشارع بمبلغ / ٢٠٠٠٠ / شلن، ثم قام التاجر الذي اشتراها ببيعها في سوق بومباي بمبلغ / ٤٠٠٠٠ / لتباع بعد ذلك بمبلغ / ١٠٠٠٠٠ / روبية .[٢٩ _ ٣٠]

وقد جرت العادة فيما مضى أنه عندما يحصل أحد النواخذة على لؤلؤة ما يرغب في عرضها على الطواشين، فإنه يقوم برفع رايةٍ صغيرةٍ على سفينته، وكانت تلك الراية تسمى :

---

[٢٩] - علي إبراهيم الدرورة – ملامح من تاريخ اللولو في الخليج العربي .

[٣٠] - أنظر دانات اللولو – المجلد الأول من هذه الموسوعة – صفحة / ١٢٥ / – دانة الكمزار .

(النشرة) وما إن يشاهد الطواش راية النشرة، حتى يتقدم من السفينة، ثم يصعد إليها، ويقوم بفحص حبة اللؤلؤ، ووزنها وتقييمها، ثم يعرض الثمن الذي يراه مناسباً على النوخذة، فإذا تم الاتفاق بينهما اشتراها الطواش بإحدى الطريقتين التاليتين :

- الأولى : نقداً .
- الثانية : عيناً، أو مقايضةً بالتمر، أو الأرز، أو المواد التموينية التي يحتاجها النوخذة الذي كان يفضل هذه الطريقة؛ لأنها توفر عليه مشقة وعناء العودة إلى البر لشراء المواد التموينية التي يحتاجها .

أما عمليات بيع كميات حاصل اللؤلؤ في موسم الغوص فكانت تتم بإحدى الطريقتين التاليتين :

١ – طريقة بيع الحلوى :

وكانت تتم بشكلٍ مباشرٍ بين صاحب السفينة والطواش، إذا كان صاحب السفينة غير مدينٍ لأحدٍ ما .

٢ – طريقة بيع العميل :

وتتم بعد عودة السفينة إلى البر، وحصراً للطواش الذي زود السفينة بالمؤن واللوازم .

وعندما يحدث أي خلاف بين النوخذة والبحارة من جهة، والطواش أو تاجر اللؤلؤ من جهةٍ ثانية حول تقدير قيمة اللؤلؤ، يستدعى رجلٌ خبيرٌ بمواصفات وأوزان وجودة اللؤلؤ يدعى " **النصف** " – أي الإنصاف والعدل – لحل ذلك الخلاف، والمساعدة في تقدير قيمة اللؤلؤ المختلف عليه . [٣١] _ [٣٢]

ولأن الطواش تاجر لؤلؤ بالأصل، فهو خبيرٌ بشؤونه، وقادر على تمييز جودة حباته، حسب اللون، والحجم، والوزن، والصنف، وبالتالي فهو قادر على تقدير قيمة اللؤلؤ، غير أن بعض الطواشين تميزوا بخبرتهم ومقدرتهم الفائقة على صقل وتصنيع حبات اللؤلؤ قبل بيعها؛ للحصول على المزيد من

---

[٣١] – سيف مرزوق الشملان – المرجع السابق .

[٣٢] – عبد الله خليفة الشملان – المرجع السابق .

الأرباح، ومن أشهر هؤلاء الطواشين الوالد رحمة بن عبد الله الشامسي من الشارقة .

وقد التحق بهذه المهنة في القرن التاسع عشر حتى فترة نهاية مهنة الغوص عدد كبير من الطواويش الهنود، لكنها ظلت عربية الهوية؛ لأن معظم العاملين فيها كانوا من العرب، وبشكلٍ خاصٍ، من منطقة الخليج العربي .

وكان الطواش العربي يحتل مركزاً اجتماعياً واقتصادياً مرموقاً، كالتاجر، والنوخذة، والسردال، وكان من المقربين لحكام الإمارات الذين كانوا يفوضونه أحياناً في عمليات إبرام العقود، وتسوية المنازعات، وترتيب المصالحات، وكانت الأسر الإماراتية والخليجية ترحب بتزويج بناتها من أبناء الطواش، كما كان الطواش كالنوخذة يعلِّم أبناءه مهنته المرموقة التي ترعرع في كنفها .

أدوات الطواش

ويعتمد الطواش عادةً على عدة أدوات لوزن اللؤلؤ وتحديد معايير جودته، تمهيداً لتحديد ثمنه عند التفاوض لعقد صفقةٍ ما، ومن أهم أدوات الطواش :

– ١ – **طقم غرابيل نحاسية " الطوس "** :[33]

وهي عبارة عن غرابيل مصنوعة من النحاس متدرجة فتحات الثقوب، يعتمد عليها الطواش لفرز حبات اللؤلؤ، حسب قياس حجم الحبة، ويسمى الغربال الواحد من هذه الغرابيل النحاسية ((**طاسة**)) وفق لغة أهل الغوص والبحر في منطقة الخليج العربي .

وتفرز حبات اللؤلؤ حسب الحجم بواسطة هذه الغرابيل، أو الطوس ذات الثقوب المتدرجة اتساعاً، والتي يبلغ عددها

[33] – أنظر أحجام اللؤلؤ – المجلد الأول من هذه الموسوعة – صفحة / ١٣١ / .

سبعة غرابيل، أو سبع طُوَسْ،[٣٤] بوضع كامل حبات اللؤلؤ في الغربال الأول، أو في الطاسة الأولى التي تسمى " طاسة الرأس " ثم يغربل اللؤلؤ، فتبقى حباته الكبيرة في الطاسة الأولى،[٣٥] وتسمى هذه الحبات " لؤلؤ الرأس " ويكون قطر الحبة الواحدة من لؤلؤ الرأس حوالي / ١٨% / من العقدة أو البوصة،[٣٦]ثم تؤخذ حبات اللؤلؤ التي تساقطت من فتحات ثقوب الطاسة الأولى، وتوضع في الطاسة الثانية التي يكون قطر فتحاتها وثقوبها حوالي / ١٥% / من العقدة أو البوصة، ثم تغربل، وما يتبقى في الطاسة الثانية يسمى " لؤلؤ بَطِنْ " وعلى هذا الأساس يسمى لؤلؤ الرأس، ولؤلؤ البطن :

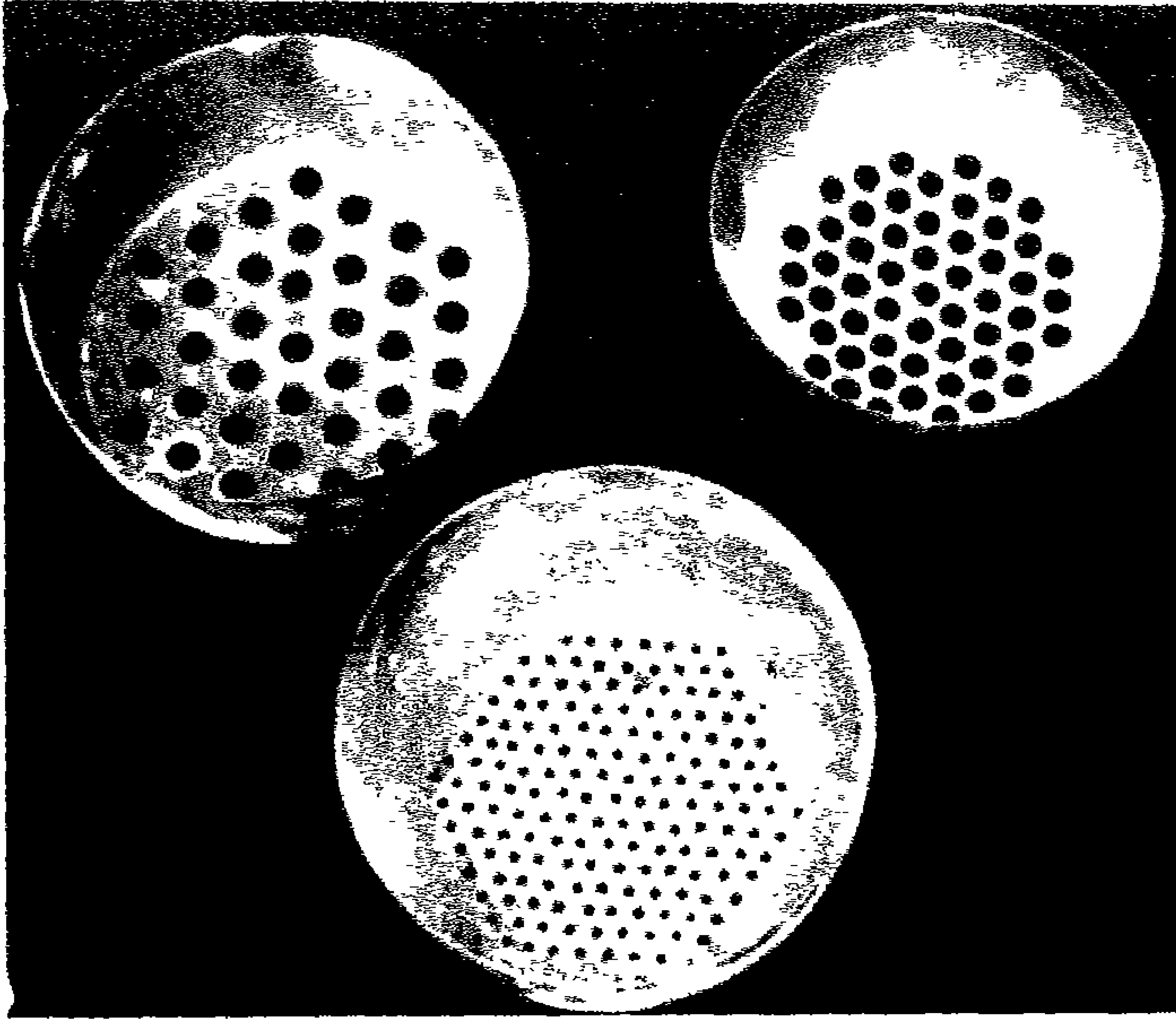
" اللؤلؤ الخشن " ثم تستمر عملية الغربلة حتى الطاسة السابعة، وما يتساقط من فتحات ثقوب هذه الطاسة، أو الغربال، حبات لؤلؤ صغيرة الحجم .

---

[٣٤] – هي سبع طوس في الإمارات، وخمس طوس في البحرين .

[٣٥] – تحدث الإدريسي عن عمليات غربلة اللؤلؤ في سياق حديثه عن عمليات بيع اللؤلؤ .

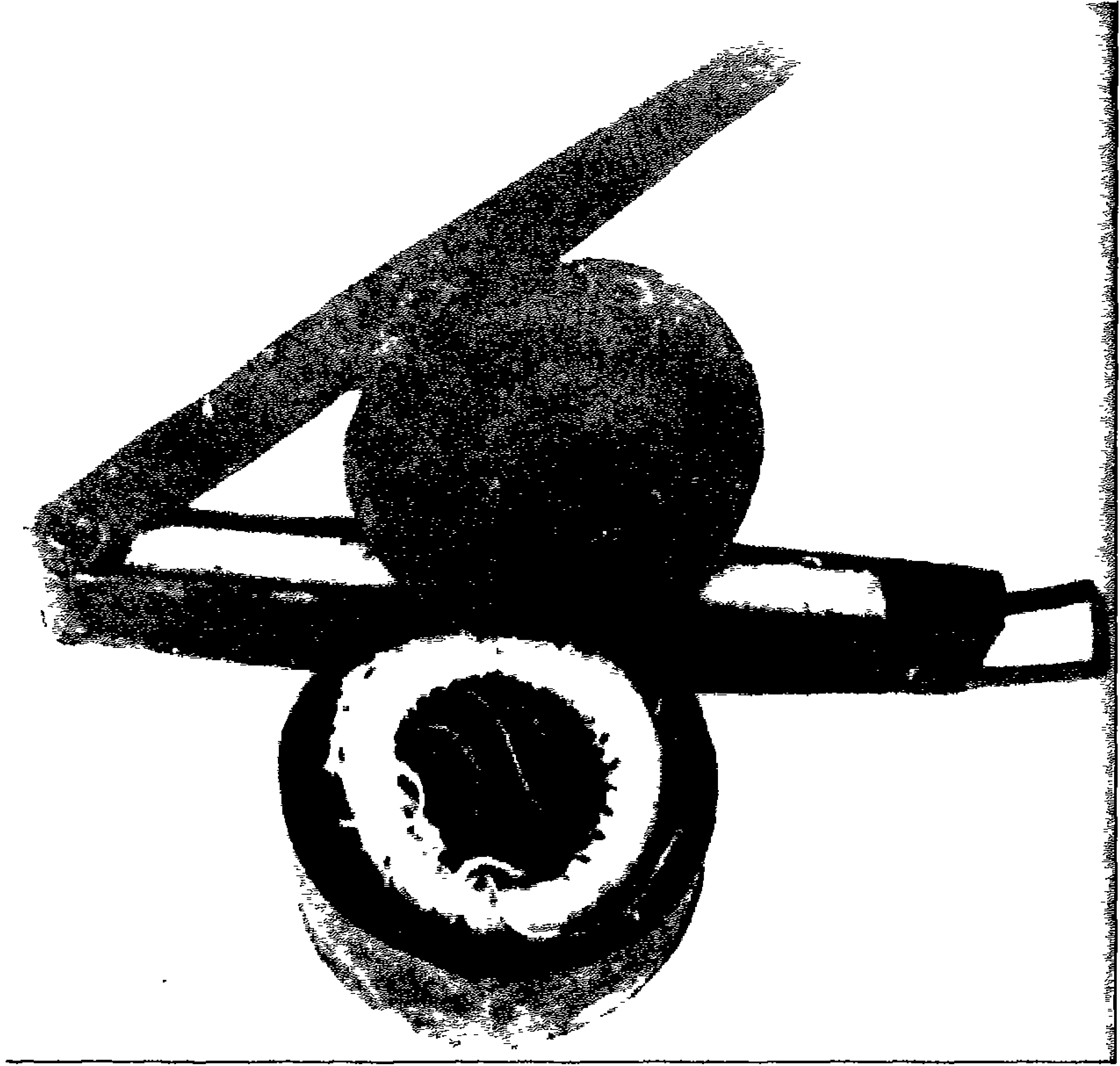
[٣٦] – د . فالح حنظل – معجم الغوص واللؤلؤ في الخليج العربي .



طاسات اللؤلؤ أو غرابيل اللؤلؤ

– ٢ – ميزان نحاسي حساس :

وهو ميزان حساس، صغير الحجم، مصنوع من رقائق النحاس، مزود بخيطٍ من الحرير، يستخدم في مجالٍ مغلقٍ معزولٍ عن الهواء، أوزانه مصنوعة من معادن خفيفة جداً .



ميزان اللؤلؤ

وميزان اللؤلؤ نوعان، الأول لسعة مثقالين اثنين، والثاني لسعة عشرة مثاقيل، ويستخدم النوعان بواسطة أوزان خاصة : [٣٧] _ [٣٨] _ [٣٩]

[٣٧] - راشد الزياني - الغوص والطواشة .

[٣٨] - د . فالح حنظل - معجم الغوص واللؤلؤ في الخليج العربي .

[٣٩] - الصادق محمد سليمان - اللؤلؤ في الخليج .

المثقال = ٢٤ رتي .

الرتي = ١٦ آنه .[٤٠]

- ٣ – **المنظار :**

ويسمى الناظور، ويتكون من عدستين مكبرتين، يستخدمه الطواش لفحص حبات اللؤلؤ .

- ٤ – **السكين :**

وتستعمل لصقل حبات اللؤلؤ .

- ٥ – **البكر :**

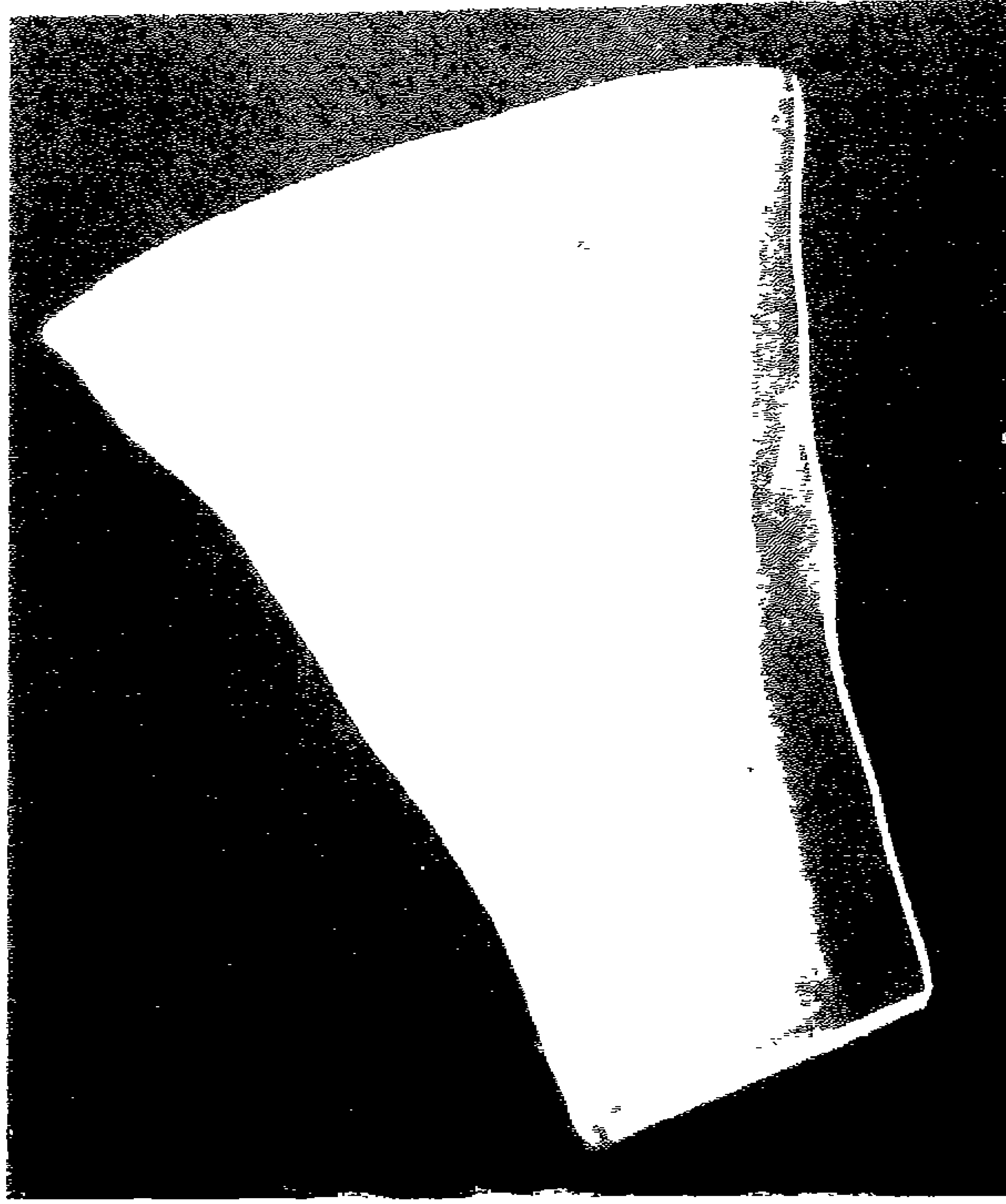
وتستخدم لكسر بقايا المحار العالق بحبات اللؤلؤ .

- ٦ – **المغرفة :**

وهي عبارة عن مغرفة لغرف حبات اللؤلؤ، تصنع عادةً من النحاس .

---

[٤٠] – أنظر أوزان اللؤلؤ – المجلد الأول من هذه الموسوعة – صفحة / ١٥١ / .



مغرفة اللؤلؤ

– ٧ – جلد الغزال :

ويستخدم لفرك حبات اللؤلؤ بعد تنظيفها بهدف تلميعها .

– ٨ – الخرجة :

قطعة من الخام، لونها أحمر، وطولها حوالي متر، أو متر ونصف المتر .

– ٩ – الدَّستة :

صندوق خاص يضع الطواش في داخله أدوات عمله ومهنته، كميزان اللؤلؤ، والغرابيل " الطوس " والمكاييل، وجلد الغزال، والمنظار .. إلخ، ويقول الدكتور فالح حنظل في كتابه " معجم الغوص في الخليج العربي " إن الدستة هي صندوق البشتختة .[٤١]

– ١٠ – كتاب أوزان اللؤلؤ :

وهو من أهم أدوات عمل الطواش إن صح التعبير؛ لأنه يعتمد عليه في عمليات حساب أوزان اللؤلؤ، وقد ألف العاملون في مهنة تجارة اللؤلؤ عدداً من هذه الكتب، نذكر منهم :[٤٢] _ [٤٣]

– السيد عيسى القطامي .
– السيد عبد اللطيف بن عبد الرزاق .

---

[٤١] – علي إبراهيم الدرورة – ملامح من تاريخ اللؤلؤ في الخليج العربي .
[٤٢] – سيف مرزوق الشملان – تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي .
[٤٣] – علي إبراهيم الدرورة – ملامح من تاريخ اللؤلؤ في الخليج العربي .

- السيد سلطان بن محمد المناعي .
- السيد علوي بن السيد طالب البنادرة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن جميع الكتب الخاصة بأوزان اللؤلؤ لمؤلفيها الآنفي الذكر قد طبعت في بلدة بومباي بالهند .

- ١١ - قاموس التحويل :

وهو عبارة عن كتابٍ خاصٍ بتحويل الأوزان إلى " أجوا ".

من أهم وأبرز الطواشين الإماراتيين

وفيما يلي بتحدث عن أبرز وأهم الطواشين الإماراتيين الذين اشتغلوا في صفقات بيع وشراء اللؤلؤ في الإمارات : [٤٤]

في أبوظبي :

خلف بن عتيبه .

في دبي :

محمد بن أحمد بن دلموك – محمد مطر بن عبيد لبدور – ثاني بن خلف بالرقاد – عبد الله بن دسمال – محمد بن عبيد الطاير .

[٤٤] – شبكة الإنترنيت .

في الشارقة :

عبيد بن عيسى النابودة – حميد بن كامل – خالد بن إبراهيم المناعي – محمد بن أحمد المناعي – عبد الرحمن بن حسن المدفع .

في رأس الخيمة :

عبد الله بن أحمد المناعي .

في عجمان :

قوم بوشهاب – المعى – الحمراني – وقوم ولد الشيبه – محمد بن سالم بوخميس .

في أم القيوين :

كانت أكبر سفينة غوص ملكاً لحكام أم القيوين آل معلا الكرام، وقد اشتهرت تلك السفينة باسم " غالب " ومن أشهر وأبرز طواشي أم القيوين أيضاً :

سيف بن صفوان - محمد بن علي معلا - عبد العزيز بن إبراهيم بن معلا.

في الحمرية :

الشيخ عبد الرحمن بن سيف .

في الجزيرة الحمراء :

أحمد بن عمران - وعبد الله بن عمران .

في الخان :

عبد الله بن سلطان المطوّع .

في الحيرة :

سلطان بن عبد الله بن عويس - عبد الله بن سلطان بن عويس - علي بن عبد الله بن عويس - محمد بن سلطان بن عويس - ماجد بن حمد بن عويس - راشد بن محمد بن عبيد الجروان - رحمة بن عبد الله الشامسي .

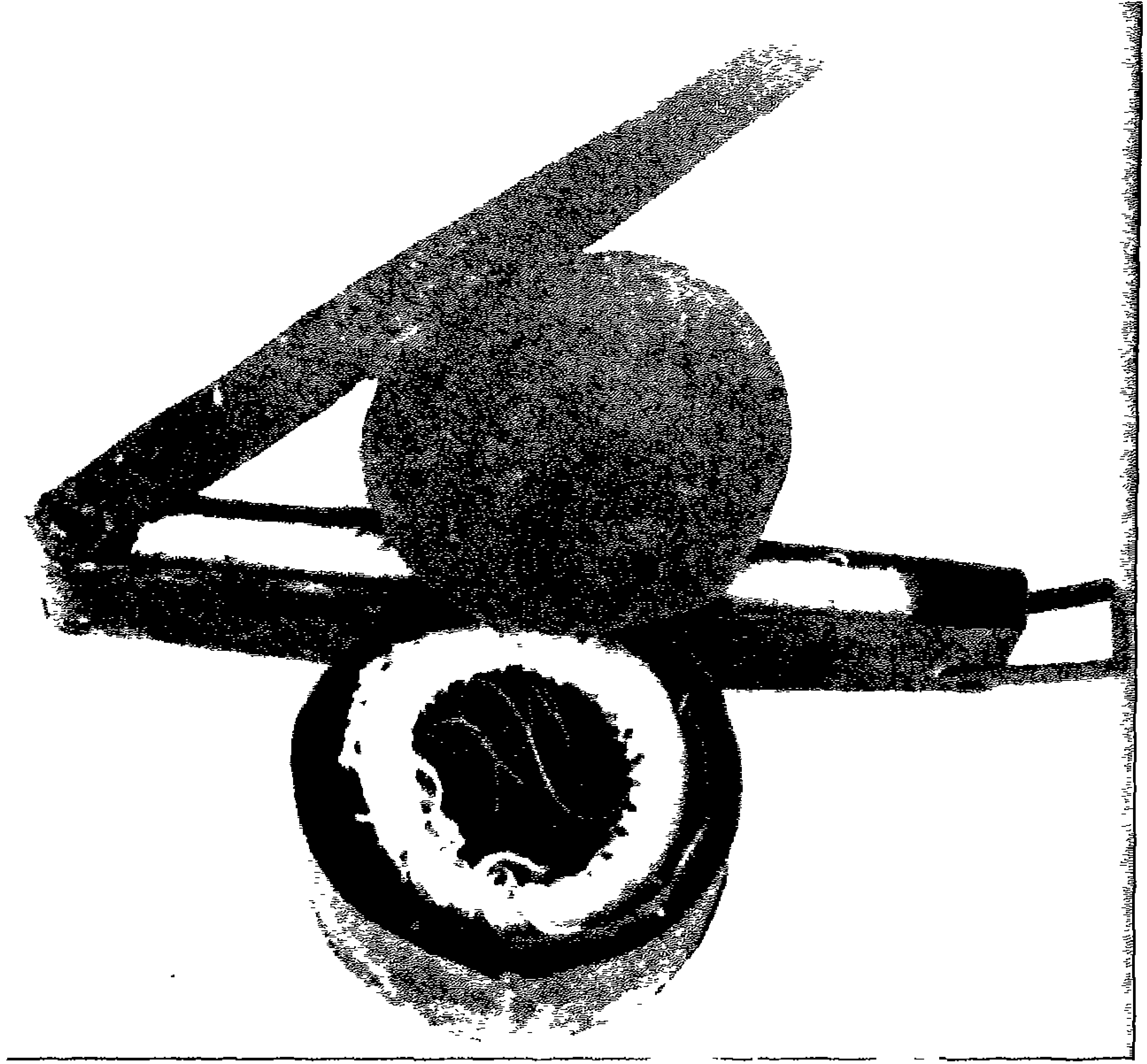
في اللّيه :

الشيخ محرن بن سلطان .

وتاجر اللؤلؤ " الطواش " هو تاجر خبير بأوزان، وأنواع، وألوان، وأشكال، وأسعار اللؤلؤ، وهو التاجر الخبير القادر على تمييز اللؤلؤ الجيد الغالي الثمن، عن اللؤلؤ الرديء الرخيص الثمن، وهو أيضاً التاجر الخبير القادر على تسويق اللؤلؤ محلياً، وفي الأسواق العالمية أيضاً .[٤٥]

---

[٤٥] – علي إبراهيم الدرورة – المرجع السابق .



ميزان اللؤلؤ

ويشترط في الطواش أن يكون رجلاً ذكياً، قوي الشخصية، سريع البديهة، ملماً بقواعد الحساب والقراءة والكتابة، وقوانين الضرائب الجمركية والتنقل والسفر، وكيفية استخدام أدوات وزن اللؤلؤ التي لا تفارق تجارته .

من أبرز تجار اللؤلؤ في الإمارات

وكانت الإمارات في زمن الغوص البهيج تزخر بمجموعةٍ كبيرةٍ من تجار اللؤلؤ الذين كانوا يتمركزون في دبي كميناءٍ وسوقٍ رئيسةٍ لتجارة اللؤلؤ في ذلك الوقت، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر السادة :

خلف بن عتيبه وابنه أحمد - فهد راشد الدوسري - أحمد ابن دلموك وابنه محمد - الحاج إبراهيم الفردان - محمد ناصر ابن لوتاه — عبد الله بن محمد الشامسي .[٤٦]

وكان هؤلاء التجار يتميزون بخبرتهم الفائقة بتفاصيل شؤون اللؤلؤ الطبيعي، منذ اللحظة الأولى لتكوين حبة اللؤلؤ، مروراً بمرحلة صيدها، وصولاً إلى مراحل تسعيرها، وتقييمها، ونقلها إلى أسواقها المحلية والخليجية والعالمية؛ لبيعها وتسويقها، إلى جانب خبرتهم الفائقة في صياغة اللؤلؤ

---

[٤٦] – شبكة الإنترنيت .

لاستخدامه كعقودٍ للزينة، والتي كانوا يحتفظون بها أحياناً كتحفٍ فنيةٍ يفاخرون باقتنائها، على غرار ما كان يفعله التاجر الفعلي المرحوم علي بن عبد الله العويس، الذي كان يمتلك في متجره بدبي عام ١٩٦٣ أكبر عقد لؤلؤ طبيعي .

وإلى جانب التاجر الفعلي المرحوم علي بن عبد الله العويس، لمعت في سماء الإمارات العديد من الأسماء المرموقة لتجار اللؤلؤ الفعليين، ذكرت بعض المراجع والمصادر بعضها، والتي نسوقها هنا بمزيدٍ من التقدير والاحترام، على سبيل المثال لا الحصر، حيث تفيد هذه المراجع والمصادر التاريخية أن قبيلة بني ياس في أبوظبي كانت تحتل المرتبة الأولى بين قبائل جزيرة أبوظبي والساحل الشمالي في عمليات الغوص على اللؤلؤ، وتجارته، وتسويقه .

كما كان هنالك آل الشيباني، وآل بن دلموك، وآل بن خاطر، ومحمد بن زينل، وآل البدور، وآل لوتاه في إمارة دبي.

وكان هنالك العويسات، وآل الشيخ المحمود، والمزاريع في إمارة الشارقة .

وهنالك الشيخ عبد الله الشيبة، والسيد عبد الله الدوسري، وأخوه السيد عبد الرحمن الدوسري، وآل كاجور في إمارة عجمان .[٤٧]

وكان هنالك العديد من تجار اللؤلؤ من بقية الإمارات، أسسوا لأنفسهم محالاً تجاريةً في دبي، زاولوا فيها مهنة تجارة اللؤلؤ، وسافروا لهذه الغاية إلى الهند وأوربا، وفرنسا بشكلٍ خاصٍ لتسويق اللؤلؤ والاتجار به، لا سيما في أوائل القرن التاسع عشر، حيث ازدهرت تجارة اللؤلؤ عندما ازداد الطلب عليه من ملوك أوربا، وخاصةً في الأسواق التجارية التالية :

١- الهند - سوق بومباي .

[٤٧] - شبكة الإنترنيت .

١- الهند - سوق بومباي .

٢- جزيرة سيلان - سوق جزيرة سيلان .

٣- البحرين - سوق البحرين .

٤- الكويت - سوق الكويت .

٥- إمارة دبي - سوق دبي .

٦- الساحل الشرقي من الخليج العربي - سوق لنجة .

وبوسعنا اليوم أن نتعرف إلى حجم صادرات اللؤلؤ على المستوى التجاري عبر ميناء لنجة، كما رصدته حركة جمارك الميناء في الأعوام : ١٩٠١ / ١٩٠٢ / ١٩٠٣ / ١٩٠٤ م، كما هو موضح في إحصائيات الجدولين التاليين : [٤٨]

[٤٨] - د . سالم راشد تريس القمزي - مواقع صيد اللؤلؤ وتجارته في دولة الإمارات العربية المتحدة .

السنة	إمارات الخليج روبية	السنة	إمارات الخليج روبية
١٨٧٣_٧٤	٤ر٩٠٠	١٨٧٣_٧٤	١١ر٨٠ر٠٠٠
١٨٧٤_٧٥	٥ر٠٠٠	١٨٧٤_٧٥	١٢ر٠٠ر٠٠٠
١٨٧٥_٧٦	١ر٢٠٠	١٨٧٥_٧٦	١٤ر٩٠ر٠٠٠
١٨٧٦_٧٧	١ر٥٠٠	١٨٧٦_٧٧	١٠ر٠٠ر٠٠٠
١٨٧٧_٧٨	٢ر٥٠٠	١٨٧٧_٧٨	٢١ر٢٤ر٠٠٠
١٨٧٨_٧٩	٥ر٠٠٠	١٨٧٨_٧٩	١٢ر١٦ر٥٠٠
١٨٧٩_٨٠	١٠ر٦٠٠	١٨٧٩_٨٠	١٤ر٠٠ر٠٠٠
١٨٨٠_٨١	٢٧ر٠٠٠	١٨٨٠_٨١	٣٠ر٥٠ر٠٠٠
١٨٨١_٨٢	٨٨ر٠٠٠	١٨٨١_٨٢	٢٦ر١٥ر٠٠٠
١٨٨٢_٨٣	٤٥ر٠٠	١٨٨٢_٨٣	٢٢ر٨٧ر٠٠٠
١٨٨٣_٨٤	١ر٥٠٠	١٨٨٣_٨٤	٢٨ر٢٢ر٠٠٠
١٨٨٤_٨٥	٧٣ر٠٠٠	١٨٨٤_٨٥	٣٩ر٧٨ر٠٠٠
١٨٨٥_٨٦	٧٩ر٠٠٠	١٨٨٥_٨٦	٣٦ر٠٠ر٠٠٠
١٨٨٦_٨٧	٥٠ر٠٠٠	١٨٨٦_٨٧	١٨ر٠٠ر٠٠٠
١٨٨٧_٨٨	١٥ر٠٠٠	١٨٨٧_٨٨	٣٩ر٠٠ر٠٠٠
١٨٨٨_٨٩	٢٥ر٠٠٠	١٨٨٨_٨٩	٥٠ر٠٠ر٠٠٠
١٨٨٩_٩٠	٥٠ر٠٠٠	١٨٨٩_٩٠	٤٠ر٠٠ر٠٠٠
١٨٩٠_٩١	٦٠ر٠٠٠	١٨٩٠_٩١	٢٧ر٠٠ر٠٠٠

السنة	إمارات الخليج روبية	السنة	إمارات الخليج روبية
١٨٩١_٩٢	٨٠ر٠٠٠	١٨٩١_٩٢	٣٥ر٠٠ر٠٠٠
١٨٩٢_٩٣	٧٨ر٠٠٠	١٨٩٢_٩٣	٥٢ر٥٠ر٠٠٠
١٨٩٣_٩٤	٦٠ر٠٠٠	١٨٩٣_٩٤	٥٠ر٠٠ر٠٠٠
١٨٩٤_٩٥	٧٠ر٠٠٠	١٨٩٤_٩٥	٦٠ر٠٠ر٠٠٠
١٨٩٥_٩٦	٦٥ر٠٠٠	١٨٩٥_٩٦	٨٠ر٠٠ر٠٠٠
١٨٩٦_٩٧	٥٠ر٠٠٠	١٨٩٦_٩٧	١ر٠٠ر٠٠ر٠٠٠
١٨٩٧_٩٨	٥٠ر٠٠٠	١٨٩٧_٩٨	٧٥ر٠٠ر٠٠٠
١٨٩٨_٩٩	٥٠ر٠٠٠	١٨٩٨_٩٩	٥٥ر٠٠ر٠٠٠
١٨٩٩_١٩٠٠	٦٩ر٩٩٠	١٨٩٩_١٩٠٠	٧٧ر٤٩ر٩٩٠
١٩٠٠_١٩٠١	٣١ر٠٠٠	١٩٠٠_١٩٠١	٤٢ر٠٠ر٠٠٠
١٩٠١_١٩٠٢	٣٩ر٠٠٠	١٩٠١_١٩٠٢	٥٠ر٠٠ر٠٠٠
١٩٠٢_١٩٠٣	٢٥ر٠٠٠	١٩٠٢_١٩٠٣	٨٠ر٠٠ر٠٠٠
١٩٠٣_١٩٠٤	٤٠ر٠٠٠	١٩٠٣_١٩٠٤	٩٠ر٠٠ر٠٠٠
١٩٠٤_١٩٠٥	٢٥ر٠٠٠	١٩٠٤_١٩٠٥	٥٠ر٠٠ر٠٠٠
المجموع	١٢٠,٩٣٠,٢٩٠	المجموع	١٢,٢٨,١٢,٧٥٠
المتوسطات	٤٠ر٤١٥	المتوسطات	٤١ر٥٠ر٨٩٣

ومن الجدير بالذكر أن جميع هذه الأسواق كانت تلعب دوراً مضاعفاً في زمن ازدهار تجارة اللؤلؤ، فهي أسواق تجارية يزورها تجار اللؤلؤ لعقد صفقاتهم، وهي موانئ تصدير اللؤلؤ المستخرج من بحر الخليج العربي، وبشكلٍ خاص حبات اللآلئ الكبيرة الغالية الثمن، وهي مراكز المزادات العلنية لبيع حبات اللآلئ الثمينة التي كانت تخضع لعمليات بيع متكررة في هذه الأسواق التي كان سوق بومباي الهندي أهمها، وأنشطها، فما من تاجر لؤلؤ في الإمارات، إلا وسافر إلى الهند ليبيع ما لديه من لؤلؤ، أو ليشتري ما لدى الآخرين .

وعندما قام الإنجليز بتشجيع تجارة اللؤلؤ، افتتحت لندن وباريس أسواقاً جديدةً لتجارة اللؤلؤ أضيفت إلى الأسواق السابقة الآنفة الذكر، مما دفع التاجر الإماراتي والخليجي للتعامل مع هذين السوقين الجديدين، وقد نالت بعض اللآلئ الكبيرة المستوردة من الإمارات " الدانات " إعجاباً كبيراً من قبل الفرنسيين والإنكليز الذين تسابقوا على شرائها بأسعار خيالية، مما أدى إلى انتعاش تجارة اللؤلؤ وازدهارها أولاً، ثم

إلى تسابق الشركات التجارية الإنكليزية، والفرنسية، والبرتغالية، والهولندية للاستحواذ على تجارة اللؤلؤ والتحكم في مغاصاته، بل أدى بهم الأمر إلى إنشاء شركات تجارية تنافس تجار الخليج الذين يقومون ببيع وشراء اللؤلؤ، كما جرت أيضاً عدة محاولاتٍ من قبل هؤلاء الأجانب لإنشاء سفنٍ، وتجهيز بحارةٍ أجانب، وتدريبهم على الغوص لاستخراج اللؤلؤ من أعماق الخليج العربي .

من أشهر تجار اللؤلؤ في الخليج العربي

ومن أشهر تجار اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي الذين عملوا في أسواق تجارة اللؤلؤ العالمية :[٤٩]

- الشيخ محمد علي زينل الذي توفي عام ١٩٧٠ م، والذي كان من أكبر تجار اللؤلؤ في أسواق بومباي، ولندن، وباريس .
- الشيخ مصطفى بن عبد اللطيف البستكي الذي توفي عام ١٩٦٤ م، والذي كان من كبار تجار اللؤلؤ في سوق باريس .
- الشيخ قاسم بن محمد آل إبراهيم الذي توفي عام ١٩٥٦م، والذي كان من أكبر تجار اللؤلؤ العرب في سوق بومباي .

[٤٩] - شبكة الإنترنيت .

- الشيخ عبد اللطيف بن محمد العبد الرزاق الذي توفي عام ١٩٥٥ م، والذي كان من كبار تجار اللؤلؤ في سوق بومباي .
- السيد محمد بن شملان بن علي آل سيف الذي توفي عام ١٩٧٢ م، والذي كان من كبار تجار اللؤلؤ في سوق باريس .
- السيد يوسف بن حسين بن علي آل سيف الذي توفي عام ١٩٥٢ م، والذي كان من كبار تجار اللؤلؤ في سوق باريس .
- السيد عبد الرحمن بن حسن القصيبي الذي توفي عام ١٩٧٦ م، والذي كان من كبار تجار اللؤلؤ في سوقي باريس ولندن .
- السيد محمد فاروق محمد عقيل البستكي الذي كان من كبار تجار اللؤلؤ في سوق باريس .
- السيد حميد بن جامل الذي كان من كبار تجار اللؤلؤ في سوق باريس .

- السيد صالح بن محمد بن هندي المناعي الذي كان من كبار تجار اللؤلؤ في سوق باريس .
- السيد مشاري بن عبد الله الروضان الذي توفي عام ١٩٦٧ م، والذي كان من كبار تجار اللؤلؤ في أسواق الخليج العربي .

عقبات تجارة اللؤلؤ في الإمارات

اعترضت تجارة اللؤلؤ في الإمارات في مرحلة ما قبل اكتشاف واستثمار النفط العديد من العقبات، من أهمها : [50]

- الغارات القبلية التي تشنها قبيلة ما على قبيلةٍ أخرى، مما يؤدي إلى نقصٍ في عدد الغواصين، وفي عدد سفن الغوص بسبب الأضرار المادية التي تنجم عن تلك الغارة .
- التوسع في نفوذ سلطة إحدى الإمارات الكبيرة على حساب الإمارات الأصغر بدعمٍ خارجي، مما يفرض حالةً من الاستنفار الدائم من قبل رجال الإمارة المهددة، وانشغالهم بحماية إمارتهم، وبالتالي انشغالهم عن موسم الغوص الذي يضعف، ويصبح ضئيل الناتج، قليل المردود .

---

[50] – د . سالم راشد تريس القمزي – مواقع صيد اللؤلؤ وتجارته في دولة الإمارات العربية المتحدة .

- عقوبات سلطات الإمارة التي تفرض على بعض الغواصين والبحارة لأسبابٍ مختلفة، والتي تقضي بحرمان هؤلاء الرجال من المشاركة في موسم الغوص.
- إقدام حاكم إمارة ما على فرض ضرائب مرتفعة أحياناً على محصول اللؤلؤ في موسمٍ ما، لسببٍ ما، مما يؤدي إلى ارتفاع أسعار اللؤلؤ، وإحجام التجار عن شرائه، فيختل سوق اللؤلؤ، ويصبح العرض أكبر من الطلب، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى كساد اللؤلؤ في تلك الإمارة في ذلك الموسم .
- هروب بعض رجال البحر، والغواصين خاصةً من بعض مواسم الغوص؛ بسبب شدّة قسوة بعض النواخذة، مما يؤدي إلى تراجع مردود محصول ذلك الموسم .
- عدم وجود قوانين تنظم عمليات صيد اللؤلؤ في مواسم الغوص .
- الهيمنة الأجنبية الاستعمارية على عمليات صيد اللؤلؤ، والتي تجلت بفرض بعض القيود على مواسم

الغوص وعمليات صيد اللؤلؤ، أدت إلى معاقبة بعض البحارة بحرمانهم من المشاركة ببعض مواسم الغوص، الأمر الذي تسبب في تراجعٍ في مردود محصول بعض مواسم الغوص .

- حصول بعض الشركات الأجنبية على امتيازاتٍ خاصةٍ لصيد اللؤلؤ أدى إلى :

١ – استنزافٍ الأصداف والمحار من قيعان بحر الخليج العربي بسبب الصيد الجائر .

٢ – خلخلة ميزان العرض والطلب في أسواق تجارة اللؤلؤ، فزاد العرض عن الطلب، وحل الكساد في تجارة اللؤلؤ .

- قيام شركات النفط بأعمال الحفريات للتنقيب عن النفط في قيعان بحر الخليج العربي، الأمر الذي أدى إلى إتلاف أصداف ومحار اللؤلؤ في مغاصات الخليج العربي، وإلى القضاء على بعض مواقع المغاصات .

- ولادة اللؤلؤ الياباني المستنبت عام ١٩١٢ ساهمت إلى حدٍّ كبيرٍ في خلخلة أسواق تجارة اللؤلؤ لصالح اللؤلؤ الياباني المستنبت، مما أدى إلى إحجام العديد من تجار اللؤلؤ الخليجيين، ومن رجال البحر والغواصين في منطقة الخليج العربي إلى الإحجام عن متابعة تلك المهنة الشاقة التي امتدت لآلاف السنين .
- ولادة النفط واستثماره في منطقة الخليج العربي في الثلاثينات من القرن المنصرم، شكلت الضربة القاضية لحقبة الغوص وتجارة اللؤلؤ، ودوام الحال من المحال .

صورة ملونة رقم / ٦ / ناقلات النفط



موسوعة الغوص واللؤلؤ — المجلد الثاني

الفصل الثاني

مصاعب و مخاطر
الغوص لصيد اللؤلؤ

موسوعة الغوص واللؤلؤ — المجلد الثاني

أولاً – مصاعب الحياة على متن سفينة الغوص :

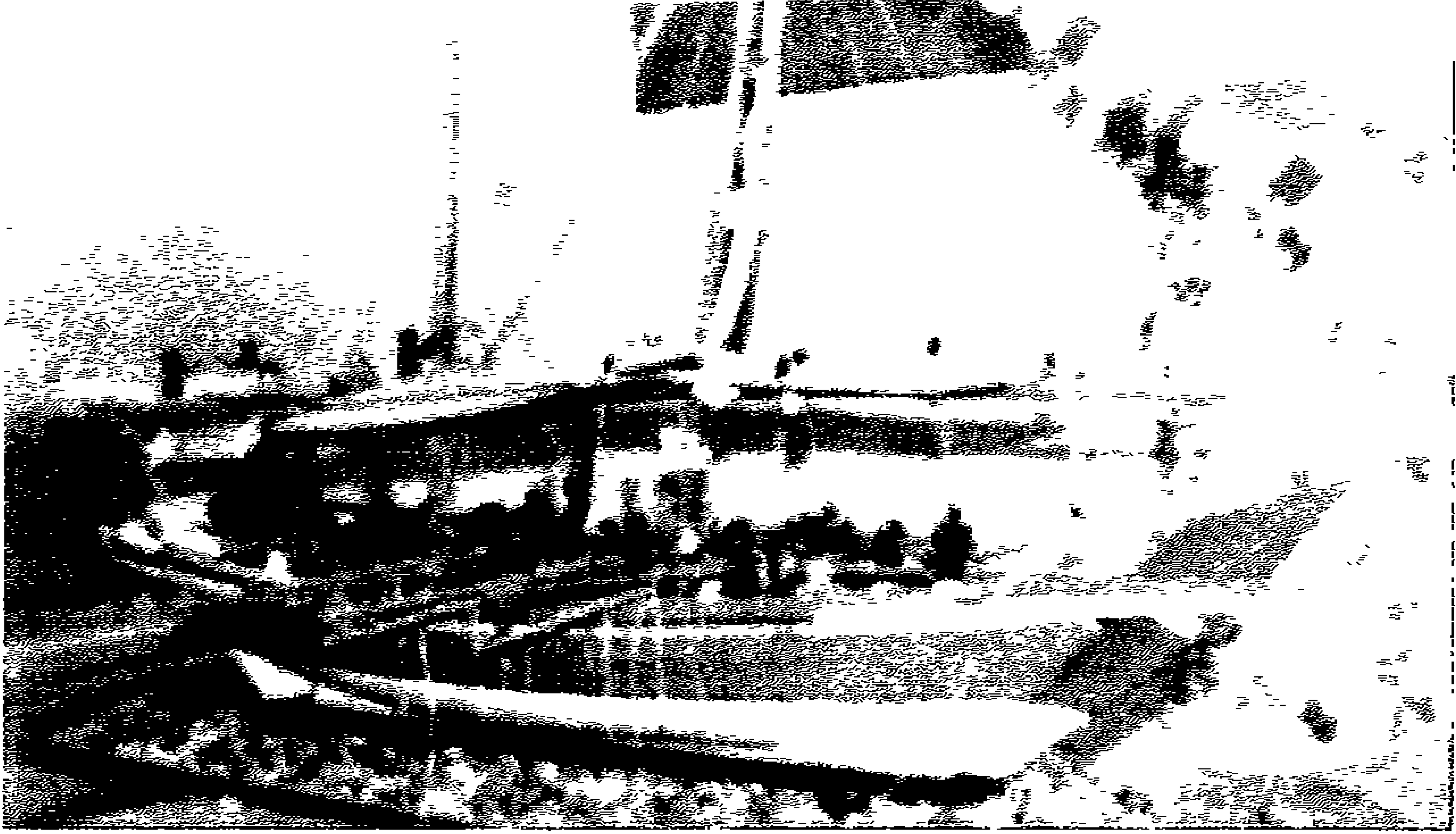
تعتبر مهنة الغوص على اللؤلؤ من أخطر مهن الماضي على الإطلاق؛ لأن مخاطر هذه المهنة لا تقف عند حدود إصابة جزء من الجسد البشري بضررٍ ما، بل تتجاوز هذا الحد لتصل إلى حدِّ الموت المحتوم عند الوقوع في أي خطأٍ محتملٍ، والأخطاء المحتملة التي كان رجال البحر والغواصون بشكلٍ خاص يتعرضون لها كثيرة جداً، ولذلك فإنه يتوجب علينا الوقوف بإكبارٍ وإجلالٍ لآبائنا وأجدادنا الذين عملوا في مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ، والذين صنعوا لنا بكفاحهم وعرقهم ترف الحاضر، ليضعوا بين أيدينا أمانة المستقبل .

ويسترجع الوالد خميس الرميثي شريط ذكريات تلك الأيام، فيقول :

" عندما يتم الإعلان عن قيام رحلة غوص، يتقدم الرجال الذين يرغبون في المشاركة في رحلة الغوص هذه، ويوقع

معهم النوخذة (بروة) أي عقد عمل، ويعطيهم شيئاً من المال لشراء احتياجاتهم واحتياجات عائلاتهم وأسرهم بشكل يكفيهم حتى يعود الغواص من رحلة الغوص، وكان أهل الغواصين يجهزون لهم ما سوف يحتاجون إليه في رحلتهم الطويلة، وعندما تحين ساعة الرحيل، يرتفع علم أسود اللون كنا نسميه (**النوف**) وتخرج الديرة كلها الصغار والكبار لوداع هؤلاء الذاهبين إلى المغاصات، ويدعون لهم بالسلامة، والعودة بالرزق الوفير، وعادةً ما يتكون طاقم المحمل من عشرين غواصاً، وعشرين آخرين يكونوا جالسين، وعدد مماثل لهم من الرجال يطلق عليهم (سيب) أي مساعد الغواص، بالإضافة إلى (النوخذة) ومساعده (المقدمي) ومع أذان الفجر، يستقيظ جميع من على ظهر سفينة الغوص للصلاة، وبعد الصلاة يتناولون التمر والقهوة، وبعد طلوع الشمس يبدأ الغوص "

صورة ملونة رقم / ٧ /



مجسم سفينة الغوص

وكانت عملية الغوص لصيد اللؤلؤ في أعماق الخليج العربي عمليةً صعبةً محفوفةً بالمخاطر والمصاعب الجمَّة، وسوف نحاول في هذا الفصل إلقاء الضوء على هذه المخاطر والمصاعب التي كانت تبدأ مع فجر اليوم الأول لموسم الغوص، ومع الميل الأول لإقلاع سفينة الغوص فوق الأمواج في عرض حوض بحر الخليج العربي، ولكي نتمكن من تخيل تلك المخاطر والمصاعب جيداً، علينا تخيل رحلة الغوص بشكلٍ جيدٍ أولاً، فرحلة الغوص الكبير كانت تبدأ مع بداية

موسم الصيف، وتنتهي بنهايته، أي أن رجال الغوص كانوا يعيشون ذلك الحر الرطب الخانق تحت أشعة الشمس اللاهبة في عُرض البحر على متن سفينةٍ تعجّ بحوالي مئة رجلٍ من البشر على اختلاف وظائفهم (سردال – نوخذة – مجدمي – غواص – سيب – نهام – رضيف – المطوع – المطري – راعي الشيرة – جنان – التباب – الغزال – الجعدي .. الخ) وكان يتوجب على أولئك الرجال الذين يعيشون في ضيق المكان مكدَّسين متلاصقين في صحوهم ونومهم، في ظل تلك الظروف المناخية الصعبة التي تهلك جلودهم وتشويها : [٥١] – [٥٢]

١ – أن يتعاملوا مع المجاديف والحبال التي تسلخ أكفَّهم .

٢ – ومع السكاكين، والأصداف، والمحار، والشعاب المرجانية ذات الرؤوس الحادة القاطعة التي تمزِّق لحمهم وتقرّحه .

---

[٥١] – مراجع الذاكرة الشعبية بتصرف المؤلف .

[٥٢] – د . فالح حنظل – معجم الغوص واللؤلؤ في الخليج العربي .

٣ - أن يصبروا على الجوع والعطش وشظف العيش، فطعامهم كان يقتصر على التّمر الذي تغزوه الحشرات والدّيدان، إضافةً إلى السّمك والأرز .

٤ - ومياه الشرب التي يفترض أن تكون عذبةً، لم تكن عذبة؛ لأنها حارة، غير نقية، تغزوها الحشرات والصراصير، وفوق هذا وذاك فهي محدودة الكمية، وتوزع بتقنينٍ على الجميع، حيث لا يستطيع الرجل في بعض الحالات الحصول على أكثر من خمسة، أو ستة أكوابٍ منها .

٥ - أما القاذورات الناجمة عن صيد وفلق المحار، والطبخ، وغسيل الأواني، فكانت تملأ المكان برائحتها التي تزحم الأنوف .

٦ - أضف إلى ذلك أن سفينة الغوص كانت خاليةً من المراحيض، وكان يتوجب على البحّار الذي يضطر لقضاء حاجته النزول إلى البحر لقضاء تلك الحاجة في المياه المالحة، ثم العودة إلى السفينة بعد ذلك .

٧ - ليس هذا وحسب، ففراش النوم لم يكن فراش نومٍ بالمعنى المتعارف عليه، بل كان نسيجاً من الحبال الخشنة تسمى (جودري) ويكفي أن نتخيل ذلك الغواص المسكين الذي كان يعمل تحت سطح الماء منذ بزوغ الشمس حتى غروبها، كيف سيكون بمقدوره النوم على هذا الجودري الخشن كالمبرد، بجلده الطري الرطب، المتشقق الملتهب في بعض الأحيان، وبجسده المتعب المنهك .

ثانياً – أمراض رحلة الغوص :

ولهذه الأسباب القاهرة الآنفة الذكر، وبسبب مشاقّ رحلة الغوص الطويلة، وبسبب انعدام الخضراوات والفواكه على متن سفينة الغوص، كان الغواصون بشكلٍ خاصٍ، وبقية رجال البحر بشكلٍ عامٍ يتعرضون للعديد من الأمراض، أهمها : [٥٣] _ [٥٤]

١ – مرض الإسقربوط الناجم عن عدم تناول الخضراوات والفواكه، ونقص فيتامين (ث) والذي يؤدي إلى تساقط الأسنان .

٢ – أمراض نقص المناعة، والانفلونزا، والزكام الناجمة عن عدم تناول الخضراوات والفواكه، ونقص فيتامين (ث) وكانت مؤخرة سفينة الغوص تعج بهؤلاء المرضى .

---

٥٣ - الوالد ناصر حسن الكاس، ومراجع الذاكرة الشعبية، ومجموعة من مراجع الموسوعة بتصرف المؤلف .

٥٤ – د . فالح حنظل – المرجع السابق .

٣ - أمراض المعدة الناجمة عن تلوث الأطعمة، والتي كانت تعالج بخلطةٍ من الأعشاب الطبيعية المطبوخة، ومن أشهرها خلطة (السنامكي) .

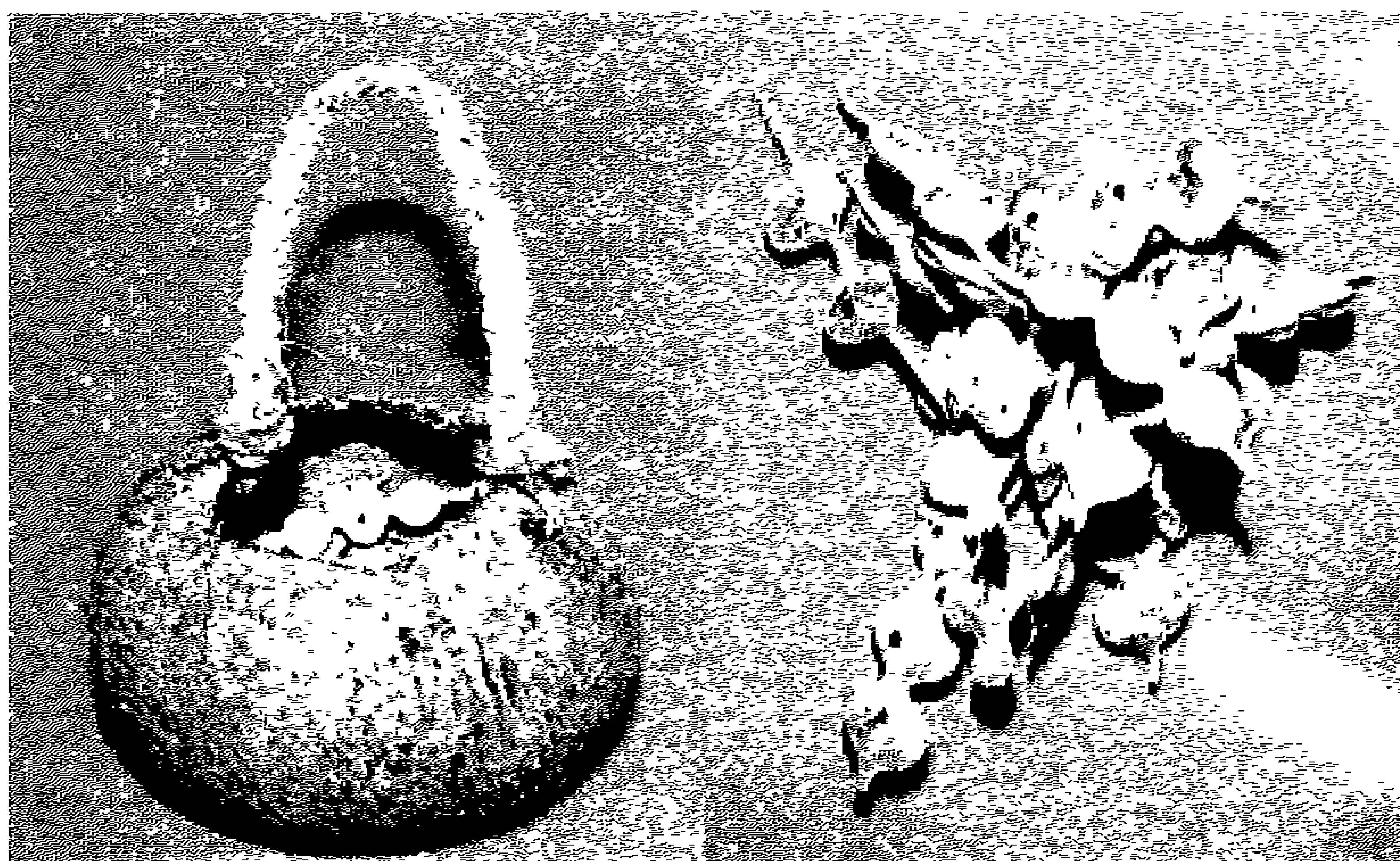
٤ - أمراض الصداع الناجمة عن الحرارة والرطوبة والتعب والضغط البحري تحت سطح الماء والتي كانت تعالج بخلطة السنامكي أيضاً .

٥ - مرض التسمط الناجم عن التعرض للحرارة، والرطوبة، وطول فترة البقاء تحت سطح مياه البحر المالحة، والذي كان يسبب احمرار جلد الغواص، وتشققه، وإصابته بالالتهابات المختلفة فيما يشبه حروق الدرجة الثالثة بسبب تعرضه لأشعة الشمس الحارقة، والذي كان يعالج بخليط من الجفت، والدباغ، والقرط، والهليلي، والكركم .

والقرط هو نوع من أنواع الأشجار المحلية، يطحن، ثم يعجن طحينه بالماء، ثم يمزج بالمواد الأخرى في طاسةٍ تسمى "كَبْعَه" مصنوعة من غلاف جوز الهند، وبعد حوالي / ٢٤ / ساعة

يتحول المزيج إلى مرهم يطلى به جسد الغواص أو البحار، وكانت عملية الدهن هذه تسمى " دباغه " فيقال : " ادِبْغوا على الغيص " أي قوموا بطلاء جسده بالخليط .

صورة ملونة رقم / ٨ /



" الكَبْعَة " وبداخلها نبات القرط — نبات القرط

٦ - أمراض التقرحات والالتهابات الجلدية الناجمة عن الحرارة، والرطوبة، وأشعة الشمس، وملوحة مياه البحر، والتي كانت تسمى " أم زليقه، أو أم زليكَه " والتي كانت تعالج بالقرط، والجفت، والهليلي، والكركم المنقوع بالماء .

٧ - مرض الطنان : أي انفجار طبلة الأذن بسبب الضغط البحري، أو بسبب فرس البحر الذي كان يهاجم عين، أو أذن الغواص، والذي كان يسمى " أبو زيزي " نسبة لصوت الأزيز الذي كان يصدره أثناء عدوانه على الغواص .

صورة ملونة رقم / ٩/



فرس البحر " أبو زيزي "

٦ – مرض الحشوة : أي مرض ضيق التنفس، أو الربو بسبب الحرارة والرطوبة .

٧ – مرض الشاق : أي مرض الصداع النصفي، والذي كان يعالج بالسنامكي .

٨ – أمراض تشقق الجلد، والتي كانت تعالج بخلطةٍ من الأعشاب النباتية الطبية (الجفت) أو (القرض) .

٩ – أمراض البثور والدمامل، والتي كانت تعالج بالكي.

١٠ – مرض الضرّ، أو مرض الصَّرع كما يسمى الآن، والذي كان يصيب الغواصين بشكلٍ خاصٍ بسبب الأهوال التي يواجهونها في قاع البحر، والذي كان يعالج بتلاوة آياتٍ من القرآن الكريم، يتلوها مطوع السفينة، أو بواسطة الوشم، والكي، والحجامة (مص الدم الفاسد من مؤخرة الرأس) .

١١ – مرض (السَّنا) أو الغيبوبة : والذي يصيب الغواص بسبب انقطاع نفسه أثناء صعوده السريع من قاع البحر إلى السطح، وقد يسبب هذا (السَّنا) موت الغواص، أو إصابته بالشلل . [٥٥] – [٥٦]

---

٥٥ – شبكة الإنترنيت .

٥٦ – مراجع الذاكرة الشعبية، ومجموعة من مراجع الموسوعة بتصرف المؤلف .

ثالثاً – مخاطر الأعماق :

في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ، كان الغواص رجلاً شجاعاً مقداماً بكل المقاييس والمعايير، وكان ذلك الشجاع المقدام يغوص في أعماق الخليج العربي بواسطة أدوات غوصٍ بدائية جداً،[٥٧] وكانت حياته تتوقف إلى درجةٍ كبيرةٍ على إيمانه بالله سبحانه وتعالى أولاً، وعلى شجاعته وحذره ويقظته ثانياً، وعلى رفيقه السيب الذي ينتظر إشاراته بحذرٍ بالغٍ ثالثاً، وإذا ارتكب السيب أي خطأٍ كان، ومهما كان بسيطاً وعارضاً، فإن حياة الغواص الذي يعمل في الأعماق تحت سطح البحر تصبح في خطرٍ حقيقيٍ، وفي مهب الريح، وكم من قصصٍ يرويها الغواصون ورجال البحر حتى الآن عن غواصٍ شجاعٍ صارع وحوش البحر المفترسة وهو عاري الجسد واليدين، سلاحه الإيمان والجرأة والشجاعة.

ويتحدث لوريمر في موسوعته ((دليل الخليج)) فيقول :

[٥٧] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – أدوات الغوص التقليدية القديمة – صفحة / ٣٥٣ / .

" إن العدد الكلي لسفن الغوص الكبيرة والصغيرة في منطقة الخليج العربي حتى عام ١٩٠٧ م بلغ حوالي / ٤٥٠٠ / سفينةً، يعمل على متنها حوالي / ٧٤٠٠٠ / ألف رجل، وكان إجمالي عدد السفن العاملة في مغاصات اللؤلؤ التابعة للإمارات حتى عام ١٩٠٧ م يبلغ / ١٢١٥ / سفينة، ومجموع عدد الرجال العاملين في الغوص في ذلك الزمن حوالي / ٢٢٠٤٥ / رجل " [٥٨]

وقبل أن نتحدث عن المخاطر التي كان الغواصون يتعرضون لها في أعماق الخليج العربي، نود أن نشير إلى أن الخطر الأكبر الذي كان يتعرض له قلة من الغواصين - حسب ما قرأناه، وما سمعناه من الغواصين ورجال البحر - يتجسد في الوساوس والهلوسة والخوف من الجنِّ والشياطين، في ظلّ معتقداتٍ خاطئةٍ، في مجتمعٍ كان يسوده الجهل والتخلف وقلة المعرفة، أما غالبية الغواصين فكانوا على درجةٍ عاليةٍ من الإيمان بالله سبحانه وتعالى تمكنهم من تحصين أنفسهم من

---

[٥٨] - لوريمر - موسوعة دليل الخليج .

هذه الهلوسات والمخاوف التي لا سند لها إلا الأوهام، وعلى هذا الأساس، فعدوّ الغواص الأول ليس سمك القرش، أو الفك المفترس كما يعتقد الكثيرون، لكنه ذلك العدوّ المبهم القادم من داخل الغواص، والذي غالباً ما كان يتجسد بالذّعر، أو الخوف من وهمٍ مجهولٍ، لا وجود له على مسرح الواقع، ونعتقد أن بعض تلك المخاوف كانت مبررةً في ذلك الوقت الذي كان فيه الغواص يعمل في الأعماق عارياً دون سلاحٍ، أو معداتٍ تحميه، ولم لا نبرر لغواص الماضي تلك المخاوف التي كانت تصيبه أحياناً في الأعماق، في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ الذي كان يفتقر إلى العلوم والمعرفة، إذا كنا نحن في عصرنا الراهن في القرن الحادي والعشرين، عصر النفط والعلوم والمعرفة والمعلومات، نشعر أحياناً بالخوف والذعر من مجهولٍ ما، ونحن نستمتع بالنور فوق سطح الأرض، ولا نعاني من ظلمة الأعماق تحت سطح البحر ؟؟!!

على أية حال، فإننا إذا تجاوزنا تلك المخاوف والهلوسات، وانتقلنا إلى واقع الماضي في أعماق الخليج العربي، فإن سمك

القرش، أو الفك المفترس هو العدو الحقيقي الأول والأخطر للغواص .

وفيما يلي سوف نستعرض أهم المخاطر المحتملة التي كان الغواص يتعرض لها في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ، في مرحلة ما قبل اكتشاف واستثمار النفط، أي عندما كانت عملية الغوص تتم بواسطة أدوات الغوص التقليدية القديمة :

١ – الخطر الأول – سمك القرش : [٥٩]

يقول الأستاذ **علي صقر السويدي** [٦٠] نقلاً عن الذاكرة الشعبية التي يتداولها الآباء والأجداد، إن سمكة قرشٍ كبيرةً التهمت رجلين غواصين شقيقين في آن واحدٍ بالقرب من جزيرة الياسات، [٦١] ويطلق الغواصون ورجال البحر على ذكر سمك

---

[٥٩] – نبيل مصطفى أبو شليب – د . ي . ب . غوبانوف – أسماك القرش في الخليج العربي .

[٦٠] – المؤرخ علي صقر السويدي .

[٦١] – في اجتماعٍ خاصٍ مع خبراء البحر والغوص في جمعية الإمارات للغوص والتراث بدبي تناولنا هذه الحادثة بالتحليل والنقاش المستفيض، وتبين لنا أن القرش لا يلتهم فريسته التهاماً، وإنما يمزقها إرباً إرباً بأسنانه الحادة التي تعمل كرحى الطاحون .

القرش " الجرجور " اسم " كلب السمك " لأن حاسة الشمّ لديه قوية جداً، فهو يشعر بفريسته من خلال حركتها، ومن خلال رائحة دمها إذا كانت تنزف، فينهشها كما تنهش الكلاب فريستها، وإذا تفحصنا فم الجرجور، فإننا سنجد فيه أسناناً قويةً وحادةً ومتشابهةً في عدة صفوف، ويعتبر سمك القرش ذئب البحر، وهو شجاع، بالغ القوة، يهيم في البحار والمحيطات منفرداً، أو ضمن مجموعاتٍ بحثاً عن فريسته، ويقول العلماء إن هنالك أكثر من / ٢٥٠ / نوعاً من أسماك القرش، تتراوح أطوالها من أربعة أقدام، إلى أربعين قدماً، بعضها مفترس، وبعضها غير مفترس، لكن سمك القرش الأبيض من أخطرها وأشرسها، وهو مزوّد بفكٍّ يحتوي على عددٍ من الأسنان يتراوح بين العشرين، وعدة مئات، أضف إلى ذلك أن جلد القرش، وزعانفه قد تتسبب بموت الغواص؛ لأن حراشف القرش حادة جداً، كالأسنان الصغيرة، فإذا ضرب القرش غواصاً بزعنفته، أو أصابه بجلده، فإنه سوف يمزق لحمه الطري تحت الماء .

وسمك القرش ذو هيكل غضروفي محاط بجسم دائري يشبه الطوربيد، وهو قادر على سماع أضعف الحركات، حتى ولو كانت بعيدةً عنه، ويتمتع بحاسة شمٍّ قويةٍ جداً تقوده نحو فرائسه .

صورة ملونة رقم / ١٠ /



سمك القرش

ويصنَّف سمك القرش واحداً من الحيوانات المفترسة التي تثيرها الأصوات، وتلفت انتباهها موجات حركات الأشياء والأحياء، ولمعانها، وتجذبها الروائح والألوان، وخاصةً روائح وألوان الدماء .

صورة ملونة رقم / ١١ /



الفك المفترس

ولذلك فقد تعلم الغواصون في الماضي حيلةً للتعامل مع سمك القرش، تقضي بالتصاق الغواص بقاع البحر إذا شاهد قرشاً،

ويستمر على حاله ملتصقاً بالقاع إلى أن يمرَّ القرش من فوقه، فإذا اطمأن إلى ابتعاده عنه، خرج إلى السطح بسرعة بالغة؛ لكي يخبر زملاءه، أما إذا أطال القرش بقاءه قريباً من الغواص، فإن هذا المسكين الذي لم يعد بوسعه البقاء فترةً أطول يضطر للمغامرة بحياته، والصعود إلى سطح الماء وهو في الرمق الأخير من المقدرة على حبس أنفاسه . [٦٢]ـ[٦٣]

<u>ومن أنواع سمك القرش :</u>

– القرش الأبيض – The Great White Shark

يتراوح طول القرش الأبيض ما بين / ١٦ – ٣٦ / قدم طولاً، ويزن حوالي / ٤٠٠٠ / رطلاً، ويعتبر من أكبر وأضخم وأسرع الأسماك المفترسة، حيث يسبح بسرعة تصل إلى / ٥٠ / ميلاً في الساعة عند ملاحقته لفريسته، ويستطيع القفز والتنقل من الأعلى للأسفل وبالعكس، وبسرعة كبيرة جداً، ويتميز بضخامة جسمه ودكانة لونه من المؤخرة .

---

[٦٢] – د . فالح حنظل – معجم الغوص واللؤلؤ في الخليج العربي .

[٦٣] – مراجع الذاكرة الشعبية، ومراجع أخرى .

صورة ملونة رقم / ١٢ /



القرش الأبيض

وهو يتغذى على الأسماك - القروش الصغيرة - الفرائس الكبيرة مثل : أسد البحر - كلب البحر - الحيتان الصغيرة ذات الأسنان المثلمة - ثعلب الماء - الحيوانات الميتة الطافية على سطح البحر - مخلفات السفن والموانئ، ويعيش قرب الشواطئ والسواحل المعتدلة في كل المحيطات .

وتلد أنثاه ما بين / ٢ - ١٤ / مولوداً، يبلغ طول المولود عند الولادة خمسة أقدام، وهو ككل القروش يقوم بعملية تخصيب البويضة داخل الأنثى، وبعد الولادة مباشرةً يبتعد الصغار عن أمهم لبدء دورة حياتهم الجديدة . [٦٤]

- القرش المطرقة – **The Hammerhead shark**

صورة ملونة رقم / ١٣ /



القرش المطرقة

يتراوح طول القرش المطرقة ما بين / ١٠ - ٢٠ / قدم طولاً، ويتغذى على الأسماك - القروش الصغيرة - الحبار -

[٦٤] - شبكة الإنترنيت .

الأخطبوط - القشريات – والقرش المطرقة ذو الحواف المدورة يعتبر من أخطر أنواع القروش على الإنسان، وهو يفضل العيش في المياه الدافئة، ويفضل البقاء في الأعماق، وتلد الأنثى ما يقارب من /٢٠ – ٤٠ / مولوداً، يصل طول الواحد منهم عند الولادة / ٢٧ / بوصة تقريباً . [٦٥]

– القرش ذو الزعنفة البيضاء من الأعلى

The Whitetip Reef shark

يصل طول القرش ذي الزعنفة البيضاء من الأعلى إلى حوالي ستة أقدام أو أكثر بقليل، ويتميز بعلامةٍ بيضاء عند أعلى الزعنفة الظهرية، وعند أعلى الزعنفة الذيلية، ويتغذى على الأسماك الصغيرة - الأخطبوط - السرطان البحري – القشريات، ويعيش في قاع البحر قريباً من الحيد المرجاني،

[٦٥] - شبكة الإنترنيت .

وقلّما يصعد إلى سطح الماء، ويعتبر من أنواع القروش الغير عدوانية .

ويتكاثر هذا النوع من أسماك القرش بأن يقبض الذكر على الأنثى بأسنانه من الخلف، ثم يثبتها بزعانفه الصدرية إلى أن يتم التزاوج، ويستمر حمل الأنثى حوالي ثلاثة عشر شهراً، لتلد خمسة توائم كحدٍ أقصى في كل حمل . [٦٦]

- القرش ذو الزعنفة السوداء من الأعلى

The Blacktip Reef Shark

يصل طوله إلى ستة أقدامٍ تقريباً، ويتغذى على أسماك الحيد المرجاني، والكافيار، وسمك البوري، ويعيش في مناطق الشعب المرجانية في المحيط الهندي، والمحيط الهادي، والبحر الأبيض المتوسط، لون جلده أزرق رمادي، وهو من أجمل القروش، وأصغرها حجماً، وأجملها رشاقةً، ويعتبر من الأسماك الولودة، حيث تحمل الأنثى لمدة ستة عشر شهراً ما

---

[٦٦] - شبكة الإنترنيت .

بين توأمين إلى أربعة توائم، ولا يهاجم الإنسان رغم اقترابه منه أحياناً .[٦٧]

- القرش النمري - The Tiger shark

يصل طوله إلى عشرين قدماً تقريباً، ويلقب بالزبّال؛ لأنه يأكل ويفترس كل ما يعترضه، ويعيش في قاع كل محيطات العالم الباردة والدافئة، لكنه يستطيع العيش خارج محيطه، حيث وجد في بعض الأنهار، وفي بعض البحيرات الضحلة، وهو قوي وسريع أثناء الانقضاض على فريسته، ويعتبر من أخطر أنواع القروش على الإنسان .

- القرش الأزرق - The Blue shark

يصل طوله إلى اثني عشر قدماً تقريباً، يأكل ويفترس أي شيء، ويعيش في المحيطات، وجميع البحار المفتوحة، وتلد

---

[٦٧] - شبكة الإنترنيت .

أنثاه حوالي / ١٣٥ / مولوداً بعد حملٍ طويلٍ يقارب السنة الكاملة، ويتميز بلونه الأزرق الفضي، وبأسنانه المسننة الثاقبة التي تساعده على الإمساك بفرائسه بقوةٍ وثباتٍ غير قابلةٍ للانزلاق .[٦٨]

- القرش الممرضة **The Nurse Shark**

يصل طوله إلى أكثر من اثني عشر قدماً، ويعيش في القاع، ويصطاد طعامه من الأسماك والحبار والأخطبوط والقشريات في الليل، ويفضل العيش قريباً من الشعب المرجانية في المياه الضحلة الدافئة، وهو حيوان ولود تحمل أنثاه ما يقارب من ثلاثين توأماً، ويتميز بفكه القوي جداً، وأسنانه الصغيرة جداً، وعدم مهاجمته للإنسان .[٦٩]

---

[٦٨] - شبكة الإنترنيت .

[٦٩] - شبكة الإنترنيت .

– القرش الحوتي – The Whale shark

يصل طوله إلى أكثر من خمسين قدماً، ووزنه إلى أكثر من خمسة عشر طناً، ولذلك فهو يعتبر أكبر وأضخم سمكة في الكون، ومع ذلك فهو لا يبتلع غذاءه بشكلٍ مباشرٍ على غرار ما تفعله أسماك القرش الأخرى، وإنما يقوم بفلترة غذائه من خلال عملية نخل الهوائم البحرية التي تدخل فمه الواسع مع الماء، حيث يعمل على طرد الماء من خياشيمه الخمسة الخاصة، ثم يحتفظ بغذائه من الأسماك الصغيرة والهوائم البحرية التي يقوم بعد ذلك بابتلاعها دفعةً واحدةً، ويستطيع هذا القرش عند تناوله لغذائه أن يبتلع ويطرد / ١٥٠٠ / جالون من الماء كل ساعة .

وعلى الرغم من حجمه الضخم الهائل، فهو قرش وديع هادئ مسالم، يقترب منه الغواصون، ويسبحون إلى جانبه،

ويلتقطون الصور معه، ولذلك فهو يسمى بالعملاق اللطيف، وهو يتكاثر عن طريق الولادة . [٧٠]

---

٧٠ – شبكة الإنترنيت .

٢ – الخطر الثاني – قنديل البحر " الدول " :

يطلق الغواصون وأهل البحر في منطقة الخليج العربي على قنديل البحر اسم " الدول " ويعتبرونه عدوَّهم الأوسع انتشاراً في البحر والأعماق، ومع أن حجمه لا يتجاوز حجم كفٍّ اليد الواحدة، إلا أنه يتسبب في التهاباتٍ وحروقٍ جلديةٍ مؤلمةٍ جداً .

وأذكر أن أحد رجال البحر كان قد شبه لي قنديل البحر بقنابل النابالم الحارقة المحظورة دولياً .

صورة ملونة رقم / ١٤ /



قنديل البحر الذي يسمى خليجياً " الدول "

وقنديل البحر حيوان بحري هلامي، يشبه قطعة حلوى الجيلي، مستدير الشكل، له زعانف طويلة تشبه خيوط الحرير الأبيض تسمى الشراشف، ومن أخطر أنواعه القناديل الحمراء التي تصبغ البحر باللون الأحمر عند انتشارها في بعض المواسم، وكان الغواصون في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ يعالجون إصابات حروق قنديل البحر " الدول " بالرماد والملح، أو بدهن " الصلّ " المستخرج من الأسماك الكبيرة، أو بمعجون التمر، حيث يقوم البحارة بإعداد قرصٍ من معجون التمر والملح والكركم، ثم يسخنون قرص المعجون على صفيحٍ ساخن، ثم يضعون قرص المعجون مكان الإصابة، وتجدر الإشارة إلى أن هذا القرص يصلح لمعالجة بعض أنواع الدمامل والقروح، وقبل أيامٍ من إنجاز هذه الموسوعة، شاهدت بأم عيني كيفية إعداد هذا القرص لعلاج أحد الأطباء بعد أن أصيب كفه الأيمن بمسمارٍ خشبيٍ ملوثٍ تسبب في التهاب وتقرّح كفّه، وبدلاً من تعاطي هذا الطبيب للمضادات الحيوية الصيدلانية المتعارف عليها، لجأ إلى هذا

الأسلوب من الطب الشعبي على يد أحد ممارسي الطب الشعبي، ونجح الأمر .[٧١]

وبشكلٍ عام، كان الغاصة يتّقون إصابات قنديل البحر المؤلمة بارتدائهم الشمشول، وكامل لباس الغوص الأسود، إضافة إلى طرطور الرأس، ولكن، وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات، فإنه ما من غواصٍ، أو بحارٍ عمل في الغوص لصيد اللؤلؤ إلا وأصيب بحروقٍ والتهاباتٍ ناجمةٍ عن المادة الجيلية التي يطلقها قنديل البحر الذي يسمى في لغة أهل البحر في منطقة الخليج العربي " الدول " .[٧٢]

[٧١] – مراجع الذاكرة الشعبية، والطبيب الذي أصيب كفه الأيمن هو الدكتور بسام بحار، الذي ساعدني في تفسير هذه الظاهرة العلمية على النحو التالي : يعمل الملح على امتصاص السوائل من الجسم، وعندما يوضع قرص عجينة الملح والتمر الساخن، فإنه يقوم بعملين متوازيين، الأول امتصتص السوائل من جسم الإنسان، والثاني امتصتص السوائل من جسم البكتريا، ولأن البكتريا غنية بالسوائل، فإنها تموت بهذه الطرقة التي تفرغها من سوائلها .

[٧٢] – مراجع الذاكرة الشعبية، ومراجع أخرى بتصرف المؤلف .

٣ – الخطر الثالث – ثعبان البحر :

ويطلق الغواصون وأهل البحر في منطقة الخليج العربي على ثعبان البحر اسم " أبو لجني " وهو يشبه الثعبان العادي إلى حدٍّ كبيرٍ جداً .

صورة ملونة رقم / ١٥ / ثعبان البحر " أبو لجني "





يصل طول ثعبان البحر إلى ثلاثة أمتارٍ تقريباً، ويسبح كالسمكة، ويعيش في القاع، لكنه يطفو على السطح أحياناً ومعظم أنواعه غير سامة، لكن أخطرها الثعبان الأصفر المرقط باللون البني، الذي يتميز برأسه الطويل الذي ينتهي بفمٍ صغير الحجم بفكين مزودين بصفين من الأسنان الرقيقة الحادة، ومع أن رأسه يبدو صغير الحجم للوهلة الأولى، إلا أنه يتسع لقضم رأس الغواص إذا فتحه .[٧٣]

وإلى جانب ثعبان " أبو لجني " الآنف الذكر، هنالك الثعبان الكهربائي الذي يدافع عن نفسه عند الشعور بالخطر بواسطة توليد طاقةٍ كهربائيةٍ قويةٍ من خلاياه تتراوح بين / ٣٥٠ / فولت، إلى / ٦٠٠ / فولت، وهي طاقة كهربائية تكفي لقتل الإنسان .[٧٤]

---

[٧٣] – بحارة جمعية ابن ماجد للفنون الشعبية والتجديف برأس الخيمة .

[٧٤] – شبكة الإنترنيت .

٤ – الخطر الرابع – الدجاجة :

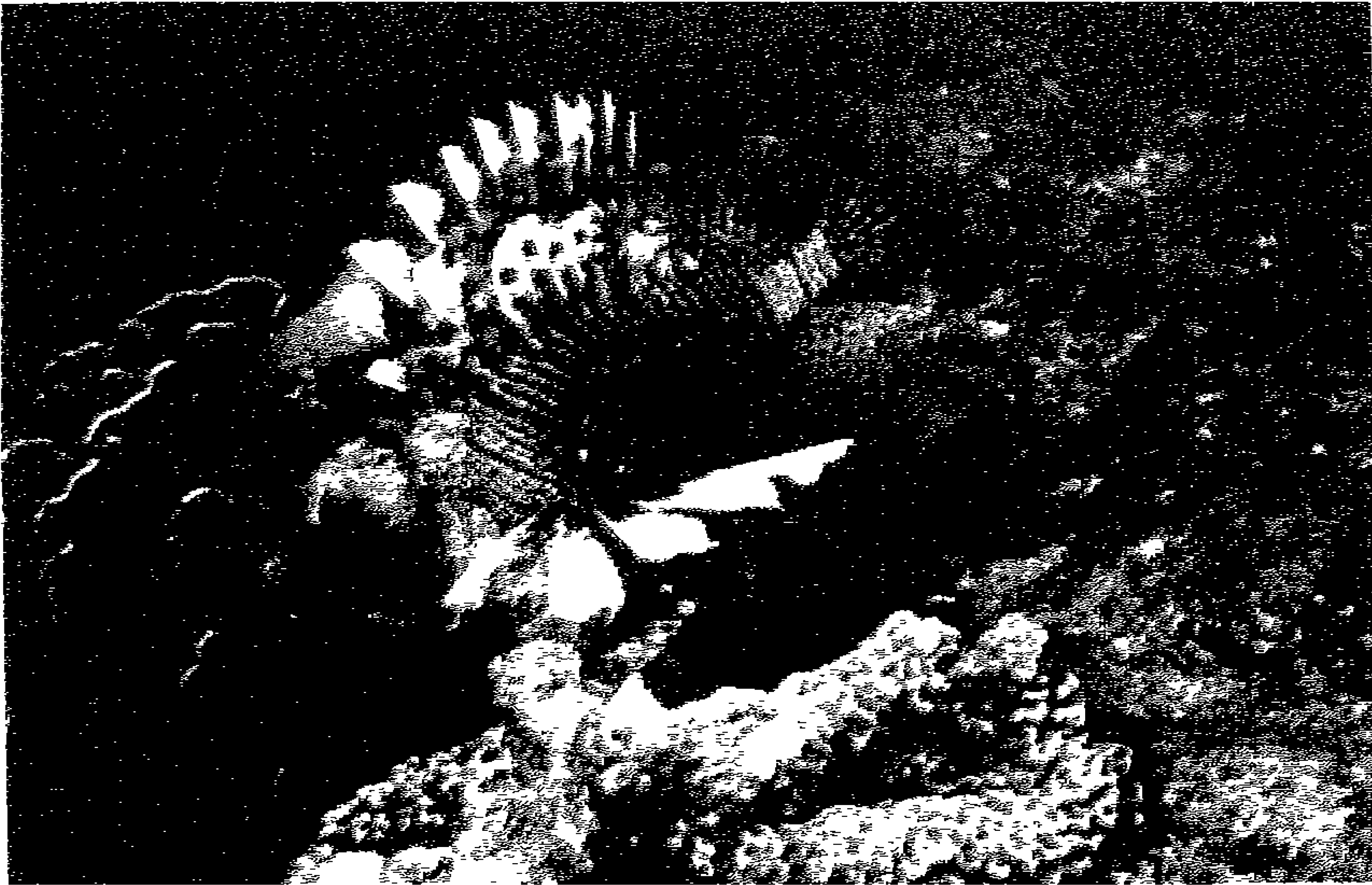
ويقصد بها دجاجة البحر التي يسميها أهل البحر في منطقة الخليج العربي بلهجتهم العامية " ديابة البحر " لأن حرف الجيم يقلب إلى حرف الياء في اللهجة الخليجية المحلية، كما يسميها البعض أيضاً " أسد لبحر "

ودجاجة البحر تشبه إلى حدٍّ كبيرٍ جداً الدجاجة العادية الراقدة على البيض، ويتراوح طولها من شبرٍ واحدٍ، إلى ذراعٍ واحدٍ كحدٍّ أقصى، ولها زعانف تشبه جناح الدجاجة، لكن فمها يشبه فم السمكة .

لونها أسود مرقَّط بنقاطٍ حمراء، وهي في حقيقة الأمر عبارة عن سمكةٍ ذات أشواكٍ سامةٍ تقذفها بقوةٍ نابذةٍ لتضرب بها أعداءها، ولأنها تعتبر الغواص من جملة أعدائها، فهي تبادر إلى ضربه بأشواكها السامة إذا اقترب منها في الأعماق،

وتعالج الإصابة بأشواك دجاجة البحر السامة بالأدوية المضادة للدغة العقرب .[٧٥]

صورة ملونة رقم / ١٦ /



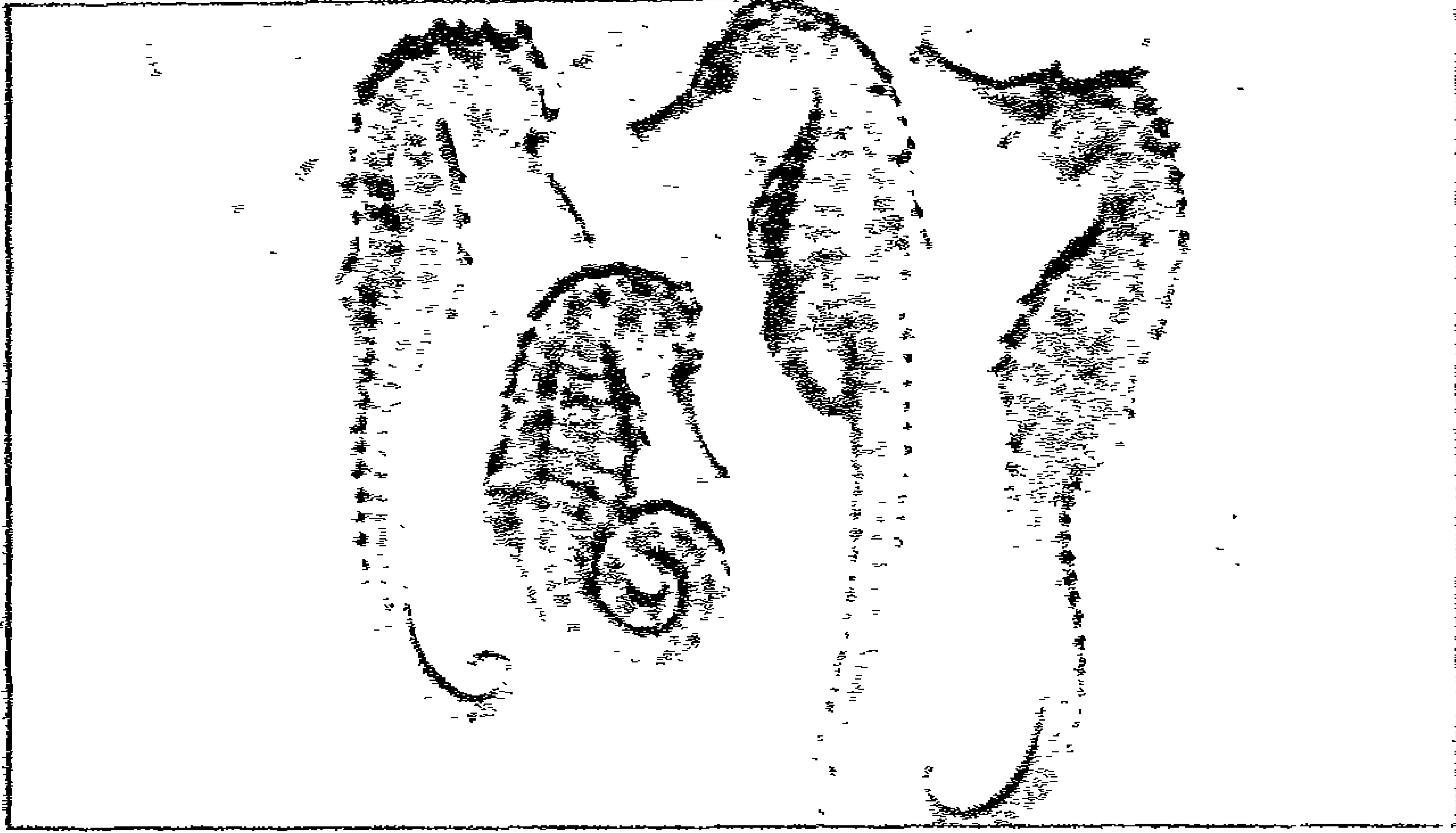
دجاجة البحر

---

٧٥ - شبكة الإنترنيت ومراجع أخرى بتصرف المؤلف .

٥ – الخطر الخامس – فرس البحر :

صورة ملونة رقم / ١٧ /



أبو زيزي

وهو سمكة صغيرة الحجم، يبلغ طولها في حوض الخليج العربي حوالي ثلاثة سنتيمترات، وجهها يشبه وجه الحصان، وفمها مدبب ودقيق، يطلق عليها أهل البحر في منطقة الخليج العربي اسم " أبو زيزي " لأنها تصدر صوتاً خفيفاً يشبه الأزيز عندما تدخل في معركةٍ ما للدفاع عن نفسها، ولأنها تعتقد

أن الغواص أحد أعدائها، فإنها تبادر إلى مهاجمته بنقر عينيه وأذنيه، فتصيبه بأضرارٍ بالغةٍ أحياناً .[٧٦ – ٧٧]

٦ – الخطر السادس – الرماي :

وهو نوع من قواقع البحر الصغيرة الحجم، أسود اللون، مزود بأشواكٍ غليظةٍ يضرب بها الغواص إذا مدَّ يده إليه، فيسبب له آلاماً مبرحة لا تسكن إلا إذا حك الغواص يده المصابة بشعر رأسه .[٧٨]

٧ – الخطر السابع – قنفذ البحر :

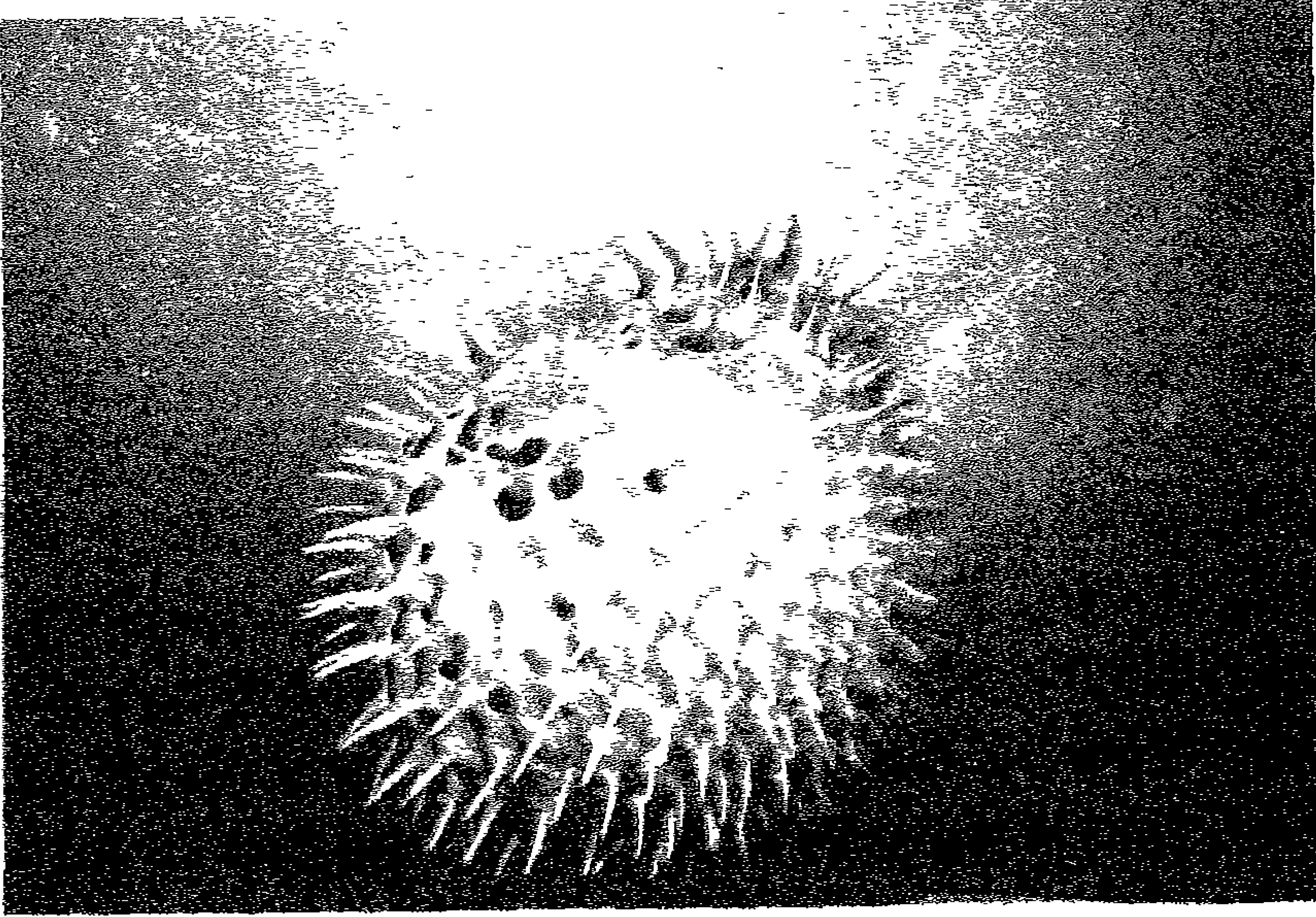
وهو حيوان بحري مزود بأشواك غزيرة وسامة أحياناً، وهو يقوم بقذف هذه الأشواك عند شعوره بالخطر .

[٧٦] – شبكة الإنترنيت .

[٧٧] – د . فالح حنظل – معجم الغوص واللؤلؤ في الخليج العربي، ومراجع أخرى .

[٧٨] – مصادر الذاكرة الشعبية، والطب الشعبي .

صورة ملونة رقم / ١٨ /



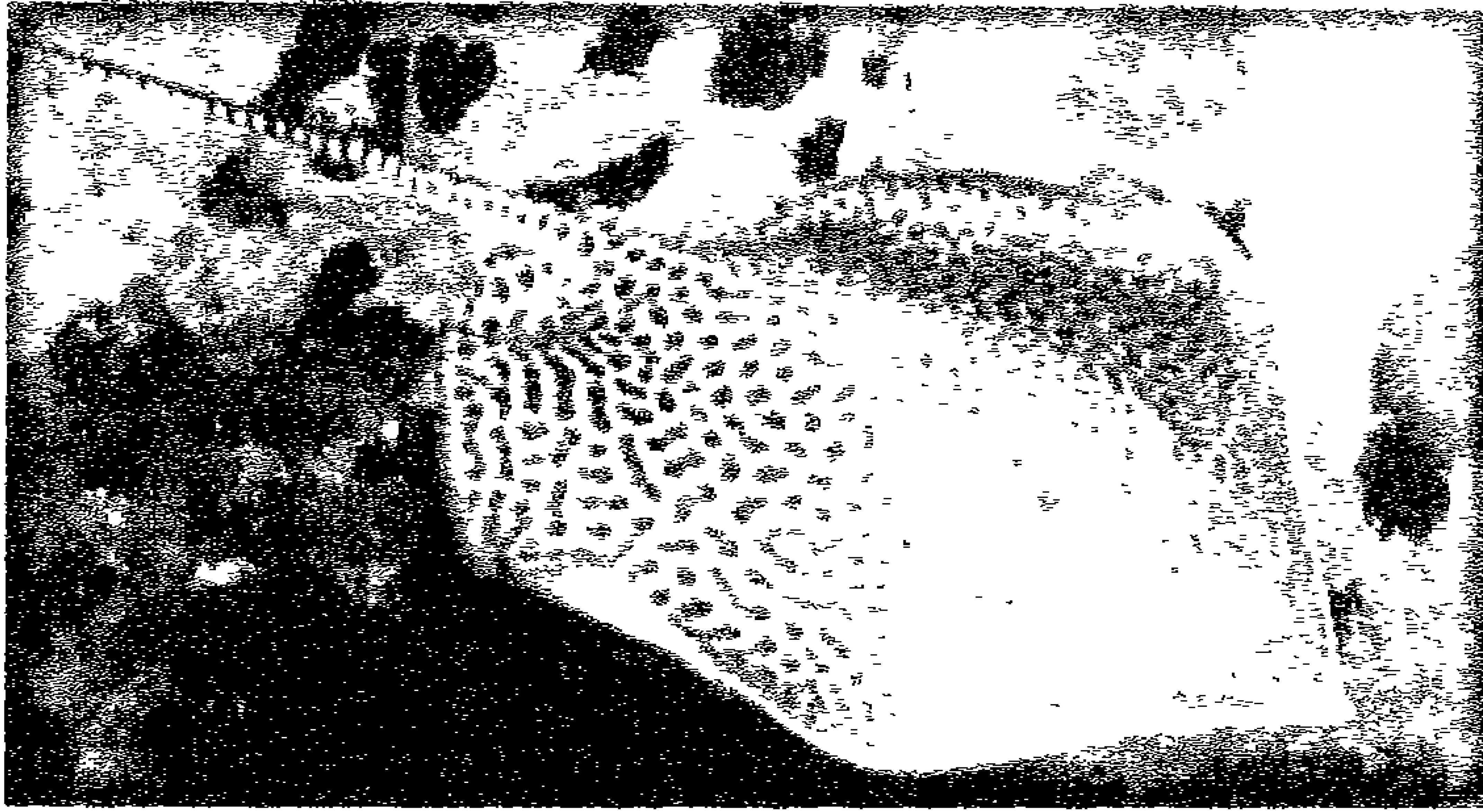
قنفذ البحر

فإذا اقترب الغواص منه دون أن يراه أو يشعر به، قذفه بأشواكه السامة المؤلمة، التي لا يستطيع الغواص النجاة منها إلا نادراً .

٨ – الخطر الثامن – اللخمة :

وهي سمكة مستديرة الشكل، مزودة بذيلٍ طويلٍ مزودٍ بشوكةٍ سامةٍ في منتصفه .[٧٩]

صورة ملونة رقم / ١٩ /



اللخمة

وإذا صادفت هذه السمكة غواصاً في الأعماق بادرت إلى ضربه بذيلها المزود بشوكة سامة، تسمم الغواص الذي

[٧٩] – شبكة الإنترنيت .

يصاب بما يشبه صعقة التيار الكهربائي، وتعالج هذه الإصابة عادةً بالكي بالنار .[٨٠]

وإذا كانت اللخمة كبيرة الحجم، فإنها تتسبب بموت الغواص، أما إذا كانت صغيرة الحجم، فإن إصابتها تعالج بكمادات الرماد الحار، والملح، والتدليك المستمر .

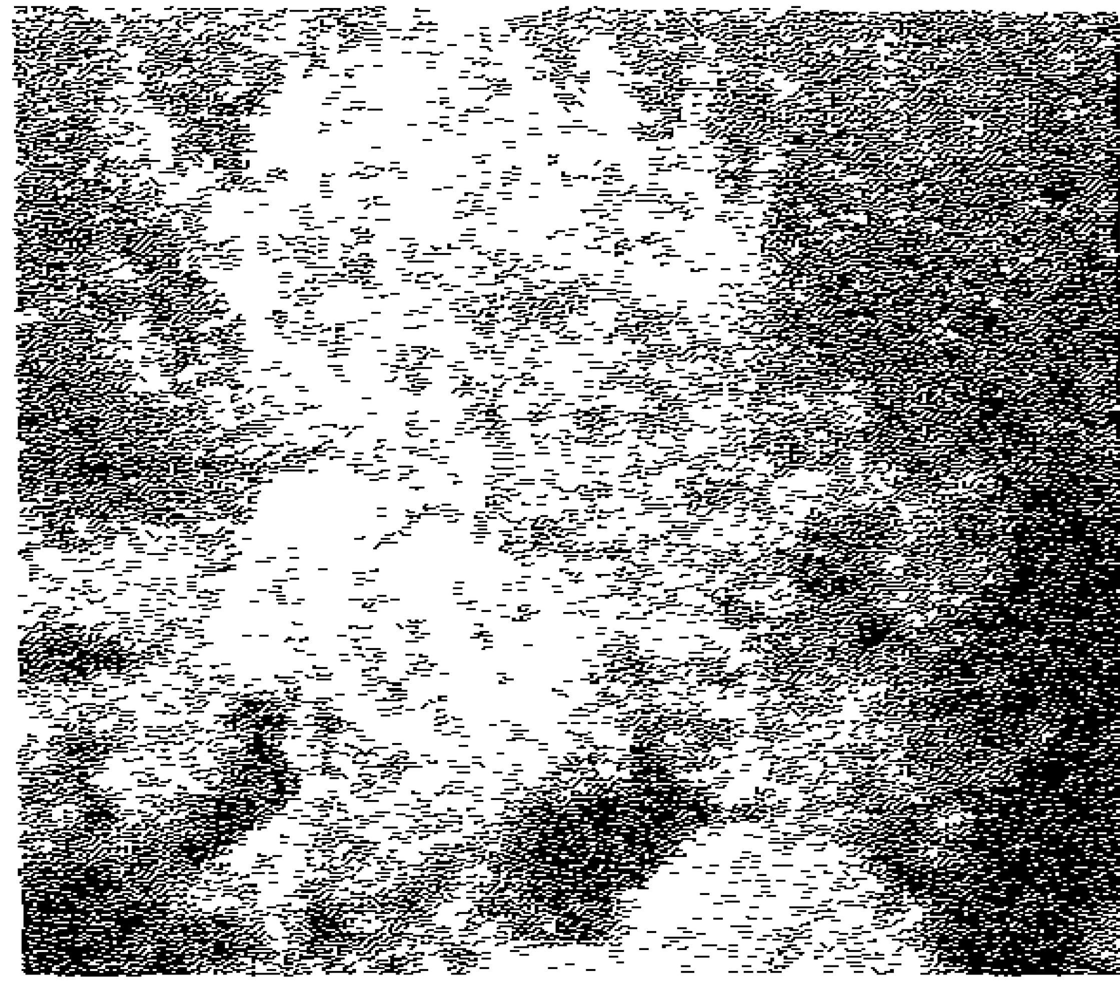
ونستطيع القول إن أكثر الكائنات البحرية سموماً هى ثلاثة أنواع، يعتبر سمها نوعاً من أنواع البروتين السام، وهي :

- السمكة العقربية .
- السمكة الصخرية .
- دجاجة البحر .

---

٨٠ – ناصر حسن الكاس آل علي / جمعية ابن ماجد للفنون الشعبية والتجديف برأس الخيمة – أسماك من الإمارات .

صورة ملونة رقم / ٢١ / الأسماك السامة



سمكة العقرب



السمكة الصخرية



دجاجة البحر

وتعتبر السمكة العقربية الأكثر خطورةً لوجود عددٍ من الأشواك السامة على ظهرها، فما من غواصٍ يخطئ بوضع قدمه أو يده عليها، حتى تخترق أشواكها السامة جلده

الطري، ليدخل السم مباشرة إلى دمه، أما السمكة الصخرية فهي أشبه ما تكون بالسمكة العقرب، لكنها لا تحمل إلا شوكةً واحدةً فقط على ظهرها، وبواسطتها تسمم كل من يلمسها، كذلك دجاجة البحر الجميلة المنظر، مزودة بشوكةٍ سامةٍ واحدةٍ فقط، وتتوارى هذه الأسماك السامة بين الصخور، وخاصة السمكة الصخرية الشبيهة بالصخور، والتي يصعب تمييزها عن هذه الصخور، ولهذا سميت " السمكة الصخرية " .

ومن الناحية العلمية، يصنف سم هذه الأسماك كنوعٍ من أنواع البروتين السام، يجب أن تتم معالجته فوراً قبل أن يتجمد، ويفسد، ويتحلل في دم الإنسان، وعلى هذا الأساس، فإن معالجة الإصابة بهذا السم البروتيني تكون بوضع المكان المصاب من جسم الإنسان في ماء ساخنٍ بدرجة حرارةٍ تزيد عن أربعين درجة مئوية، وتتناسب مع مقدرة تحمل الإنسان، ولفترةٍ زمنيةٍ تزيد عن عشرين دقيقة .

٩ – الخطر التاسع : خطر سكرة الأعماق :

في أعماق البحر، وبسبب ضغط كتلة الماء الضاغطة على رأس الغواص، يصبح الغواص في الأعماق أقل اتزاناً مما هو عليه فوق سطح الماء، فإذا كان هذا الغواص حديث العهد بالغوص، وقليل الخبرة، فإنه يتعرض لما يسمى بسكرة الأعماق التي قد تودي بحياة الغواص في زمن الغوص بواسطة الجسد الأعزل إلا من الفطام، والخبط، والدراعة، والشمشول، دون وسائل الغوص الحديثة التي يضم بعضها وسائل الاتصال التي تساعد الغواص على الاتصال برفاقه العاملين على متن السفينة فوق سطح البحر إذا شعر أنه يقترب من أي خطرٍ كان .[٨١]

[٨١] - Adventures – Padi .

١٠ – الخطر العاشر : مخاطر ضعف الرؤية في الأعماق :

وفي زمن الغوص لصيد اللؤلؤ الذي كان فيه الغواص يعتمد على قدراته البدنية الذاتية، وعلى أدوات غوصٍ تقليديةٍ قديمةٍ،[٨٢] كان ذلك الغواص في ذلك الزمن يعتمد على عينيه المجردتين لرؤية الأشياء في الأعماق .

وبسبب ضعف الرؤية في الأعماق، كان الغواص فيما مضى يعرض نفسه لمخاطر كثيرة ومختلفة كنا قد ذكرناها آنفاً، كأسماك القرش، واللخمة، وبقية الأسماك الخطرة السامة، وذلك عندما يقترب منها دون حذرٍ أو انتباه؛ لأنه بطبيعة الحال لم يتمكن من رؤيتها جيداً .

٨٢ – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – أدوات الغوص التقليدية القديمة – صفحة / ٣٥٣ / .

١١ – الخطر الحادي عشر – مخاطر حبال الغواص :

ونعني بحبال الغوص، أو حبال الغواص، حبلي : " اليدا " [٨٣] و " الزيبن "[٨٤] .

وحبل اليدا، أو الأيدة كما ذكرنا آنفاً، هو الحبل الذي يصل الغواص الذي يعمل تحت سطح الماء في قاع البحر، بالسِّيب[٨٥] الذي يعمل على متن سفينة الغوص فوق سطح الماء، والذي يقوم بمراقبة وسحب الغواص إلى السطح، ويصل طول هذا الحبل إلى ثمانين متراً تقريباً، ويكون طرفه الأول بيد السيب لاستقبال إشارات الغواص المتعارف عليها، وطرفه الثاني مع الغواص في الأعماق، مربوط إلى قوس الديين[٨٦]، أما **حبل الزيبن**، فهو الحبل الذي يصنع من ألياف النخيل، والذي تعقد بطرفه كتلة الرصاص، أو حجر المثقال [٨٧]الذي يستخدمه الغواص لسرعة النزول إلى قاع البحر،

[٨٣] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – أدوات الغوص التقليدية القديمة – حبل اليدا – صفحة / ٣٥٨ / .

[٨٤] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – أدوات الغوص التقليدية القديمة – حبل الزيبن – صفحة / ٣٦١ / .

[٨٥] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – وظائف البحارة على متن سفينة الغوص – السيب – صفحة / ٣٧٩ /.

[٨٦] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – أدوات الغوص التقليدية القديمة – الديين – صفحة / ٣٥٧ / .

[٨٧] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – أدوات الغوص التقليدية القديمة – المثقال – صفحة / ٣٦٠ / .

والذي يسحبه السيب إلى الأعلى فور وصول الغواص إلى القاع، ويصل طوله إلى أربعين متراً تقريباً .

وخطورة هذين الحبلين بالنسبة للغواص تكمن في احتمال التفاف أحدهما، أو كليهما حول رقبته أثناء نزوله السريع إلى الأعماق بواسطة المثقال، أو في الأعماق، في اللحظة التي يقوم فيها السيب بسحب الحبل بسرعةٍ وقوةٍ إلى الأعلى، مما يعني موت الغواص اختناقاً تحت سطح الماء، أو انقطاع حبل اليدا لسببٍ ما خلال وجود الغواص في الأعماق تحت سطح البحر .

١٢ – الخطر الثاني عشر – مخاطر خطأ السيب :

السيب هو الرجل القوي المفتول العضلات، اليقظ الحذر الشديد الانتباه الذي لا يرف له جفن عندما يكون الغواص تحت سطح الماء، وهو الرجل الذي يجلس عند حافة السفينة وهو يمسك بطرف حبل اليدا المتصل مع الغواص الذي يعمل تحت سطح الماء في الأعماق؛ لاستقبال إشاراته التي يقوم بإرسالها بواسطة هز الحبل بطريقةٍ متعارفٍ عليها، وعلى هذا الأساس فالسيب هو الرجل المسؤول المباشر عن أمن وسلامة حياة الغواص؛ لأن أي خطأ أو هفوةٍ بسيطة قد يرتكبها بدءاً من اللحظة التي يترل فيها الغواص البحر، ولغاية لحظة عودته إلى السطح، قد تكلف الغواص حياته[٨٨] .

وإضافةً إلى قوته الجسدية والعضلية، وإضافةً إلى يقظته وحذره البالغ، يتمتع السيب بخبرةٍ عاليةٍ أيضاً في مجال الضغط البحري الواقع على رأس وأذني الغواص، ولذلك فهو – أي السيب – لا يقوم بسحب الغواص بسرعةٍ بالغةٍ دفعةً واحدةً

٨٨ - أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – وظائف البحارة على متن سفينة الغوص – السيب – صفحة / ٣٧٩ /.

من الأعماق إلى السطح عندما يكون الغواص يعمل تحت سطح الماء، على عمقٍ يزيد عن عشرة أمتار، بل يقوم بسحبه على مراحل متدرجة تتفاوت حسب الأعماق التي يعمل الغواص فيها، وحسب الزمن الذي يقضيه الغواص تحت سطح الماء، إذ تتفاوت قدرات الغواصين على البقاء تحت الماء دون تنفس .

وبسبب دقة وأهمية عمل السيب، يكون عادةً عدد رجال السيب على متن سفينة الغوص، أكثر من عدد رجال الغوص " الغواصين " .

ونستطيع القول إن عمل السيب هو العمل الأخطر والأدق على ظهر سفينة الغوص .

ويحكى أن العديد من الغاصة كانوا يلازمون السيب الذي يعملون معه طيلة حياتهم، فلا يفرق بينهم إلا الموت، وعلى هذا الأساس فإن أي خطأ يرتكبه السيب على متن السفينة عن سهوٍ، أو تباطؤٍ في ردّة الفعل، أو فهمٍ خاطئ لإشارة

الغواص، أو تقديرٍ خاطئٍ لعمق طبقات الضغط البحري سيؤدي إلى كارثةٍ حقيقيةٍ بالنسبة للغواص، تبدأ بإصابته بالشلل، وتنتهي بوفاته .

ولكي ندرك مخاطر خطأ السيب في عملية سحب الغواص من الأعماق للأعلى دفعةً واحدةً، وتأثير ذلك على دماغ الغواص الذي قد تتخلّله فقاعات هوائية فتقضي عليه، أو تصيبه بالشلل، فسوف نستعرض الجداول التالية التي وردت في دليل **PADI** للغواص المبتدئ، والتي تبين :

- العلاقة بين زيادة ضغط الماء ونقص حجم الهواء داخل الفراغ الهوائي .
- العلاقة بين معدل الضغط الجوي والعمق .
- العلاقة بين زيادة ضغط الماء وكثافة الهواء داخل الفراغ الهوائي . [٨٩]

---

[٨٩] - دليل padi للغواص المبتدئ .

الجدول رقم (١) : [٩٠]

العلاقة بين زيادة ضغط الماء ونقص حجم الهواء داخل الفراغ الهوائي .

العمق	الضغط	حجم الهواء
٠ قدم	١ ض.ج	ملآن
٣٣ قدم	٢ ض.ج	١/٢ ملآن
٦٦ قدم	٣ ض.ج	١/٣ ملآن
٩٩ قدم	٤ ض.ج	١/٤ ملآن

٩٠ – دليل – Padi – المرجع السابق .

الجدول رقم (٢) :

العلاقة بين معدل الضغط الجوي والعمق .[٩١]

العمق	الضغط
٠ قدم	١ ض.ج
٣٣ قدم	٢ ض ج
٦٦ قدم	٣ ض.ج
٩٩ قدم	٤ ض.ج

[٩١] – دليل - padi – المرجع السابق .

الجدول رقم (٣) :

العلاقة بين زيادة ضغط الماء وكثافة الهواء داخل الفراغ الهوائي . [٩٢]

العمق	الضغط	حجم الهواء	كثافة الهواء
٠ قدم	١ ض.ج	١	× ١
٣٣ قدم	٢ ض.ج	١/٢	× ٢
٦٦ قدم	٣ ض.ج	١/٣	× ٣
٩٩ قدم	٤ ض ج	١/٤	× ٤

[٩٢] - دليل padi - المرجع السابق .

١٣ – الخطر الثالث عشر – خطر الأمراض المعدية :

كما سبق وذكرنا فإن سفن الغوص لم تكن تعرف حدوداً سياسيةً في بحر الخليج العربي، وكانت كل سفينة ترسو عند المغاص " الهير " الذي يحلو لنوخذتها وبحارتها، وقلنا أيضاً إن بحارة تلك السفن كانوا على احتكاكٍ دائمٍ ببعضهم بشكلٍ مباشرٍ، أو بشكلٍ غير مباشرٍ من خلال الطواويش الذين كانوا يتنقلون بواسطة سفنهم ومراكبهم بين سفن الغوص، يشترون اللؤلؤ من البحارة، ويبيعونهم كل ما يحتاجونه من المواد التموينية والغذائية والأدوات البحرية، ويقدمون لهم الخدمات البريدية أيضاً، فيقومون بإيصال رسائلهم وحاجياتهم إلى ذويهم، ولعل هذه الميزات الإيجابية هي ميزات سلبية أيضاً في آنٍ معاً؛ لأن هذا الاتصال والتواصل المباشر وغير المباشر كان يتسبب في نقل الأمراض المعدية بين البحارة، كما أن إبحار بعض سفن الغوص إلى جزيرة سقطرة، وجزر سيلان، وساحل أفريقيا، وإلى مواقع أخرى، كان يعني أمراضاً جديدةً معديةً، وهذا ما كان ينطبق على

تجار اللؤلؤ الذي يحملون اللؤلؤ إلى أسواق بومباي في الهند، وأسواق سيلان، والبحرين، والكويت، وباريس، ولندن .

ولأن اللؤلؤ كان يعني ثروةً حقيقيةً كما هو النفط في زماننا الراهن، فإن مخاطر زمن الغوص لصيد تلك الثروة لم تكن تنحصر في المخاطر الآنفة الذكر، بل كانت تتعداها إلى مخاطر الصراع للاستيلاء على تلك الثروة، ونستطيع القول إن تلك الصراعات كانت رحاها تدور في ساحة محورين اثنين، يتمثل الأول في الصراعات الاجتماعية الداخلية، ويتمثل الثاني في مخاطر صراعات المطامع الخارجية .

المحور الأول

الصراع الداخلي

ببساطةٍ متناهية، ومنذ قديم الأزل، وفي كل أرجاء المعمورة، كان التجار الذين يتاجرون بكل بضائع الدنيا يقولون عن عملهم :

" التجارة ربح وخسارة "

وهذا ما كان ينطبق على تجارة اللؤلؤ أيضاً؛ لأن اللؤلؤ في نهاية المطاف سلعة تجارية قابلة للربح والخسارة عند المتاجرة بها في أسواقها، مثلما هي قابلة للكساد والازدهار، وقد شهدت سلعة اللؤلؤ فترات ازدهار، مثلما شهدت فترات كساد .

وإذا كان الازدهار يعني وفرة المحصول والأرباح، فإن الكساد الذي يعني الوقوع في الخسائر، يستوجب دراسة أسبابه لمعرفتها أولاً، ولتلافيها ثانياً .

وتعزو المصادر التاريخية أسباب الكساد الملحوظ الذي أصاب تجارة اللؤلؤ في الماضي إلى عدة مشكلات، أهمها :

١- لعبت الغارات القبلية المتكررة دوراً هاماً في إحجام بعض الغواصين، والبحارة، والنواخذة، وأصحاب السفن عن المشاركة في بعض مواسم الغوص التي حدثت فيها تلك الغارات، بسبب الأضرار الناجمة عنها، والتي أصابت أولئك البحارة بشكلٍ مباشرٍ، أو غير مباشر .

٢- خلقت تلك الغارات حالة توترٍ عامةٍ في القبائل، استوجبت شكلاً من أشكال استنفار رجال القبيلة، الأمر الذي انعكس على موسم الغوص؛ لانشغال معظم رجاله المتوترين في استنفار قبيلتهم التي تحتل الأولوية في حياتهم .

٣- تدخل سلطة الإمارة في بعض حملات مواسم الغوص، بإصدارها عقوباتٍ تمنع بموجبها بعض الغواصين والبحارة من مزاولة مهنة الغوص، ساهم في خلخلة توازن ومردود ذلك الموسم .

٤- فرض سلطة الإمارة الضرائب المجحفة أحياناً على كل سفينة غوص، مما أدى إلى كسادٍ في محصول اللؤلؤ، بسبب تراجع بعض التجار عن شرائه لارتفاع أسعاره، وتراجع الطلب على شرائه، وتدني أرباحه .

٥- قسوة بعض النواخذة في التعامل مع الغواصين والبحارة تسببت في هروب بعض الغواصين والبحارة المهرة من العمل في موسم الغوص على اللؤلؤ .

٦- عدم وجود قوانين عربية تنظم عملية صيد اللؤلؤ من مغاصات الخليج العربي في موسم الغوص على اللؤلؤ، فتح الباب على مصراعيه أمام القوانين الأجنبية لتنظيم تلك العملية لصالح الأجنبي في نهاية المطاف، الأمر الذي أدى إلى

حرمان العديد من السفن العربية، والغواصين والبحارة العرب من دخول مواقع مغاصات اللؤلؤ في الخليج العربي .

٧- ساهمت تلك القوانين الأجنبية إلى حدٍّ كبيرٍ في خدمة مصالح الشركات الأجنبية، التي حظيت بامتيازاتٍ خاصةٍ لصيد اللؤلؤ في الخليج العربي، مما أدى إلى استنزاف الأصداف والمحار بكمياتٍ كبيرةٍ .[٩٣]

[٩٣] - د . سالم راشد تريس القمزي – مواقع صيد اللولو وتجارته في دولة الإمارات العربية المتحدة .

المحور الثاني

الصراع الأجنبي الخارجي

مخاطر زمن الغوص لصيد اللؤلؤ لم تكن تتوقف عند حدود المخاطر الآنفة الذكر، والتي استعرضنا فيما سلف أهمها وأعمها، وليس مجملها، والتي كان يتعرض لها الغاصة والبحارة في كل مواسم الغوص، بل كانت بعض المخاطر تتجاوز حدود الغواصين، والبحارة، والبحر، والسفن، والمغاصات " الهيرات " والمواسم لتنتشر وتمتد على كامل مساحة منطقة الخليج العربي الاستراتيجية، التي كانت في تلك الفترة تحتل مركزاً تجارياً استراتيجياً أيضاً، باعتبارها الممر المائي، والطريق البري الذي تمر به قوافل التجارة من شمال الجزيرة العربية، ومن جنوب آسيا، وشرق أفريقيا لتنتقل منها وإليها مختلف البضائع، وفي مقدمتها اللؤلؤ الذي كان ينقل بواسطة التجار إلى أسواق عربية، كسوق البصرة، وبغداد، ودمشق، وبيروت، حيث كانت صفقات

بيع اللؤلؤ للحكام والأثرياء تتم في تلك الأسواق بأعلى الأسعار، ومن تلك الأسواق كان اللؤلؤ ينتقل أيضاً إلى أوربا ليحقق أرباحاً إضافيةً تغري القوى العظمى للتنافس على السيطرة على منطقة الخليج العربي، وبعد اكتشاف البرتغالي فاسكو دي غاما طريق رأس الرجاء الصالح[٩٤] الذي أدى إلى دخول الاستعمار الأوربي الغربي حوض الخليج العربي[٩٥]، تحولت منطقة الخليج العربي إلى حلبة صراع بين القوى العظمى في ذلك الوقت لامتلاك ثرواتها، والسيطرة على منافذها وطرقها التجارية، وهكذا .. فاللؤلؤ في منطقة الخليج العربي قبل النفط، يساوي النفط في منطقة الخليج العربي بعد اللؤلؤ، أي أن منطقة الخليج العربي التي استهوت القوى العظمى للتنافس فيما بينها، للسيطرة عليها؛ لحساسية وأهمية موقعها الجغرافي الاستراتيجي، استهوتها أيضاً للتنافس، بل

---

[٩٤] - إبراهيم حوري – أحمد بن ماجد واستحالة لقائه بفاسكو دي غاما .

[٩٥] - اكتشف فاسكو دي غاما طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨ مما مهد الطريق لسيطرة البرتغاليين على منطقة الخليج العربي، وفتح الباب على مصراعيه لصراعٍ أوربيٍ أوربي على هذه المنطقة استقرّ في نهاية المطاف لصالح البريطانيين، وقد اتهم الربان والملاح العربي الجلفاري أحمد بن ماجد بإرشاد دي غاما إلى طريق رأس الرجاء الصالح، لكن ذلك الاتهام لم يثبت تاريخياً بعد اكتشاف الوثائق البرتغالية، وتبين أنه – أي الاتهام - قد استند إلى وثيقةٍ تاريخيةٍ وحيدةٍ ويتيمةٍ (البرق اليماني في الفتح العثماني) كتبها قطب الدين نهروالي بأوامر من العثمانيين بعد وفاة ابن ماجد بثمانين عاماً، علماً أن فاسكو دي غاما قد دخل المنطقة مستكشفاً، وليس محتلاً عسكرياً .

للصراع من أجل السيطرة على ثروة اللؤلؤ، ثم على ثروة النفط، وعلى هذا الأساس فالمطامع في منطقة الخليج العربي وثرواتها ظلت كما كانت، أما الذي تغير فهو ينحصر في نوع الثروة، وهوية الطامعين المتصارعين، ونستطيع القول في هذا المجال المتعلق بثروة اللؤلؤ، إن منطقة الخليج العربي شهدت غزواً تجارياً أجنبياً للسيطرة على ثروة اللؤلؤ، وأسواقها التجارية، وكان للهولنديين النصيب الأكبر في فتح مراكز التسويق، وإنشاء الشركات التجارية، وبشكلٍ خاصٍ في الإمارات، حيث وضع الهولنديون عام ١٦٥٤ خطة لتوجيه تجارهم إلى إمارة رأس الخيمة بهدف السيطرة على تجارة وتسويق اللؤلؤ .

وفي عام ١٨٥٧ أسس البريطانيون (شركة واطسون) في مدينة بومباي بالهند؛ للمشاركة في أعمال الغوص على صيد اللؤلؤ في حوض الخليج العربي .

ثم جرت محاولات أخرى لبحارةٍ إنجليز في الأعوام ١٨٧٢ ، ١٨٨٩ ، ١٨٩٩ ، تستهدف الحصول على إذنٍ حكومي

رسمي من الحكومة التركية لصيد اللؤلؤ من قيعان ومغاصات حوض الخليج العربي .

ثم محاولات الهنود الذين دخلوا منطقة الخليج العربي عام ١٩٠٢م لدخول أسواق تجارة اللؤلؤ، فالبلجيك، والألمان، والفرنسيون، مما مهد الطريق لترسيخ بعض أسس التجارة الأجنبية في أسواق اللؤلؤ في الإمارات والخليج العربي في تلك الحقبة من الزمن .

وقد قام كثير من تجار اللؤلؤ المحليين بالتعامل مع تلك الشركات، ومع أولئك التجار الأجانب الذين نشطوا في عملية تسويق اللؤلؤ وبيعه في الأسواق الخارجية بأثمان عالية ساهمت إيجابياً في زيادة الدخل والأرباح، وساهمت سلبياً في تكالب المطامع الأجنبية، وزيادة حدة الصراع الأجنبي؛ للسيطرة التامة على كامل منطقة الخليج العربي، وعلى كامل ثرواتها اللؤلؤية الساحرة .

وأخيراً جاءت الضربة القاضية التي قضت على زمن الغوص البهيج، والتي تمثلت بقيام الشركات الأجنبية بأعمال الحفر في قيعان الخليج العربي للتنقيب عن النفط، الأمر الذي أدى إلى موت عدد كبيرٍ جداً من الأصداف والمحار، فخلت معظم المغاصات " الهيرات " منها، وصارت كما البستان اليانعة التي ابتليت بالقحط والجفاف، خاويةً على عروشها، تبكي بصمتٍ وألمٍ أيام ماضيها البهيج، وتترقب بصبرٍ وحيرةٍ أيام مستقبلها المجهول المبهم .

الفصل الثالث

فوائد و منافع

الغوص لصيد اللؤلؤ

موسوعة الغوص واللؤلؤ — المجلد الثاني

تمهيد :

بعد كل الذي ذكرناه آنفاً، نستطيع القول إن مجتمع زمن الغوص على اللؤلؤ قد خلق على أرض الواقع الفعلي الملموس أول وحدةٍ عربيةٍ حقيقيةٍ في منطقة الخليج العربي، فمغاصات اللؤلؤ " الهيرات " كانت مناطق بحريةً مفتوحةً لاستقبال كل سفن الغوص بكل من على متنها، فلا حدود، ولا تأشيرات دخول وخروج، ولا جوازات سفر، لا في البحر، ولا في البر، حيث كان بوسع النوخذة أن يتنقل بسفينته ومن على متنها أنّى يشاء، وكيفما يشاء، ومتى يشاء، وإذا اضطر للاستراحة براً، ألقى بمرساته عند الشاطئ الأقرب إليه، وفي المكان الذي يروق له ولبحارته، ولم تتوقف فوائد زمن الغوص عند حدود الوحدة العربية السياسية وحسب، بل تجاوزتها لتصل إلى حدود الوحدة العربية الاجتماعية، التي تجسدت بوحدة القلوب، ووحدة الآمال والآلام المشتركة، وحدة المصير المشترك، وعلى هذا الأساس فإن الغوص لصيد

اللؤلؤ قد خلق فعلاً في منطقة الخليج العربي وحدةً عربيةً حقيقيةً تشمل كافة جوانب الحياة الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والفكرية، والاجتماعية .

وسوف نحاول فيما يلي استعراض جوانب هذه الوحدة :

أولاً – وحدة الجانب الاقتصادي

تتجلى هذه الوحدة بوحدة المنهج الاقتصادي لمنطقة الخليج العربي، والذي كان يستند إلى، ويقوم على مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ، التي كانت بدورها تستند إلى وحدة موضوع العمل وعموده الفقري " اللؤلؤ " :

١ً– التوقيت الموحد لكافة مراحل مواسم الغوص :

- غوص المجنّى " الميَّنه " .
- غوص البرد .
- الغوص العود، أو الغوص الكبير .
- غوص الردّة .
- غوص الردّيدة .

– غوص الْمجَنّى " الْميَنّه " :[96]

وغوص الْمجَنّى، أو الْمَيَنّه هو موسم خاص لصيد المحار قرب الشاطئ وبمحاذاته بالاستفادة من فعل حركتي المد والجزر، وليس للغوص عليه في أعماق البحر، وهو جانب أو شكل من أشكال غوص البرد؛ لأنه يتم في فصل الشتاء البارد قبل موسم الغوص الكبير، وفي الأشهر الثلاث الأولى من السنة، وكنا قد تحدثنا عنه تفصيلاً في فصلٍ سابق في المجلد الأول من هذه الموسوعة .

– غوص البرد [97]

مدته الزمنية المتفق عليها أربعين يوماً في الفترة الزمنية الممتدة من ١ /٣٠ ولغاية ٣٠ / ٥ ، حيث تنطلق بعض السفن الصغيرة القليلة العدد ليقوم بحارتها بعمليات الغوص في المياه الضحلة القريبة من الساحل، وكنا قد تحدثنا عنه تفصيلاً في فصلٍ سابقٍ في المجلد الأول من هذه الموسوعة أيضاً .

---

[96] - أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – مواسم الغوص لصيد اللؤلؤ – صفحة ٣٢٤ .

[97] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – مواسم الغوص لصيد اللؤلؤ – صفحة ٣٢٥ .

– " الغوص العود " أو الغوص الكبير : [٩٨]

وهو موسم الغوص الرئيس، الذي كان يشكل العمود الفقري للدخلين القومي والفردي على حدٍّ سواء لأهل منطقة الخليج العربي، وكان ذلك الموسم يستمر حوالي أربعة أشهرٍ متتاليةٍ، بدءاً من أول شهر مايو / أيار، ولغاية الثامن والعشرين من شهر سبتمبر / أيلول تقريباً لا تحديداً؛ لأن درجة الحرارة في منطقة الخليج العربي تبدأ بالتدني بعد هبوب رياح السابعة في الثامن والعشرين من سبتمبر تقريباً لا تحديداً، لتصبح مياه البحر باردةً لا تعين الغواصين والبحارة على العمل في أجواء مناخٍ صحراويٍ بالغ القسوة، بعد أربعة أشهرٍ متتاليةٍ من التعب والشقاء والعناء. وقد سبق لنا أن تحدثنا عن هذا الموسم بالتفصيل في فصلٍ سابقٍ من المجلد الأول من هذه الموسوعة .

---

[٩٨] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – مواسم العوص لصيد اللؤلؤ – صفحة ٣٢٧ ، والإعداد لموسم الغوص الكبير صفحة ٣٣٤ .

– غوص الردّة : [99]

الردة تعني العودة والارتداد، وغوص الردة يعني العودة للغوص بعد نهاية موسم الغوص الكبير إذا كان حاصل اللؤلؤ ضعيفاً، ويكون هذا الموسم عادةً في الشهر العاشر / شهر أكتوبر / تشرين أول حيث تبدأ مياه البحر بالبرودة، ومدته تتراوح بين عشرة أيامٍ إلى ثلاثين يوماً، وتكون في الفترة الواقعة بين ١ / ١٠ ولغاية ١ / ١١ ، وقد سبق لنا أن تحدثنا عنه تفصيلاً في فصلٍ سابقٍ في المجلد الأول من هذه الموسوعة .

– غوص ارديدة : [100]

غوص ارديدة يلي غوص الردة، أي في الأيام الأولى من الشهر الحادي عشر، عندما تكون مياه البحر شديدة البرودة، ومرحلة غوص ارديدة أقصر من مرحلة غوص الردة، وتقع

[99] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – مواسم الغوص لصيد اللؤلؤ – صفحة ٣٣٠ .

[100] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – مواسم الغوص لصيد اللؤلؤ – صفحة ٣٣١ .

في الفترة من ١ / ١١ ولغاية ١ / ١٢ ، وقد تحدثنا عنه بالتفصيل في فصلٍ سابقٍ .

٢ً – التعريف والاستخدام الموحد لأدوات الغوص :

كما سبق لنا فقد تحدثنا عن أدوات الغوص الموحدة في كامل منطقة لخليج العربي، وقلنا إنها :

(الفطام – الخَبْطْ – كيس الدَّيين – حبل اليدا – المزماه – العاروك[١٠١] – المثقال، أو حجر الحصاة، أو حصاة الغوص – حبل الزَيْنْ – حبل القلطة – البِلْدْ – المفلقة – الطرطور – المتـــه – الكيله الكيسه – الشمشول – دِرَّاعه – لباس الغوص – نــَاليِــَّـه – المنور، أو الجامة .. إلخ)

كما سبق لنا أن تحدثنا عن التعريف الموحد لهذه الأدوات، وتحدثنا عن استخداماتها الموحدة أيضاً، وعلى هذا الأساس، فالغاية من استخدام الفطام واحدة في كامل مناطق الخليج العربي، وما ينطبق على الفطام، ينطبق على جميع أدوات الغوص الأخرى .

---

[١٠١] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – أدوات الغوص التقليدية القديمة – صفحة ٣٥٣ .

٣ً – وظائف مهنة الغوص الموحدة :

لم يقتصر الانصهار الاقتصادي في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص على اللؤلؤ على وحدتي التوقيت والأدوات، وإنما تجاوز هاتين الوحدتين، ليصل إلى وحدة مهام الوظائف التي كانت سائدة في زمن الغوص، والتي يمكن تحديدها كما يلي:

السردال – النوخذة – الجعدي – المجدمي – الغواص –[١٠٢] السيب – عَزّالْ – الرضيف – الوليد – النهام – المطوع – المطري – الجلاس – الطباخ – الطواش .. إلخ .

وعلى هذا الأساس فمهام وظيفة السردال في أبوظبي تتطابق مع مهام وظيفة السردال في دبي، ورأس الخيمة، وعمان، والبحرين، والكويت، وما ينطبق على مهام وظيفة السردال، ينطبق على كل الوظائف الأخرى في مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي .

---

١٠٢ - أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – وظائف البحارة على متن سفينة الغوص – صفحة ٣٧١ .

٤ – وحدة نظام العمل الإنتاجي :

إذا تأملنا مجمل النشاط الاقتصادي لكامل منطقة الخليج العربي قبل، وخلال، وبعد موسم الغوص الكبير " العود " الذي يعتبر موسم الغوص الرئيس، لوجدنا تطابقاً ملحوظاً في كامل جوانب هذا النشاط، ومع أن هذا التطابق يبدو جلياً واضحاً في بقية مواسم الغوص التي ذكرناها آنفاً، إلا أنه أكثر جلاءً ووضوحاً في موسم الغوص الكبير؛ لأنه موسم الغوص الرئيس، والأطول، والأصعب، والأهم، وفي هذا الموسم نجد هذا التطابق يتجلى في الأنشطة الاقتصادية التالية في كافة أرجاء منطقة الخليج العربي :

أولاً – أنشطة الاستعداد لموسم الغوص الكبير " العود "

- الإعداد لموسم الغوص الذي كان يتم قبل بدء الموسم بحوالي شهرٍ تقريباً[١٠٣]، حيث يقوم " **النواخذة** " قادة السفن باختيار بحارتهم، وشراء لوازم رحلتهم .
- يقوم البحارة بشراء لوازمهم ولوازم أسرهم .
- إعداد السفن، وصيانتها، وتموينها .
- إنزال السفن إلى البحر .
- تشكيل أسطول سفن الغوص " السنيار " .
- تعيين قائد السنيار من قبل الحاكم .
- تحديد علم السنيار .

---

١٠٣ – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – الإعداد لموسم الغوص الكبير – صفحة ٣٣٤ .

ثانياً – أنشطة فعل الغوص في عرض البحر :

- الإقلاع إلى عرض البحر للبحث عن المغاصات في يوم الركبة أو الدشة .
- " تِبْرَا و مانِتَرْ " والتي كانت تعني وقوف السفينة في عرض البحر لإجراء عملية استكشاف قاع البحر، والتأكد من صلاحية المغاص " الهير " وتوافر محار اللؤلؤ بين صخوره .
- توزيع العمل والمهام بين البحارة على متن سفينة الغوص .
- نظام بداية الغوص ونهايته، وتنظيم العمل والإنتاج والاستراحة بدءاً من الفجر، ولغاية الغروب .
- تنظيم عملية فلق المحار، وحفظ اللؤلؤ على متن سفينة الغوص .
- نظام المتاجرة باللؤلؤ والتعامل مع الطواشين المتنقلين بين سفن الغوص نقداً، أو عيناً بواسطة المقايضة .
- تنظيم تجارة " الطواشة " خلال موسم الغوص .

ثالثاً – إعلان القفال والعودة إلى الديار :

- إقدام السردال " أمير الغوص " على إعلان القُفال في الثامن والعشرين من سبتمبر / أيلول – تقريباً لا تحديداً – [١٠٤] وإصدار الأوامر لكافة سفن السنيار بالعودة إلى الديار، والتزام جميع نواخذة السفن بأمر قائدهم أمير الغوص " السردال " .[١٠٥]
- خروج السفن إلى البحر، والأهالي إلى الشاطئ لاستقبال السفن العائدة من موسم الغوص الكبير .

---

[١٠٤] – سبق لنا أن تحدثنا عن هذا الجانب، وقلنا إن هذا الموعد موعد افتراضي نسبي، لا حتمي مطلق؛ لأن أهل الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ اتفقوا على هذا التاريخ الاعتباري لعدة أسباب، منها أن رياح السابعة تهب على منطقة الخليج العربي عادة في الثامن والعشرين من سبتمبر، لتبدأ درجة الحرارة بالميل نحو البرودة بعد تساوي الليل بالنهار، إضافة إلى اتفاقهم على موعد بدء موسم غوص الردة في الأول من الشهر العاشر .

[١٠٥] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – القفال – صفحة ٣٤٧ .

رابعاً – أنشطة ما بعد القفال والعودة إلى الديار :

والتي كانت تتجلى عادةً بالمظاهر التالية :

- صهر التكافل والتضامن الاجتماعي مع أسرة الغواص، أو البحار الذي توفاه الله سبحانه وتعالى في موسم الغوص الكبير .
- عودة دورة حياة العمل السنوي للانطلاق الجديد، والبدء باتخاذ الاجراءات المتبعة والمتعارف عليها استعداداً لموسم الغوص الكبير التالي ..

٥ً – وحدة أوزان وموازين اللؤلؤ :

مثلما كانت موازين اللؤلؤ موحدةً في كامل منطقة الخليج العربي في زمن الغوص على اللؤلؤ، كانت أوزان اللؤلؤ موحدةً أيضاً :

رتي – آنه – جو – دوكره – مزور .[١٠٦]

٦ً – وحدة المقاييس :

كما سبق وذكرنا، كانت مقاييس اللؤلؤ موحدةً في كافة أرجاء منطقة الخليج العربي، فقياسات أقطار فتحات وثقوب الغرابيل " طاسات اللؤلؤ " السبعة كانت موحدةً في كافة أرجاء منطقة الخليج العربي، ويكفي أن تذكر إسم صنف اللؤلؤ ليعرف الجميع مقاييسه .[١٠٧]

---

١٠٦ – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – أوزان اللؤلؤ – صفحة ١٥١ .

١٠٧ – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – غربلة اللؤلؤ – صفحة ١٣٤ .

٧ً – وحدة طريقة الحسابات ومسك السجلات التجارية:

وحدة المقاييس والموازين والأوزان أدت إلى وحدةٍ في طريقة الحسابات، ووحدةٍ في طريقة مسك السجلات التجارية أيضاً .

٨ً – وحدة قواعد حاصل صيد اللؤلؤ :

بالعودة إلى نظام توزيع الأسهم والأرباح " الكلاطه "[١٠٨] بعد نهاية رحلة الغوص، والإقفال، والعودة إلى البلاد، نجد أن ناتج تقسيم " الحاصلة " واحداً في كل مناطق الخليج العربي، بل نجده واحداً في كل سفن الغوص في موسم الغوص الكبير، للنوخذة ثلاثة أسهم، وللغواص ثلاثة أسهم، وللسيب سهمان، وللرظيف سهم واحد .. إلخ .

---

[١٠٨] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – الكلاطة – ٣٩١ .

٩ً – وحدة النظام الاقتصادي الحكومي :

لم تكن فوائد عائدات اللؤلؤ تقتصر على العاملين في صيده وتجارته، وإنما كانت تمتد لتشمل الحكومة التي في دائرة نفوذها تتحقق تلك الفوائد والعائدات؛ لأن الحكومة هي التي كانت تقوم وتشرف على تنظيم العمل في مهنتي صيد وتجارة اللؤلؤ، وبالتالي فهي بحاجةٍ لضريبةٍ تغطي نفقاها في هذا المجال، وهذا ما كان يسمى بـــ " كَلاطة الشيوخ " التي كانت تعني الحصة التي كان الشيوخ يتلقوها من تجار اللؤلؤ، ومن ممولي عمليات الغوص عن كل سفينةٍ، بغض النظر عن ناتج أرباحها، أو خسائرها .

١٠ً – وحدة المعايير والضوابط المالية :

كما هو معروفٌ، وقبل بدء موسم الغوص الكبير " العود " كان الممول، أو تاجر اللؤلؤ، أو النوخذة يدفع للغواصين والبحارة مقدم أتعابهم المفترضة لموسم الغوص التالي، والذي كان أهل البحر في منطقة الخليج لعربي يطلقون عليه إسم : " تِسْكامْ " لكي يقوم الغواص أو البحار بشراء المواد التموينية اللازمة لأسرته في غيابه، وكان نظام " التسكام " هذا سائداً في كل أرجاء منطقة الخليج العربي، ولم يكن مقتصراً على منطقةٍ دون سواها .

ثانياً – وحدة الجانب القانوني

أدت الوحدة، أو الانصهار الاقتصادي الذي أحدثته مهنة الغوص على اللؤلؤ، والذي تحدثنا عنه آنفاً في البند السابق، إلى وحدةٍ وانصهارٍ في كافة جوانب الحياة الأخرى، بما في ذلك الجانب القانوني، ومع أن تلك الفترة من الزمن لم تكن قد شهدت ولادة الدولة الحديثة بمعناها السياسي المعاصر، الذي يعني وجود السلطات المؤسساتية المختلفة، بما في ذلك مؤسسة الدستور، والقانون، والتشريع، والقضاء، والأحكام، والتنفيذ، إلا أن عدالة القانون كانت سائدةً بشكلٍ يرضي الجميع؛ لأن تشريع تلك القوانين البسيطة في تلك الحقبة من الزمن كان يستند إلى الشريعة الإسلامية أولاً، وإلى العادات والأعراف والتقاليد العربية الأصيلة ثانياً، فكان " السالفة " الذي كان يمثل القاضي، أو الحَكَم الذي يحتكم الناس إليه لحل خلافاتهم، يصدر أحكامه المبرمة استناداً إلى ضوابط ومعايير واضحة تستند إلى الشريعة الإسلامية، وإلى العادات

والأعراف والتقاليد، وكان حُكم السالفة في قَطَر في قضيةٍ خلافيةٍ حول توزيع حاصل أرباح اللؤلؤ بين الممول والنوخذة والبحارة، لا يختلف على الإطلاق عن حكم السالفة في أبوظبي، أو البحرين، أو الكويت في قضيةٍ مشابهةٍ، والأمر ذاته ينطبق على كافة العقوبات التي كانت تفرض على المتلاعبين بالأسعار، أو على الغشاشين الذين كانوا يخلطون اللؤلؤ الطبيعي باللؤلؤ الصناعي، حيث أقدم البعض من صغار النفوس من تجار اللؤلؤ بعد اكتشاف ما يسمى باللؤلؤ الصناعي الياباني المستنبنت، وبسبب الفارق الكبير في أسعار اللؤلؤ الطبيعي والصناعي الياباني المستنبت، إلى خلط حباتهم بحبات اللؤلؤ الصناعي الياباني المستنبت؛ لتحقيق المزيد من الأرباح، ويقول المؤرخ الدكتور فالح حنظل في كتابه " معجم الغوص واللؤلؤ في الخليج العربي " إن عقوبة هذه المخالفة كانت تصل إلى حد الموت في بعض الحالات . [١٠٩]

[١٠٩] – د . فالح حنظل – معجم الغوص واللؤلؤ في الخليج العربي .

ثالثاً – وحدة الجانب الاجتماعي

لم تقتصر عملية الانصهار الاقتصادي التي خلقتها مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي على الجانب الاقتصادي وحسب، وإنما امتدت لتشمل كافة جوانب الحياة، وفي البند السابق درسنا وحدة الجانب القانوني، وفي هذا البند سوف ندرس الجانب الاجتماعي الذي تأثر إلى حدٍّ كبيرٍ جداً بوحدة الاقتصاد، وعلى هذا الأساس :

- فإن التسلسل الهرمي الانضباطي الطوعي الذي كان سائداً بين " السردال " قائد سفن " السنيار " أو أمير الغوص من جهة، وقادة سفن السنيار النواخذة من جهةٍ ثانية .
- والذي يوازيه التسلسل الهرمي الطوعي الصارم الذي كان سائداً على متن سفينة الغوص بين البحارة، بدءاً

من " النوخذة " الذي كان يمثل قمة الهرم، يليه الغواص، فالسيب ... إلخ .

انسحب بشكلٍ كاملٍ على المجتمع برمته، حيث يتربع قمة الهرم الاجتماعي في البلد الشيخ الحاكم، ثم يتربع قمة الهرم الاجتماعي في الحي " الفريج " كبير الحي، ثم يتربع قمة الهرم الاجتماعي في الخلية الأسرية رب الأسرة، أو كبير الأسرة، ولذلك نجد مجتمع الخليج العربي مجتمعاً انضباطياً انضباطاً طوعياً صارماً، يقوم على احترام وطاعة الأصغر للأكبر، وعلى رعاية وحماية الأكبر للأصغر .

ولم يكن التسلسل الهرمي في زمن الغوص على اللؤلؤ يقتصر على التسلسل الهرمي الوظيفي، وإنما كان يتعدّاه ليصل إلى التسلسل الهرمي الطبقي أيضاً، فاقتصاديات الغوص خلقت نظاماً طبقياً خاصاً بمنطقة الخليج العربي يعتمد على التعدد والتنوع الطبقي الذي يُفَعِّلُ ويتفاعل مع التعاون والتكافل والتضامن الاجتماعي، لا الاستغلال الطبقي المتعارف عليه في نظام الرق " العبودية " الذي أدى إلى قيام ثورة العبيد بقيادة

سبارتاكوس، والتي أدت بدورها إلى انهيار نظام الرق، وولادة النظام الإقطاعي على أنقاضه .

إن نظام الغوص الذي خلق وأنتج :

- طبقة الموسرين وأصحاب رؤوس الأموال المؤلفة من تجار اللؤلؤ والطواشين وممولي سفن الغوص .
- طبقة المتنفذين المتمثلة بالنواخذة — بما فيهم أمير الغوص " السردال " – الذين كانوا يمثلون نخبة رواد العلوم والمعرفة الملاحية والفلكية .
- طبقة المنتجين المغامرين المتمثلة بالغواصين .
- طبقة البحارة .

خلق وأنتج أيضاً نظاماً خاصاً من التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي، ولا نبالغ إذا قلنا إن نظام الغوص لصيد اللؤلؤ كان نظاماً خاصاً بمنطقة الخليج العربي لا سواها، وإن ذلك النظام ميزها عن غيرها من مناطق العالم، بما في ذلك مناطق الوطن العربي الكبير، والأمثلة على خصوصية نظام الغوص

لصيد اللؤلؤ كثيرةٌ، وواضحةٌ بجلاءٍ تامٍ، لكنها تتجلى بصفةٍ خاصةٍ في يوم القُفّال الذي ينتهي فيه موسم الغوص الكبير، والذي كان يصادف الثامن والعشرين من أيلول / سبتمبر تقريباً لا تحديداً[110].

- فالسفينة التي تغرق، أو تحترق، أو تتعرض للسرقة يتم تعويض خسارتها من جميع أبناء طبقات المجتمع، وبنسبٍ تتفاوت حسب إمكانات أفراد الطبقة المعنية.
- والأسرة التي تفقد معيلها في موسم الغوص يتولى المجتمع رعاية أبنائها، وقد أخبرني بعضهم أن الرعاية الاجتماعية تكون أحياناً أفضل من رعاية المعيل المتوفى في بعض الحالات الخاصة .[111]
- والبحارة الذين لا يحققون حاصلاً جيداً من اللؤلؤ في موسم الغوص الكبير " العود " يعودون للغوص في موسمي الردة، وارديدة حيث لا تنطبق عليهم في هذين الموسمين شروط حاصل أرباح موسم الغوص

[110] – يحق لأمير الغوص " السردال " أن يعلن موعد القفال قبل ٢٨ / ٩ ، أو بعده .
[111] – وفق روايات الذاكرة الشعبية .

الكبير، وذلك بهدف مساعدتهم، والأخذ بيدهم؛ لإعادتهم إلى حظيرة الإنتاج الاجتماعي .

- كما أن نظام مقدم الأتعاب " تسكام " الذي كان ممول سفينة الغوص يدفعه للبحارة قبل بدء موسم الغوص الكبير " العود " يشكل ركناً من أركان هذا النظام الاجتماعي الخاص القائم على أسس التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي .

ولم تقتصر معالم الوحدة الاجتماعية على المرتكزات الآنفة الذكر، وإنما تجاوزتها لتشمل إضافةً إلى وحدة مواعيد ووظائف وأساليب العمل، ووحدة أدوات الإنتاج، وقوانينه، وعقوباته ... إلخ، وحدة ما يلي :

- وحدة العادات والتقاليد في الأفراح والأتراح .
- وحدة الأمال والآلام المشتركة .
- وحدة المصطلحات والأسماء والأمثال الشعبية .
- وحدة الألعاب الشعبية .
- وحدة الأنماط المعيشية، والتي تمثلت في :

١ – وحدة الممارسات الحياتية اليومية المتشابهة إلى حد التطابق في بعض المجالات .

٢ – وحدة طرق بناء البيوت المتماثلة والمتشابهة .

٣ – وحدة الأثاث المنزلي المتماثل .

٢ – وحدة مواعيد الزواج، والبناء، والتأثيث استناداً إلى وحدة موعد القُفَّال .

٣ – وحدة أنواع الأطعمة المتماثلة، وتشابه وتقارب طرق إعدادها (السمك – الأرز – اللحوم – الرطب – التمر – الحليب) .

٤ – وحدة الأمراض العضوية، والنفسية، وتشابه طرق معالجتها .

٥ – وحدة طرق التفكير، والتربية، والتعليم، والاستنتاج .

٦ – وحدة الحالة الثقافية المتقاربة بين الأفراد في مجتمع المنطقة الواحدة، وبين الأفراد في مجتمعات المناطق المختلفة .

٧ — وحدة وتشابه الاهتمامات، والحرف، والفنون، وأساليب التعبير، وحبك الخرافات، والقصص، والقصائد الشعرية بمفرداتها، وصورها، وغاياتها .

رابعاً – وحدة الجانب الفكري والثقافي

ولعل ثقافة الفكر الديني الإسلامي أهم ما يميز عوامل الوحدة والانصهار في وحدة الجانب الفكري والثقافي في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ، ونستطيع القول هنا إن هذه الثقافة الدينية الإسلامية هي أهم ما يميز وحدة الخليج العربي فكراً، وانتماءً، وسلوكاً، وقيماً، بل هي التي تشكل العمود الفقري لوحدة منطقة الخليج العربي، ولولا هذه الثقافة الفكرية الدينية الإسلامية، لما تحقق الانصهار الكامل لمجتمع الخليج العربي في بوتقتي العروبة، والغوص .

وقد شكل الإسلام المرتكز الرئيس الذي استندت إليه كافة عوامل ومفاعيل وحدة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ، يليه مرتكز العروبة الذي شكل وحدة اللسان، والمنطق، والعادات، والتقاليد، والقيم، والمبادئ .

- فانطلاقاً من قيم ومبادئ الإسلام صبر الناس في منطقة الخليج العربي على مشقة الحياة والعمل في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ .
- وانطلاقاً من قيم ومبادئ الإسلام رضي الناس في منطقة الخليج العربي بشظف ومرارة العيش في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ، وأقنعوا أنفسهم على أنه شكل من أشكال إرادة الخالق عز وجل، وامتحانه لإيمانهم .
- وانطلاقاً من إيمانهم المطلق بالله عز وجل، ورسله، وكتبه، وبترتيل آياتٍ من القرآن الكريم، عالج الناس بعضهم في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ في بعض الأمراض، كالحشوة التي كانت تعني مرض ضيق التنفس، والشاقة التي كانت تعني مرض الصداع، والضرّ الذي يعني مرض الصَّرع، والسَّنا الذي يعني الغيبوبة التي تصيب الغواص بسبب انقطاع تنفسه أثناء صعوده من الأعماق إلى سطح البحر، والذي كان يسبب شلل، أو وفاة الغواص .

وبسبب أهمية عامل الإيمان بالله، كانت سفن الغوص تعتمد اعتماداً كبيراً على دور المطوِّع الذي كان يؤمّ البحارة في الصلاة، ويعالجهم من الأمراض الآنفة الذكر بتلاوة آياتٍ من القرآن الكريم .

أما العروبة فقد شكلت المرتكز الثاني للوحدة الفكرية الثقافية في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ استناداً إلى محورين اثنين انصهرا في بوتقة عالم الغوص، والتي شكلت المرتكز الثالث للوحدة الفكرية الثقافية في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ :

المحور الأول :

عروبة العادات والتقاليد والقيم والمبادئ العربية الأصيلة .

المحور الثاني :

عروبة لسان النطق، والتفكير، والتواصل، من خلال عروبة اللغة، التي هي لغة ضاد القرآن الكريم .

وفي بوتقتي هذين المحورين اللذين انصهرا في بوتقة المرتكز الثالث عالم الغوص، ولدت الأفكار، والمشاعر، والقصائد، والأشعار، والأهازيج، والقصة، والأمثال، والصور، والتصور، والخيال، والخرافة، والمصطلحات، والألغاز، والقيم والمبادئ، وأساليب التعبير، وألوان الحب والغزل، ومعايير الحسن والجمال، وهكذا شكل **الإسلام، والعروبة، والغوص** مرتكزات الحياة الاجتماعية الواحدة الموحدة في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ .

- ومع أن ثروة النفط المعاصرة قد حلّت محلّ ثروة اللؤلؤ المندثرة .
- وعلى الرغم من أن ثروة النفط قد شكلت مكافأةً إلهيةً لأهل منطقة الخليج العربي لصبرهم الطويل المرير على مشقّات حياة زمن الغوص لصيد اللؤلؤ .

إلا أن معايير قيم ثروة النفط لم تتمكن من استنساخ حالة الوحدة الاجتماعية التي ساهمت في خلقها معايير ثروة اللؤلؤ، ولعل السبب في ذلك يكمن في مجموعةٍ من الاعتبارات، في مقدمتها معايير السوق، والمصالح الدولية، ثم معايير العولمة النابعة من معايير الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات، والعابرة للقارات . [١١٢]

[١١٢] – مصطفى عزت هبرة – الإمارات والعولمة .

خامساً – وحدة الجانب السياسي

أدى الانصهار الرائع المتكامل في كامل أركان وجوانب الحياة الاقتصادية، والقانونية، والاجتماعية، والثقافية، والفكرية، إلى انصهارٍ متكاملٍ أيضاً في كامل جوانب الحياة السياسية في منطقة الخليج العربي في عهد الغوص لصيد ثروة اللؤلؤ من أعماق البحر، مما يعني :

- الفعل السياسي في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ كان تابعاً لفعل المتحول الاقتصادي الواحد الموحد القوي المهيمن على كافة أركان وجوانب الحياة الاجتماعية، والقانونية، والثقافية، والفكرية في ذلك الوقت، وليس العكس .
- الانصهار السياسي، أو وحدة الفعل السياسي في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ، كان نتيجةً حتميةً لانصهارٍ اقتصاديٍ قانونيٍ اجتماعيٍ

ثقافيٍ لكامل جوانب الحياة في مجتمع الخليج العربي، ولم يكن نتيجة قرارٍ سياسي .

- الفعل السياسي التابع لفعل المتحول الاقتصادي استجاب، وتجاوب مع متطلبات حاجيات المتحول الاقتصادي بيسرٍ وفعاليةٍ ساهمت في إرساء الاستقرار الاقتصادي الذي أدى إلى استقرارٍ في معدلات التنمية الاقتصادية الثابتة .
- تبعية الفعل السياسي الأمينة والوفية للمتحول الاقتصادي الواحد الموحد القوي المهيمن أدت إلى استقرارٍ ملحوظٍ في أركان الكيان السياسي العام في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ .
- الترابط القوي بين الفعلين الاقتصادي والسياسي في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ أدى إلى ظهور نمطٍ سياسي واحدٍ وموحدٍ شمل كافة مراكز الحكم في منطقة الخليج العربي .

ينبع من :

- الإسلام والإيمان بالله سبحانه وتعالى .
- عروبة اللسان، والنطق، والحكم، والتفكير .
- عروبة العادات والتقاليد والقيم والمبادئ العربية الأصيلة .
- وحدة الآمال، والآلام، والمصير من خلال وحدة الاقتصاد وعموده الفقري لكامل منطقة الخليج العربي " اللؤلؤ " .

و يتميز بـــ :

١ – نظام الشورى :

لأن نظام الحكم يستند إلى مبادئ وقيم وتشريعات الشريعة الإسلامية التي تنص على الشورى، اعتمد الحاكم العربي الخليجي في كافة مراكز الحكم في منطقة الخليج العربي على

نظام الشورى في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ في كافة جوانب الحياة اليومية .

٢ – ديمقراطية الحكم والحاكم :

حيث لا حجب، ولا حواجز تفصل بين الحاكم وجميع أبناء شعبه دون استثناء .

٣ – بساطة الحكم والحاكم :

حيث لا سلطة صحافة وإعلام، ولا سلطات مؤسسية متعددة ومستقلة، ولا رقابة، ولا معارضة، ولا نصوص قانونية تشريعية، ولا مؤسساتٍ دستوريةٍ مقوننةٍ تنتهج البيروقراطية في الحياة اليومية في مختلف أوجه فعالياتها .

٤ – توافق مصالح الحكم والحاكم مع مصالح أبناء الشعب :

حيث يعتمد الجميع على حاصل أرباح المصدر الرئيس للدخل الجماعي " القومي " والفردي **" اللؤلؤ "** .

٥ – الاستقرار السياسي :

لم تشهد منطقة الخليج العربي، و لم تعرف أسلوب الانقلابات العسكرية المتلاحقة، كالتي شهدتها بقية أقطار الوطن العربي، وذلك بفضل العوامل الآنفة الذكر، وبفضل الاستقرار الاقتصادي المرتكز إلى استقرار عموده الفقري " اللؤلؤ " .

وقد تجلت عوامل الاستقرار والوحدة السياسية الطبيعية باستقرار ووحدة مخرجاتها الطبيعية على أرض الواقع، وكما ذكرنا وقلنا آنفاً، فقد خلقت مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي أول وحدةٍ عربيةٍ حقيقيةٍ ملموسةٍ، دون قراراتٍ سياسيةٍ، ودون نظرياتٍ أيديولوجيةٍ تروج لها الأحزاب الحاكمة أو المعارضة، فمغاصات اللؤلؤ " الهيرات " كانت مناطق بحريةً مفتوحةً لاستقبال كل سفن الغوص بكل من على متنها، فلا حدود، ولا تأشيرات دخول وخروج، ولا جوازات سفر، لا في البحر، ولا في البر، حيث كان بوسع النوخذة أن يتنقل بسفينته ومن على متنها أنّى يشاء، وكيفما يشاء، ومتى يشاء، وإذا اضطر للاستراحة براً، ألقى

بمرساته عند الشاطئ الأقرب إليه، وفي المكان الذي يروق له ولبحارته، ولم تتوقف فوائد زمن الغوص عند حدود الوحدة العربية السياسية وحسب، بل تجاوزتها لتصل إلى حدود الوحدة العربية الاجتماعية، وحدة القلوب، وحدة الآمال والآلام المشتركة، وحدة المصير المشترك، وعلى هذا الأساس فإن الغوص لصيد اللؤلؤ قد خلق **فعل الوحدة** لا شعارها في منطقة الخليج العربي، وفي كافة جوانب الحياة الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والفكرية، والاجتماعية .

ويكفي أن نلقي نظرةً سريعةً على المشاهد التالية التي كانت تتلاحق وتتكرر سنوياً في مجتمع الخليج العربي في زمن الغوص البهيج؛ لنتمكن من فهم المشهد الوحدوي العام في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص :

١ – المشهد الأول :

مشهد الاستعداد لبدء موسم الغوص الكبير، الذي كان يتوافق مع حلول فصل الصيف، ليستمر أربعة أشهرٍ متتاليةٍ بكل ألوان طيفه الودودة، التي كانت تلون حركة الحياة النشطة، التي كانت تضج بها الشواطىء العامرة بآلاف الرجال، وهم يهيئون السفن لموسم الغوص، وينقلون إليها أدوات الغوص المتواضعة، والمؤن الغذائية التي مولهم بها كبار تجار اللؤلؤ.

٢ – المشهد الثاني :

مشهد " الركبة " أي ركوب البحارة سفينتهم التي ستنطلق إلى عرض بحر الخليج العربي " الدَّشَّة " للبحث عن المغاص الملائم، والذي كان يبدأ بتعاون جميع الأهالي لإنزال السفن إلى البحر وسط الأهازيج والأناشيد المتفائلة، ثم بتجمع كل البشر كباراً وصغاراً عند شاطئ البحر؛ لوداع ذويهم من

النواخذة، والبحارة، والسيوب، والغواصين، والتبابين، والنهامين، ثم بارتفاع علم " النوف " الأسود على سفن الغوص، وصعود البحارة إلى سفنهم، ثم بنزول النواخذة من السفن إلى البر قبل الإقلاع لتوزيع مبالغ من المال على المودعين من أهالي وذوي البحارة .

٣ – المشهد الثالث :

مشهد إقلاع أسطول سفن الغوص " السنيار " الذي يقوده أمير الغوص " السردال " المعين من قبل الحاكم، والذي يمثل ويجسد الوحدة العربية الخليجية التي تحدثنا عنها وعن مقوماتها، فكأن أسطول الغوص " السنيار " أسطول حربي ترفرف في سمائه رايات القتال والإيمان المطلق بنصرٍ من اللهِ، وكأن الغاصة والبحارة جند الوطن قد هبوا لتلبية نداء الواجب، وهم يغنون له بكل الحب والوفاء والولاء، وينشدون له من القلب :

" لبيك أيها الوطن الحبيب الواحد الموحد المفدى "

٤ – المشهد الرابع :

مشهد المجتمع العربي الخليجي داخل المدن والقرى بعد مشهد الركبة، حيث النساء، والأطفال، والشيوخ، ونفرٌ قليلٌ من الرجال الذين لم يتمكنوا من المشاركة بموسم الغوص لسببٍ، أو لآخر، فترى الجميع كأنهم أسرةٌ واحدةٌ، الكل في واحد، والواحد يسخر نفسه للكل إلى أن يعود رب الأسرة من رحلة الموت والعذاب .

٥ – المشهد الخامس :

مشهد الرجال البحارة العاملين على متن سفينة الغوص في موقع المغاص كما عمل النحل في حقولها وخليتها، بإيمانٍ، وحبٍّ، وقناعةٍ، وصبرٍ، وصمتٍ، وهدوءٍ، رغم العناء، والعذاب، والمشقة، وضيق المكان، دون المساس بضوابط ومعايير الانضباط والطاعة التي تفرضها ضوابط ومعايير

التسلسل الهرمي على متن سفينة الغوص، والتي تبدأ من القمة التي يمثلها " النوخذة " فالغواص، فالسيب .

٦ – المشهد السادس :

مشهد اليوم الأخير من موسم الغوص " القُفّال " الذي كان يتوافق مع يوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر / أيلول، وهو اليوم الذي يتساوى فيه الليل بالنهار، والذي تبدأ فيه درجات الحرارة بالتدني، والذي تبدأ فيه سفن أسطول الغوص " السنيار " بالتجمع حول سفينة أمير الغوص، أو القائد الأعلى " السردال " لتعود إلى الوطن المفدى سالمةً غانمةً، بعد أن حقق بحارتها نصرهم المؤزر، بروحهم المعنوية العالية التي غادروا فيها أرض الوطن، والتي بدؤوا فيها لحظتهم الأولى من معركتهم المقدسة " حرب الغوص لصيد اللؤلؤ " .

وفي ذلك اليوم، يركب بعض الأهالي السفن، ويمخرون عباب البحر لاستقبال الأبطال العائدين، وفي ذلك يتجمع من بقي من الأهالي عند شاطئ البحر لاستقبال العائدين بعد طول عناءٍ وغيابٍ، فترى الجميع عند الشاطئ في احتفالٍ بهيجٍ لا يعكر صفوه إلا فقدان أحد الرجال في رحلة الموت والعذاب .

وعلى الرغم من ذلك فالقفال كان عيد الأعياد في ذلك الوقت، وكان الناس يقفون فيه في صفين على جانبين متقابلين، جانب البحر والبحارة الذين أمضوا على متن سفنهم شهوراً طويلةً من العناء والتعب ومكابدة الأهوال، والذين يكويهم شوق العودة واللقاء، وجانب الديار والأهل الذين يمنون النفس باللقاء، و لم الشمل، والود، والسكينة .

وبعد الاستمتاع بهذه المشاهد الجميلة المؤثرة، لا بد من دراسة فوائد ومنافع الغوص على اللؤلؤ، وفي هذا الصدد نستطيع القول إن الغوص على اللؤلؤ لم يكن ممكناً في منطقة الخليج العربي لو لم تكن هذه المنطقة مهيأةً أصلاً لجني فوائد

هذا الغوص من جهة، ولتصدير هذه الفوائد للآخرين من جهة ثانية، وهذا يعني :

- أولاً أن بحر الخليج العربي يتمتع بمزايا خاصة تسمح له بنمو وتكاثر صدف ومحار اللؤلؤ من جهة، وتسمح لأهل الخليج العربي بالغوص في أعماق الخليج العربي لاصطياد هذا اللؤلؤ من جهة ثانية .
- ويعني ثانياً أن منطقة الخليج العربي منطقة استراتيجية تتوسط وتتحكم بالمنافذ والطرق البحرية والبرية .

مزايا وخصائص الخليج العربي

الميزة الأولى :

تتميز مياه بحر الخليج العربي بعدة خصائص تجعل منها منطقة غوصٍ مثالية، ونستطيع توصيف هذه الخصائص على أنها مياه ضحلة بشكلٍ عام، وإن كان الجانب الشرقي المحاذي لإيران أعمق من الجانب الغربي المحاذي للجزيرة العربية، حيث تتراوح الأعماق بين / ٧٢ / متراً، إلى/ ٩٠ / متراً، وأعمق نقطة في الخليج العربي تلك الواقعة في مضيق هرمز، من الجانب الشرقي، المفتوحة على خليج عمان، والتي يناهز عمقها / ١٤٥ / متراً، أما المناطق الضحلة جداً فتقع في القسم الممتد من شط العرب حتى بوشير حيث تقل هذه الأعماق عن / ٢٠ / متراً [١١٣] .

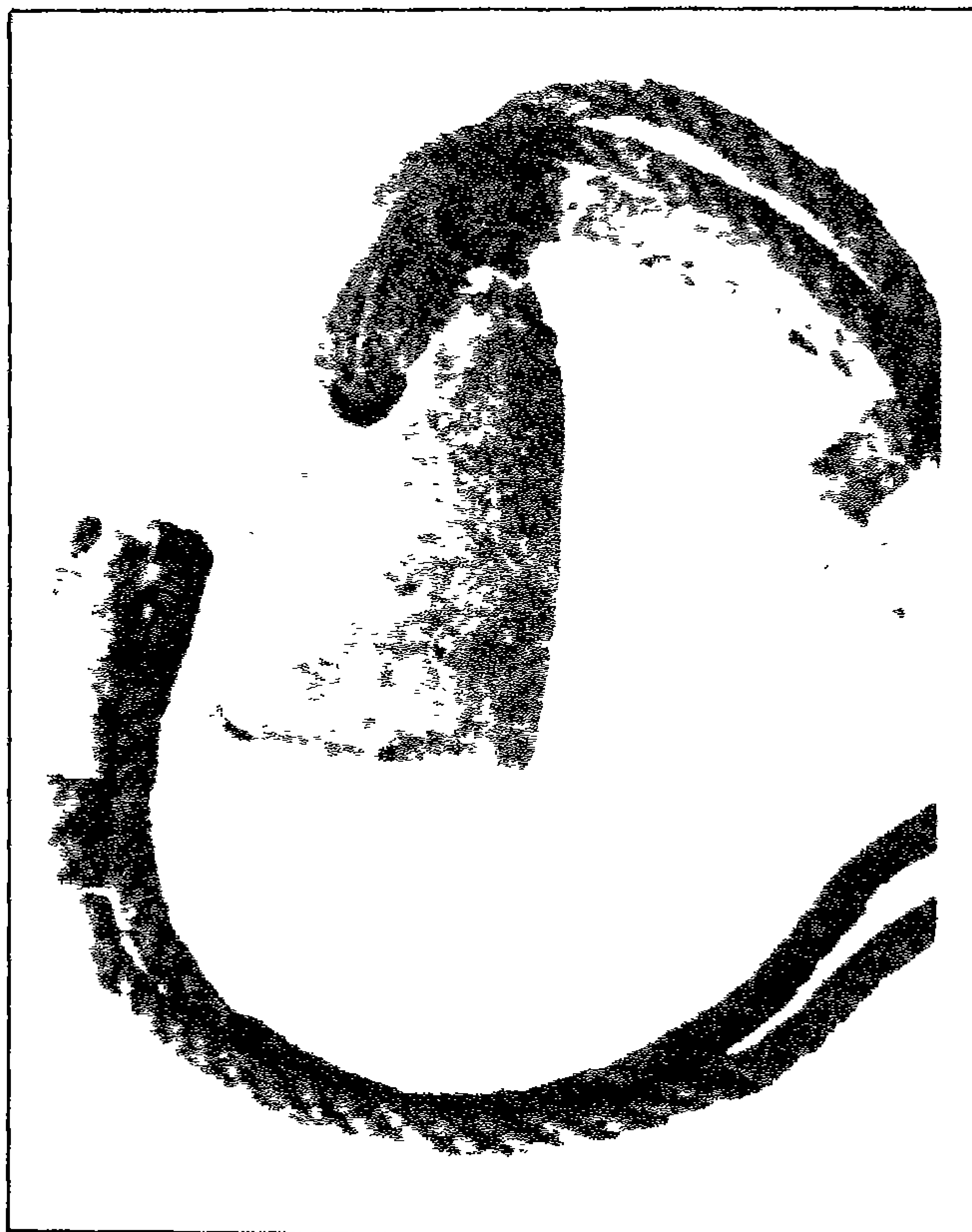
[١١٣] قدري قلعجي – الخليج العربي – الصفحة ٣١ .

ونعتقد أن هذه الميزة هي الميزة الأهم لمياه بحر الخليج العربي فيما يتعلق بمهنة الغوص في الماضي، إذ اولاها لما كانت هنالك مهنة غوص على الإطلاق في ذلك الوقت الذي كان يفتقر إلى أدوات الغوص الحديثة المتعارف عليها، وخاصة أسطوانات الهواء المضغوط للتنفس في الأعماق تحت الماء، والذي كان فيه الغواص يعتمد بالمقام الأول على الله سبحانه وتعالى، ثم على مقدرته الفردية، وطاقته الجسدية في عملية الغوص إلى القاع .

وضحالة الأعماق هذه هي التي ساعدت الغواص في الماضي على الوصول إلى قاع الخليج العربي بسرعةٍ فائقةٍ، ويسرٍ، وسهولةٍ، حيث كان يغلق أنفه بملقطٍ خاصٍ مصنوعٍ من عظم السلاحف، أو قرون الماعز يسمى " الفطام " لمنع تسرب الماء والهواء، ولمعادلة الضغط الواقع على أذن الغواص[١١٤]، ثم يضع إصبع قدمه الكبيرة في حلقةٍ معقودةٍ في حبل " الزيين " الذي هو حبل المثقال، أو حجر الحصاة،

[١١٤] – وفق رواية الذاكرة الشعبية التي أفادنا بها خبير التراث الشعبي الغواص السيد محمد ماجد السالمة عضو مجلس إدارة جمعية الإمارات للغوص والتراث .

والتي تسمى " نعل " أو يعلق حبل الحصاة " الزيبن " المصنوع من ليف النخيل بإحدى قدميه، لكي يتمكن من النزول السريع إلى قاع البحر، اعتماداً على ثقل حصاة الغوص، أو حجر الغوص، وهي عبارة عن كتلة مخروطية من الرصاص، تزن حوالي عشرة أرطال مثبة بحبل " الزيبن "



كما أن مياه بحر الخليج العربي تتميز بفتور وضعف وندرة تياراتها البحرية، باستثناء شهري مايو وسبتمبر، حيث تظهر بعض التيارات البحرية المندفعة من خليج عمان باتجاه داخل الخليج العربي، وتتأثر هذه التيارات بالرياح الموسمية الجنوبية، والجنوبية الغربية التي تنفذ من مضيق هرمز .

وإلى جانب ضحالة مياه بحر الخليج العربي، وفتور تياراته، تعتبر درجات الحرارة المرتفعة نسبياً فيه من العوامل المساعدة على تنوع ثروته البحرية، وتشكل شعبه المرجانية، ومغاصاته التي تسمى " الهيرات " .

الميزة الثانية :

يتميز الخليج العربي بموقعه الجغرافي الاستراتيجي البحري المجاور لبداية ونهاية الطريق البحري العالمي القديم بين الشرق والغرب، والبري الواصل بين شبكة الطرق البرية المؤدية إلى كل من بغداد، ودمشق، وحلب، وأزمير، والقسطنطينية،

أضف إلى ذلك أن العمق النسبي لمياه الخليج العربي قد ساعد السفن على تنفيذ عملية الرسو الآمن **Safe anchorage** والإقلاع الآمن، مما أعطى منطقة الخليج العربي مكانةً جغرافيةً وتجاريةً مرموقةً ازدادت أهميةً بسبب ثروة اللؤلؤ التي ميزت منطقة الخليج العربي عن غيرها من مناطق الدنيا في ذلك الوقت .

ومثلما تميزت منطقة الخليج العربي عن غيرها من مناطق الدنيا بسبب ثروة اللؤلؤ، تميز المجتمع العربي الخليجي المسلم عن غيره من المجتمعات العربية الإسلامية، بسبب مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ؛ لأن تلك المهنة الشاقة التي وحَّدت مجتمع الخليج العربي سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً لتخلق أول وحدة عربية حقيقية على أرض الواقع، أسقطت على المجتمع العربي الخليجي مجموعةً من الآثار والفوائد التي صهرت مركبات المجتمع العربي الخليجي بآليات مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ .

ومن أهم هذه الآثار والفوائد :

أولاً – الآثار والفوائد الاجتماعية :

في عصر الغوص لاستخراج اللؤلؤ الذي سبق عصر النفط، شكلت سفينة الغوص وحدة الإنتاج الرئيسة في ذلك المجتمع، واستندت تلك الوحدة إلى وظائف العاملين على متن سفينة الغوص من جهة، وارتبطت بالعاملين على متن السفينة، والقائمين على تلك الوظائف من جهةٍ ثانية، وعلى هذا الأساس، فالتسلسل الوظائفي الهرمي الذي يبدأ من الأعلى، يخلق مراتب وظائفية لا تقل في مضمونها أهميةً عن الرتب العسكرية في الجيوش، وبالتالي فإنه يخلق حالةً من الانضباط المستند إلى الطاعة، والطاعة المستندة إلى النظام، والنظام المستند إلى التنظيم الحرفي الدقيق والمسؤول، وهكذا فالسفينة ومن عليها، تخضع لسلطةٍ واحدةٍ لا منازع لها، وتخضع لأوامر رجلٍ قائدٍ واحدٍ " النوخذة " نافذة تعليماته دون اعتراضٍ، أو نقاشٍ، أو تذمرٍ؛ لأنه الآمر الناهي المالك للثواب

والعقاب، وفقاً لعاداتٍ وأعرافٍ متوارثةٍ ومتفقٍ عليها؛ لتحقيق المصلحة العامة، والسلامة العامة، وتنفيذ ضوابط التنظيم الحرفي للإنتاج، الذي تحكمه وتتحكم به ثلاث مراتب حرفية أساسية في الوحدة الإنتاجية الرئيسة :

١ — النوخذة .

٢ — الغواص .

٣ — السيب .

- ولأن مجتمع الخليج العربي كان يرتكز بشكلٍ رئيسٍ إلى مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ .
- ولأن غالبية رجال ذلك المجتمع وشبابه كانوا يشكلون قوة العمل الرئيسة فيه .
- ولأن عدد الرجال الذين كانوا يظلون على البر في موسم الغوص قليل جداً .
- ولأنه تقع على عاتقهم مسؤولية حماية وتوجيه ورعاية مجتمع الأسر التي سافر معيلها .

- **ولأن فترات مواسم الغوص :**
- فترة غوص المجنى " المينّه "
- فترة موسم غوص البرد .
- فترة موسم الغوص الكبير " العود " بدءاً من يومه الأول " الركبة " وحتى يومه الأخير " القفال " .
- فترة موسم غوص الردة .
- فترة موسم غوص الرديدة .

كانت الفترات التي تشكل الزمن الفاعل النشط المؤثر في حياة المجتمع بما يسبقها، وبما يليها من زمن .

انتقلت ضوابط ومعايير الوحدة الإنتاجية من البحر إلى البر، وانتشرت تلك الضوابط والمعايير على امتداد الوطن في كل وحداته المجتمعية " الأسرة " التي التزمت طوعاً بتلك الضوابط والمعايير، كما انتشرت في كامل المجتمع الذي تمكن بدوره من التكيف ليتحول إلى وحدةٍ اجتماعيةٍ واحدةٍ **" أسرة كبيرة واحدة "** تلتزم بتلك الضوابط والمعايير، وهكذا فالانضباط، والطاعة، والاحترام، والمواظبة على التنفيذ الحرفي لآليات

العمل، والإخلاص في التنفيذ، انتقلت من البحر إلى البر، ومن السفينة إلى الأسرة، ومن الأسرة إلى كامل المجتمع، فاحتل كبير الأسرة وراعيها في خلية الأسرة على البر، موقع النوخذة في الوحدة الإنتاجية في البحر، فكانت أوامره مطاعةً على اليابسة بين أفراد عائلته، مثلما أوامر النوخذة مطاعةً على متن السفينة بين رجاله وبحارته، وهكذا تميز مجتمع الخليج العربي في ذلك الوقت بطاعة الصغير للكبير، وبعطف الكبير على الصغير، فسادت المحبة، وساد التعاون، مثلما ساد الأمن والأمان أيام ذلك الزمان، الذي كان ينبض بروح الأسرة الواحدة، أو روح عمل الفريق الواحد الذي يوحده الضراء، مثلما يوحده السراء، وقد ساهمت تلك الروح النبيلة التي نفتقدها اليوم في عصرنا وزماننا في تيسير كل أوجه الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والقانونية أيضاً، وعلى مستوى كل شرائح المجتمع، ولذلك لم تكن قوانين الغوص تلعب دوراً هاماً في حل الخلافات في وجهات النظر بين أصحاب العلاقة المتخاصمين، والذين كانوا يفضلون حل خلافاتهم في بوتقة روح عمل الفريق الواحد، واستناداً إلى

عاداتها، وأعرافها، وتقاليدها، لا إلى نصوص القانون، فإذا حدث خلاف ما، حول قضيةٍ ما، فإن المتخاصمين يرجعون إلى بعض الأشخاص الخبيرين في شؤون الغوص؛ ليكونوا بمثابة الحكم، والذين تكون أحكامهم نافذة لدى طرفي الخلاف، وكان ذلك الحكم الذي كان يسمى " السالفة " يقوم بعمل التحكيم تطوعاً دون مقابل .

وتروي الذاكرة الشعبية الكويتية أن آخر حكام الغوص في الكويت للكويت والخليج العربي هو المرحوم " **سالم أبو قمّاز** " وهذا ما يفسر لنا أسباب ضعف العمل بقانون الغوص الكويتي الصادر عام ١٩٤٠م، والمؤلف من إحدى وخمسين مادة تنظم العلاقات بين النوخذة، والغواص، والبحار، والطواش، مثلما تنظم أصول التعاملات الاقتصادية من أجرٍ، وسلفٍ، ودينٍ، وكيفية العمل على متن السفينة، وحالات عجز البحار عن العمل .. إلخ .

ثانياً – الآثار والفوائد الاقتصادية :

ارتبطت الحياة الاقتصادية في عصر وزمن الغوص لصيد اللؤلؤ ارتباطاً وثيقاً بمهنة الغوص، وبمواسم الغوص، مثلما ارتبطت بالضوابط الاجتماعية الآنفة الذكر، ونستطيع القول إن ذلك الارتباط الوثيق بين الحياة الاقتصادية من جهة، ومهنة الغوص والضوابط الاجتماعية من جهةٍ ثانية، قد تحول في بعض الحالات إلى شكلٍ من أشكال الانصهار الذي خلق قوةً دافعةً لبعث رواجٍ اقتصاديٍ متميزٍ، ترتكز جميع مبايعاته وعقوده وصفقاته إلى الكلمة المسؤولة التي كانت تختزل الالتزام، والصدق، والأمانة، والاحترام، والتنفيذ، والوفاء .

وفي عصر الغوص لصيد اللؤلؤ كانت دورة الحياة الاقتصادية تبدأ مع مرحلة الإعداد لموسم الغوص الكبير " العود " حيث كان تجار اللؤلؤ، والطواشون، والنواخذة، وأصحاب سفن الغوص يدفعون للبحارة " سلفة " أو " تسكام " أو ما يسمى " مديونية " والتي هي عبارة عن مبلغٍ من المال

يتقاضاه الغواص والبحار سلفاً قبل بدء موسم الغوص الكبير؛ لشراء مستلزمات أسرته وأهل بيته من غذاءٍ وكساءٍ، وكل ما يمكن أن يحتاجوه في غيابه طيلة موسم الغوص، الذي كان يستمر حوالي أربعة أشهرٍ متصلةٍ، وبالمقابل، وفي ذات الوقت كان النوخذة يقوم بشراء احتياجات رحلة سفينته وبحارتها من أدواتٍ ومواد تموينيةٍ، ولم تكن تلك الحركة التجارية التي كانت أسواق المدن تشهدها قبل بدء موسم الغوص تقتصر على البحارة من أبناء المدن وحسب، بل كانت دائرتها تتسع وتتوسع محيطاً لتشمل في بعض الحالات بعض البدو الذين يعانون من قحط مراعيهم، فيتسابقون إلى المدينة للمشاركة في موسم الغوص لصيد اللؤلؤ، والعمل كبحارةٍ على متن سفنه، سعياً وراء لقمة العيش، والمال الحلال، وكان مجتمع الخليج العربي يترقب موعد " القفال " الذي هو يوم نهاية موسم الغوص " العود " الكبير بفارغ الصبر؛ لأن معظم مشاريع ذلك المجتمع كانت تؤجل إلى ما بعد القفال، بدءاً من الزواج، مروراً بمشتريات الأثاث والمفروشات المترلية، وصولاً إلى بناء الدور والمنازل، وعلى هذا الأساس كان

الرخاء يعمّ كافة مناطق الخليج العربي مع نهاية موسم الغوص، وبعد بيع اللؤلؤ في أسواق الهند، وكانت الأسواق تنتعش بما تحمله إليها السفن التجارية من مختلف أنواع البضائع، ولم تكن عائدات النقل البحري تنحصر في التجار والأفراد العاملين في هذه المهنة وحسب، بل كانت تشكل جزءاً من دخل الدولة متمثلاً في الضرائب والرسوم المقررة في ذلك الوقت .

وقد خضعت سفن الغوص في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ لنظامٍ ضريبيٍ واضح المعالم، نصَّ على ضرائب محددة على كل سفينة غوص، يتناسب طرداً مع حاصلها من ثمن اللؤلؤ الذي استخرجه بحارتها في ذلك الموسم، وقد جرت العادة على أن تكون قيمة الضريبة مساويةً لحصة غواصٍ واحدٍ فقط، وكانت تلك الضريبة تسمى في الكويت " اقلاطة الشيوخ " .

ثالثاً – الآثار والفوائد الاجتماعية الاقتصادية :

ونستطيع القول إن تلك الآثار والفوائد كانت تظهر بوضوحٍ وجلاءٍ في كل أيام ومراحل الغوص، بدءاً من غوص البرد، مروراً بالغوص الكبير " العود " وصولاً إلى غوص الردة، وانتهاءً بغوص الرديدة، ولكي لا نعقد الأمر، سنقول إن الفوائد الاقتصادية الاجتماعية في زمن الغوص تقابل اليوم مصطلح ((التكافل والتضامن الاجتماعي الاقتصادي)) ولننطلق بادئ ذي بدء من الفوائد الاجتماعية الاقتصادية في الغوص الكبير، حيث سبق وذكرنا آنفاً أن عدداً من الرجال لا يذهبون للمشاركة في موسم الغوص لسبب ما، ويظلون على البر مع الشيوخ والنساء والأطفال، ودونما تردد، وبشكلٍ تلقائي تنضم بعض الأسر التي سافر معيلها في رحلة موسم الغوص إلى أسرة أحد البحارة الذي ظل على اليابسة، ليصبح هذا البحار معيلاً بالوكالة والتكافل والتضامن لأسر أقاربه وأصدقائه الذين سافروا في رحلة موسم الغوص، ويظل معيلاً لهذه الأسر إلى أن يعود معيلها الأصلي من البحر،

فتجد في موسم الغوص الكبير بعض الرجال يعيلون كل الأسر، فكأن الواحد للكل في ظل مبدأ التكافل والتضامن الاجتماعي الفطري الذي كان سائداً في ذلك الوقت .

وفي حال موت أحد البحارة في موسم الغوص، يتكافل الجميع لتعويض أسرته مادياً ومعنوياً .

وفي حال احتراق أو غرق سفينةٍ ما في موسم الغوص، يتكافل الجميع لتعويض مالك تلك السفينة المنكوبة .

وفي حال عدم كفاية مردود عائدات موسم الغوص الكبير لسداد دين غواصٍ أو بحار، فإن موسمي غوص الردة والرديدة كفيلان بتعويضه؛ لأنهما لا يخضعا لقوانين وأعراف موسم الغوص الكبير " العود " وتكون عائدات الغوص كاملةً لذلك الغواص أو البحار .

رابعاً – الآثار والفوائد الثقافية :

كما تحدثنا في الفصل السابق عن مخاطر أسفار البحارة وتجار اللؤلؤ إلى أسواق اللؤلؤ العالمية في البحرين، والكويت، ودبي، ودارين في الإحساء السعودية، وبومباي في الهند، وسيلان، وباريس، ولندن، واحتمال إصابتهم بالعدوى ببعض الأمراض المعدية بسبب احتكاكهم بغيرهم من الأقوام والبحارة في تلك الأسواق العالمية، سنتحدث في هذا الفصل عن الفوائد الثقافية لتلك الأسفار، فالاحتكاك بالأقوام والشعوب المختلفة من شأنه خلق نوع من التفاعل الثقافي الإيجابي، لاسيما وأن شبه القارة الهندية التي كانت الهدف الأفضل لتجار وبحارة الخليج العربي منذ أيام الملاح العربي الجلفاري أحمد بن ماجد [١١٥] المتهم زوراً وبهتاناً بإرشاده البرتغالي فاسكو دي غاما إلى طريق رأس الرجاء الصالح [١١٦]،

[١١٥] – أحمد بن ماجد بن محمد بن عمر بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبي معلق بن أبي الركايب، ونسبه الأرضي يعود إلى جلفار / إمارة رأس الخيمة في دولة الإمارات العربية المتحدة حالياً .

[١١٦] – السند التاريخي الوحيد لتلك الرواية " البرق اليماني في الفتح العثماني " لقطب الدين نهروالي، والذي صدر بعد وفاة أحمد بن ماجد بحوالي ثمانين عاماً، والملفت للنظر أن ذلك السند يغص بالمغالطات التاريخية التي من أهمها قول النهروالي إن وصول البرتغاليين وفاسكو دي غاما لرأس الرجاء الصالح كان في عام ١٤٩٥ بينما تثبت جميع الوثائق

قد أصبحت بعد وصول البرتغاليين، فالأوربيين إليها بوتقةً صهرت فيها الثقافات العربية – البرتغالية – الأوربية، فعرفت في نهاية الثلاثينات العديد من الفنون الأوربية، وعلى رأسها السينما والمسرح، وتعرف فيها تجار وبحارة الخليج العربي إلى اللغة الهندية، واطلعوا على الثقافات الأوربية الهندية، وعلى ألوان فنونها المختلفة، واختلطت بعض المفردات الهندية والإنكليزية والفارسية بمفردات اللغة العربية التي دخلت بدورها مفردات تلك اللغات .

أضف إلى ذلك أن ثقافة البحر والغوص قد انتقلت بصورةٍ تلقائيةٍ إلى الثقافة الشعبية الخليجية، فما من قصةٍ أو حكايةٍ شعبيةٍ يتداولها الكبار أو الصغار، إلا وتتضمن أحداثاً دارت في البحر، وأبطالاً صارعوا أمواجه وأهواله، ليس هذا وحسب، بل إن ألعاب الأطفال الشعبية، أو المصنعة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالبحر، وسفنه، ورجاله .

التاريخية، بما فيها الوثائق التاريخية البرتغالية أن ذلك الوصول كان في عام ١٤٩٨ ، وهو ذات العام الذي انقطعت فيه أخبار أحمد بن ماجد .

خامساً – الآثار والفوائد الصحية :

تحدثنا في الفصل السابق عن مخاطر أسفار البحارة وتجار اللؤلؤ إلى أسواق اللؤلؤ العالمية في البحرين، والكويت، ودبي، ودارين في الإحساء السعودية، وبومباي في الهند، وسيلان، وباريس، ولندن، واحتمال إصابتهم بالعدوى ببعض الأمراض المعدية بسبب احتكاكهم بغيرهم من الأقوام والبحارة في تلك الأسواق العالمية، ولأن الأمراض تعالج بالأدوية، فقد قام التجار والبحارة بالاطلاع على الأدوية المركبة من الأعشاب الطبيعية لعلاج تلك الأمراض المعدية، ثم نقلوا تلك الأدوية إلى بلادهم لمعالجة مرضاهم .

الفصل الرابع

أسباب اندثار ونهاية

مملكة الغوص واللؤلؤ

موسوعة الغوص واللؤلؤ – المجلد الثاني

تمهيد :

نستطيع القول إن أسباب اندثار مملكة الغوص واللؤلؤ تنحصر في ثلاثة محاور رئيسةٍ، وفي مجموعةٍ من المحاور الثانوية الفرعية، أما المحاور الرئيسة، فهي :

١ – اكتشاف البترول .

٢ – اكتشاف اللؤلؤ الصناعي المستنبت .

٣ – مخاطر صيد اللؤلؤ الطبيعي .

وأما المحاور الثانوية الفرعية فهي متعددة، وسوف نلقي الضوء في هذا الفصل من هذه الموسوعة على أسباب اندثار مملكة الغوص واللؤلؤ، وسوف نحاول تحليل مضمون المحاور الرئيسة، والثانوية الفرعية التي أدت إلى هذا الاندثار .

ازدهار مملكة الغوص واللؤلؤ :

كانت مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ من أعماق بحر الخليج العربي من أقدم وأبرز وأهم المهن الاقتصادية لأهل الخليج العربي الذين كانوا ينتجون نصف محصول العالم من اللؤلؤ، بأرباحٍ تقدر بحوالي تسعين مليون روبيه، ومما يذكر أن عائدات الغوص في القطيف كانت تقدر بأربعة ملايين وستمائة ألف روبية هندية، وهو مبلغ طائل بالنسبة لذلك الوقت، وهذه الثروة التي كان السكان يحصلون عليها، أسالت لعاب الأوربيين، فحاولوا في فترات عديدة أن يحصلوا على امتياز صيد اللؤلؤ في الخليج باستخدام الوسائل الحديثة في الغوص، لكن محاولاتهم تلك باءت بالفشل، بسبب معارضة الأهالي والسلطات المهيمنة على مياه الخليج العربي في ذلك لوقت .

ولا يعرف المؤرخون تاريخاً محدداً لبداية تلك المهنة في منطقة الخليج العربي، لكنهم استنتجوا أنها بدأت مع العصور القديمة الأولى من حضارة دلمون " البحرين " والتي ترجع إلى أكثر

من أربعة آلاف سنة، حيث أثبتت اللّقى الآثارية، والاستكشافات المحلية والأجنبية، أن أقدم المؤشرات على ممارسة مهنة الغوص في منطقة الخليج العربي، ترجع إلى ما جاء في أسطورة البطل السومري جلجامش في رحلته للبحث عن الخلود، وذلك عندما وضع ذلك البطل الأسطوري فطاماً على أنفه، وحجراً يتدلى من قدميه؛ ليصل بسرعةٍ إلى قاع البحر، بحثاً عن زهرة الخلود، والفطام والمثقال الحجري، من أدوات غوص البحرينيين والخليجيين بشكلٍ عامٍ، مما يثبت أن ما جاء في أسطورة البطل السومري جلجاميش، كان مقتبساً عن حياة مهنة الغوص في دلمون " البحرين " وفي كامل منطقة الخليج العربي .

وقد ارتبط أهل الخليج العربي بالبحر ارتباطاً قوياً ووثيقاً؛ لأنه شكّل لهم المصدر الرئيس لرزقهم وعيشهم صيداً، وغوصاً، وتجارةً، ونقلاً، لكن مهنة الغوص تصدرت ذلك الارتباط القوي الوثيق على مدى ردحٍ طويلٍ من الزمن، وسيطرت على ما سواها من المهن في كامل مناطق الخليج العربي،

ومثلما هو النفط ثروة هذا العصر بالنسبة لمنطقة الخليج العربي، كان اللؤلؤ ثروة العصر المنصرم بالنسبة لمنطقة الخليج العربي، ولذلك لا غرابة إن كانت مهنة الغوص لاستخراج وصيد اللؤلؤ، هي المهنة الأهم والأبرز في منطقة الخليج العربي، في مرحلة ما قبل اكتشاف واستثمار النفط، حيث كان ما يقارب من / ٨٥% / من إجمالي سكان إمارة أبوظبي مثلاً يعملون في مهنة الغوص، أو في تجارة اللؤلؤ، وفي مرحلة ما قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية كان قطاع مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ، وتجارة اللؤلؤ يساهم بحوالي / ٩٥% / من إجمالي الدخل القومي لإمارة أبوظبي[١١٧]، وكان الدخل السنوي من صيد وتجارة اللؤلؤ يقدر بأكثر من عشرين مليون روبية .

أما سفن الغوص، فقد قدر عددها على مستوى إمارات الدولة في ذلك الوقت بحوالي ألفي سفينة، بينما قدر عدد

[١١٧] - حمدي تمام — زايد بن سلطان آل نهيان القائد والمسيرة .

الرجال البحارة الذين كانوا يعملون على متنها بحوالي عشرين ألف رجل .

ولقد لعبت إمارتا أبوظبي ودبي الدور الأول في صيد وتجارة اللؤلؤ في مرحلة ما قبل اكتشاف واستثمار النفط، وفي موسم الغوص الكبير " العود " كانت " سنيارات " سفن الغوص التي تخرج من إمارات رأس الخيمة، والفجيرة، وأم القيوين ترسو في ميناء دبي لاستكمال مشترياتها من المواد التموينية، وأدوات الغوص، وإعداد السفن، قبل أن تشق طريقها في عرض البحر نحو المغاصات " الهيرات "

وفي هذا الصدد يقول النوخذة فرج بن بطي المحيربي رئيس جمعية الإمارات للغوص [١١٨]:

" إن مهنة الغوص ظهرت في البناء الاقتصادي للإمارات منذ آلاف السنين، وكانت الوسيلة الوحيدة لأهل الساحل لطلب الرزق لحقب تاريخية طويلة، وإن الرحالة العالميين الذين

---

[١١٨] – النوخذة فرج بن بطي المحيربي – الذاكرة الشعبية .

زاروا الإمارات في مطلع القرن العشرين قدروا حجم مبيعات طواويش الإمارات من اللؤلؤ في عام ١٩٠٥ م بنحو خمسة ملايين روبية هندية "

ويشير أيضاً إلى ان أحد الرحالة الأوروبيين الذين زاروا دبي وخورها في أوائل القرن العشرين، قدَّر عدد سفن الغوص الراسية على سواحل المدينة بنحو / ٣٠٠ / سفينة، وعدد العاملين على متنها بنحو / ٧٠٠٠ / بحار . وفي هذا الإطار وصف الرحالة الدانمركي كارستين نيبور الكويت عام ١٧٥٦م بأنها بلدة يبلغ تعداد سكانها عشرة آلاف نسمة، ويملكون ثمانمائة مركب، ويعيشون على التجارة، وصيد السمك، واللؤلؤ .

أسباب انهيار واندثار مملكة الغوص واللؤلؤ :

في عام ١٩٢٨ بدأت عوامل ازدهار مملكة الغوص واللؤلؤ بالتراجع والانهيار السريع، عندما بدأت تجارة اللؤلؤ بالتراجع والتدهور المريع، لتدخل بعد ذلك في أزمةٍ اقتصاديةٍ خانقةٍ، أدت إلى نهاية واندثار مملكة الغوص واللؤلؤ، وزوال عصر اللؤلؤ البهيج، ويمكن القول إن عوامل ذلك الاندثار والزوال السريع يرجع إلى مجموعةٍ من الأسباب الرئيسة والثانوية، سنحاول استعراضها كما يلي :

١ - ظهور اللؤلؤ الياباني المستنبت الذي تمكن من منافسة اللؤلؤ الطبيعي بقوةٍ ماحقةٍ بسبب جمال شكله، وانخفاض سعره، بالمقارنة مع اللؤلؤ الطبيعي، وسوف نستعرض معالم هذا اللؤلؤ المستنبت في الفصل التالي .

٢ - بسبب الفارق الكبير في أسعار اللؤلؤ الطبيعي، والصناعي الياباني المستنبت، عمد بعض صغار النفوس من

تجار اللؤلؤ الطبيعي، إلى خلط حباتهم بحبات اللؤلؤ الصناعي الياباني المستنبت؛ لتحقيق المزيد من الأرباح، ولكن سرعان ما اكتشفت حيلتهم الجشعة، مما دفع بعشاق اللؤلؤ إلى الامتناع عن شراء اللؤلؤ الطبيعي خوفاً من هذا الغش .

٣ — أدت الحرب العالمية الأولى إلى أزمةٍ اقتصاديةٍ عالميةٍ، دفعت بالمستهلكين إلى الامتناع عن شراء السلع الكمالية لصالح السلع الضرورية، ولما كان اللؤلؤ سلعةً كماليةً، فقد دخلت دائرة الإهمال الاستهلاكي، فخفَّ الاهتمام بها، والإقبال على شرائها واقتنائها .

٤ — قيام بعض الدول بعد الحرب العالمية الأولى، ثم بعد الحرب العالمية الثانية بإصدار قوانين اقتصادية تحدد أوجه وأولويات إنفاقها؛ بهدف توجيه آلية اقتصادها، وبموجب تلك القوانين، منعت تلك الدول استيراد السلع الكمالية، ومنها، أو في مقدمتها اللؤلؤ، وكانت الهند التي كانت السوق الرئيسة لتسويق اللؤلؤ في العالم من بين تلك الدول، إضافةً إلى كونها من أكبر وأهم مستهلكي اللؤلؤ الخليجي

الذي تجاوز في الهند أعناق النساء، ليصل إلى أعناق الكلاب، حيث بلغ بذخ مهراجات الهند حدَّ تصنيع قلائد اللؤلؤ لكلابهم، وقد أدت تلك القرارات الاقتصادية العالمية إلى :

- إحجام المستهلكين العالميين عن شراء اللؤلؤ الطبيعي .
- ضعف الإقبال العالمي على شراء اللؤلؤ الطبيعي .
- زيادة عرض اللؤلؤ الطبيعي بالمقارنة مع الطلب عليه .
- تدهور أسعار اللؤلؤ الطبيعي .
- خسائر تجار وتجارة اللؤلؤ الطبيعي الفادحة .
- فقدان رؤوس الأموال المموّلة لأعمال الغوص لصيد اللؤلؤ الطبيعي في منطقة الخليج العربي .
- إحجام البحارة العاملين بمهنة الغوص لصيد اللؤلؤ الطبيعي في منطقة الخليج العربي عن العمل بهذه المهنة بعد ازدياد مخاطر العمل فيها .

٥ – بسبب ضعف الإقبال على شراء اللؤلؤ الطبيعي من جهة، واستمرارية وفرة صيده من جهة ثانية، صار العرض أكبر من الطلب، فانخفضت قيمته، وصارت لا تتناسب

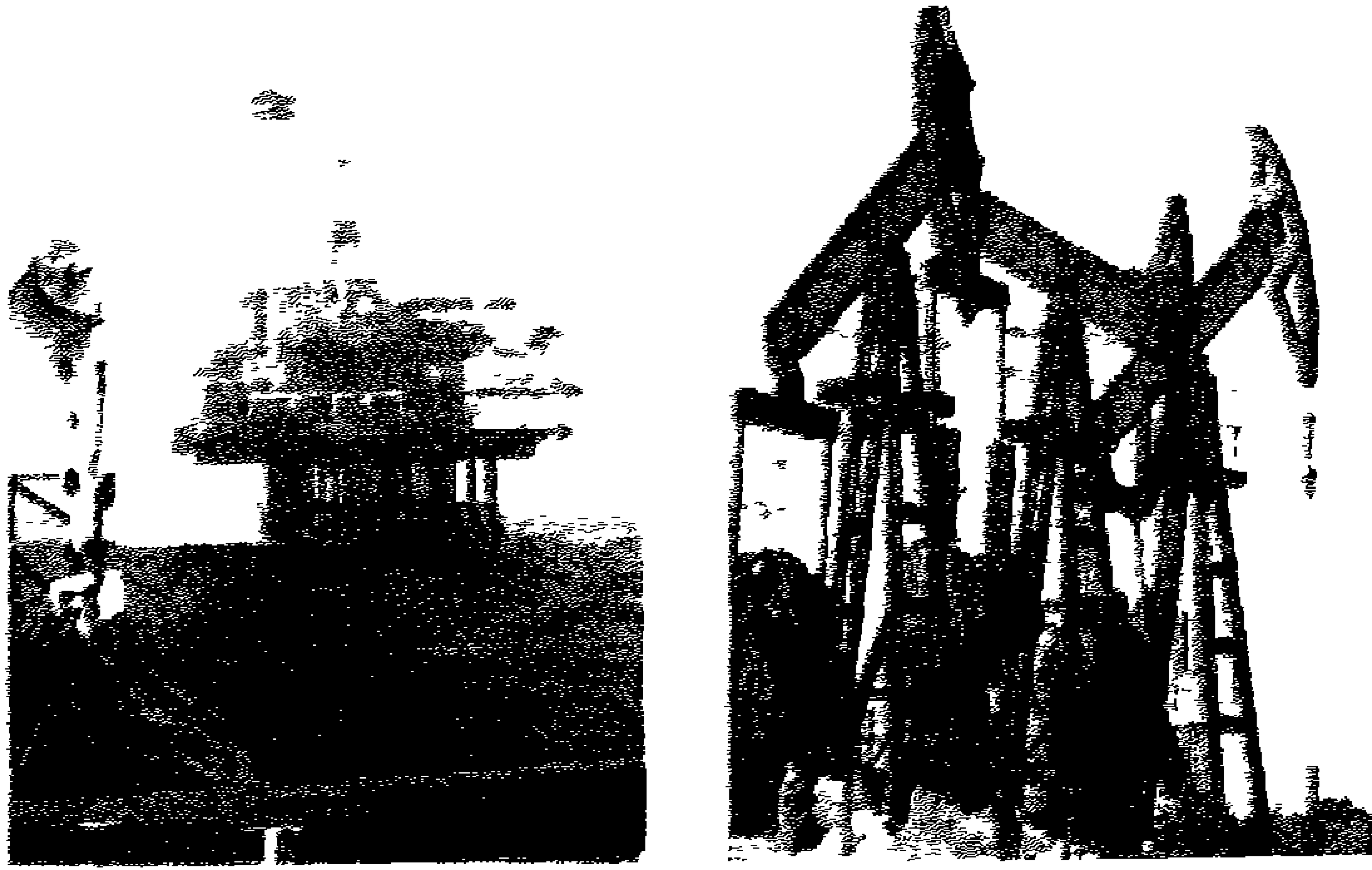
وتكاليف صيده واستخراجه، ودخل العاملون في مهنة صيد اللؤلؤ الطبيعي بأزمةٍ اقتصاديةٍ خانقةٍ .

٦ – للأسباب الصعبة الآنفة الذكر، دخل اللؤلؤ عالم الغش والتلاعب بأسعاره لتحقيق أكبر قدرٍ ممكنٍ من الأرباح، أو بعبارةٍ أدق، لتفادي أكبر قدرٍ ممكنٍ من الخسائر، مما أدى إلى خشية المستهلكين من الإقبال على شرائه كما كان الحال عليه في سالف الزمان .

٧ – ثم جاءت الضربة القاضية :

- **بعمليات التنقيب عن النفط**

التي خرَّبت هيرات ومغاصات اللؤلؤ، وحوَّلتها من مغاصات للؤلؤ تجسد نقاء البيئة البحرية، إلى حقولٍ للنفط تجسد تلوث البيئة البحرية، ثم ابتلعت أسماء تلك الهيرات العريقة، وأنجبت أسماء حقولٍ نفطيةٍ جديدةٍ، لا تمت لأصالة الماضي ونقائه بصلةٍ تذكر .



صورة ملونة رقم / ٢٠ / منصات النفط البرية والبحرية

- باكتشاف واستثمار النفط في الخليج العربي بدءاً من البحرين عام ١٩٣٢م، والذي أدى فيما بعد إلى تلوثٍ بيئيٍ واسع النطاق، وبالغ الأثر، سواء كان ذلك بسبب أعمال التنقيب عن النفط في قيعان حوض الخليج العربي، أو بسبب أعمال بناء واستثمار المنصات النفطية، أو بسبب غرق ناقلات البترول التي يطلق عليها حماة البيئة إسم " نعش البيئة " .

صورة ملونة رقم / ٢١ / ناقلات النفط والتلوث البيئي



نعم ..

لقد انتهت أيام

مملكة الغوص

واللؤلؤ، وانهارت، واندثرت، وغرقت في حوض بحر الخليج العربي، مثلما تغرق فيه ناقلات النفط العملاقة، وانتهى معها، وغرق، واندثر عصر الغوص واللؤلؤ البهيج، ودخلت منطقة الخليج العربي عصر النفط، الذي استطاع بعون الله، وبفضل جهود المخلصين، أن يعوض الازدهار الاقتصادي الذي كان عصر الغوص واللؤلؤ قد أوجده على الأرض، وأن يخلق ازدهاراً اقتصادياً رائداً أفضل من سابقه بكثير، وصل إلى حد الرفاهية، وأوصل دوله إلى مراتب الدول الغنية في العالم .

الإمارات والخليج العربي بين ثروتي النفط واللؤلؤ :

مما لاشك فيه أن الإنسان هو الثروة الإلهية الأهم في كل زمانٍ ومكان، ومما لاشك فيه أيضاً أن منطقة الخليج العربي، وعلى مر العصور وحقب التاريخ، ظلت تشكل في نظر القادة وصانعي التاريخ المنطقة الجغرافية الاستراتيجية الأهم، وعلى هذا الأساس، فإن اللؤلؤ شكل في الماضي ثروة منطقة الخليج العربي الاستراتيجية، مثلما شكل النفط في الحاضر المعاصر ثروة ذات المنطقة، ولأن الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الخليج العربي لم يختلف مضمونها الجوهري في ظل ثروتي اللؤلؤ والنفط، فإن المطامع التي عانت منها هذه المنطقة في ظل الثروتين ظلت قائمةً في زمن الثروتين .

وهنا لابد من الإشارة إلى الفارق الرئيس بين ثروتي اللؤلؤ والنفط على مستوى منطقة الخليج العربي وأهلها، فثروة اللؤلؤ كانت ثروةً مشاعةً لجميع أبناء منطقة الخليج العربي دون استثناء، بينما صارت ثروة النفط ملكاً للدولة حصراً،

التي هي وحدها صاحبة الحق والصلاحية في التصرف بعائدات هذه الثروة داخلياً وخارجياً، لصالح الشعب، ولصالح مستقبل الدولة ومصالحها العليا، وللإنصاف وقول الحقِّ، فقد تمكنت دول الخليج العربي بشكلٍ عامٍ من بناء نهضةٍ حضاريةٍ شاملةٍ بهذه العائدات، وبشكلٍ خاصٍ دولة الإمارات العربية المتحدة، التي استغلت ثروة النفط خير استغلالٍ لبناء الاتحاد، ولبناء الأسس القوية الراسخة لنهضة الإنسان والعمران الشاملة، بالتكامل والتوازي، وكان لفلسفة قائد الإمارات وصانع اتحادها القائد الخالد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله، الدور الموجه الأهم في هذه العملية الرائدة التي اختصرت الزمن، وسابقت العصر، وعمَّرت الصحراء، وزرعتها بفسائل الخير والأمل .

وهكذا تمكن قادة الخليج العربي بعون الله سبحانه وتعالى من استغلال ثروة النفط؛ لدفع دورة الازدهار الاقتصادي في منطقة الخليج العربي، وتفعيلها، وتطويرها إلى الحد الأقصى؛ لتصبح أفضل حالاً مما كانت عليه في زمن الغوص لصيد

اللؤلؤ، ولترتقي بالمنطقة، حتى تصل بها إلى أعلى مستويات التطور والرفاهية .

وبعد دخول المنطقة وأهلها مرحلة الازدهار والانتعاش الاقتصادي، وللأسباب الآنفة الذكر، أصبح العمل في مهنة الغوص لاستخراج اللؤلؤ عملاً بالغ الخطورة، وغير مرغوبٍ فيه، وامتنع الناس تلقائياً عن ممارسة تلك المهنة التي أصبحت خاسرةً تجارياً، مثلما أصبحت رابحةً تراثياً؛ لأنها تحولت إلى شكلٍ من أشكال التراث، بل إلى أهم أشكال التراث لكامل منطقة الخليج العربي .

لقد كان اللؤلؤ في مرحلة ما قبل اكتشاف واستثمار النفط القاسم المشترك الأعظم لمنطقة الخليج العربي على كافة المستويات، وفي كافة مجالات الحياة، اقتصادياً، وسياسياً، واجتماعياً، وثقافياً، وتاريخياً، وصار اللؤلؤ في مرحلة ما بعد اكتشاف واستثمار النفط القاسم التراثي المشترك الأعظم، الذي يجمع أهل الخليج العربي على ضرورة الحفاظ عليه للتحفاظ على أصالة هويتهم العربية الإسلامية، مثلما يجمعون

على تقديره واحترامه، إجلالاً لشقاء الآباء والأجداد الذين عملوا في مجاله المرهق، وإجلالاً لأرواح الآباء والأجداد الذين قضوا في أتون نضالهم المشرف لاصطياده من أعماق مياه حوض الخليج العربي السحيقة .

الفصل الخامس

اللؤلؤ الطبيعي

و

اللؤلؤ المستنبت

و

اللؤلؤ الصناعي المقلد

تمهيد :

بدأت مهنة الغوص والاتجار في جوهر اللؤلؤ، في الإمارات، وفي كامل منطقة الخليج العربي، منذ آلاف السنين، وكانت لعصورٍ طويلةٍ مهنة المهن، والوسيلة الرئيسة للعيش والرزق الحلال، رغم شقائها ومخاطرها، لكن أبناء الإمارات والخليج العربي المؤمنين بربهم، صبروا على ذلك الشقاء في كفاحٍ مريرٍ، إلى أن منَّ اللّه سبحانه وتعالى عليهم بثروة النفط التي نقلتهم جذرياً إلى عصر الرخاء والتطور والنهضة العصرية الشاملة .

وكان لاكتشاف النفط بعد التنقيبات التي تمت في البحرين عام ١٩٣١، ثم تسويقه عام ١٩٣٣ أثر بالغ في ضمور مهنة الغوص وصيد اللؤلؤ، ليس على مستوى البحرين وحسب، والتي اتجه الناس وبحارة صيد اللؤلؤ فيها للعمل في مجال النفط من خلال العمل بشركة بابكو، ثم في صناعة النفط الذي شكل عماد الثروة القومية في البلاد، إلى جانب الصناعات

الوليدة الأخرى، وإنما على مستوى كامل منطقة الخليج العربي، وذلك بسبب ترقب أهل الخليج العربي ولادة ثروة النفط في جميع مناطق بلادهم، وإلى جانب ثروة النفط، وبالتوازي مع ولادة تلك الثروة، ولد اللؤلؤ الياباني المستنبت، أو المزروع **Cultured pearl** الذي يطلق عليه خطأ إسم اللؤلؤ الياباني الصناعي، مما سبب الضربة القاضية لحقبة مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي .

وقد ولدت محاولات اللؤلؤ المستنبت، أو اللؤلؤ المزروع، أو بعبارةٍ أخرى، محاولات إدخال الأجسام الغريبة إلى داخل الصدفة الحيوانية **Blister** لتحريض حيوان اللؤلؤ الرخوي **Shell – fish** للقيام بإفراز مادة **Mother of pearl** عرق اللؤلؤ منذ قديم الزمن، وتحديداً في القرن الثالث عشر الميلادي، على يد الصينيين، الذين تمكنوا في نهاية المطاف، وبعد إجراء العديد من التجارب العملية العلمية من إدخال قوالب صغيرة نصف مستديرة إلى داخل محارةٍ حيةٍ، وبعد عامين من الانتظار والترقب، وجدوا أن الأجسام الغريبة التي

أدخلوهـــا قسراً إلى داخل صدفة حيوان اللؤلؤ الرخوي، قد غلّفت بمادةٍ تسمى " النقير " [١١٩]

وبعد نجاح تجربتهم تلك، تمكن الصينيون من إعداد القوالب المغلفة بمادة النقير، وبيعها في أسواق الصين .

وعن الصّينيين اقتبس اليابانيون وسائل إنتاج اللؤلؤ المزروع، وأخـــذوا يدخلون التحسينات المتواصلة والمتلاحقة على هذه الوسائل .

وباختصارٍ مطلق، فإن ركائز فكرة إنتاج اللؤلؤ المستنبت **Cultured pearl** تقوم على مبدأ تحريض حيوان اللؤلؤ الرخوي **Shell – fish** الذي يعيش داخل الصدفة **Blister**

---

[١١٩] – النقير في اللغة العربية : هو النقرة التي في ظهر النواة، يقابله الفتيل : أي مايكون في بطن النواة طولاً، أما القطمير : فهو القشرة التي على النواة، ولتوضيح الأمر نورد ما عثرنا عليه في وصف حبة تمر اللولو:
لون الثمرة أصفر فاقع، وشكلها بيضاوي مقلوب، وقمعها يقع في حوضٍ قمته بمستوى سطح الثمرة، والندبة شبه واضحة، مذاق الثمرة في مرحلة البسر حلو وقليل الألياف والمادة الدباغية، لون البذرة بني، ويوجد شق في ظهر البذرة يصل إلى منطقة النقير، والنقير في وسط البذرة، والشق البطني في الوسط غير عميق، لون الرطب كهرماني، ولون التمر بني معدل، وزن الثمرة متوسط والبذرة قليل ونسبة وزن الجزء اللحمي إلى البذرة متوسطة.

للدفاع عن نفسه، وإنتاج عرق اللؤلؤ **Mother of pearl** لتغليف العدو الغازي الذي يهاجمه في عقر داره، وعلى هذا الأساس، يتم إدخال، أو زرع الطعم الذي يكون عادةً من كرةٍ من عرق اللؤلؤ المقطوع حصراً من صدفةٍ أخرى يتم التضحية بها، إلى جيب الصدفة المراد زراعتها، أو استنباها، وذلك بفتح الصدفة المستنبتة بدقةٍ وعنايةٍ وحذرٍ بالغٍ لتجنب إصابتها بأي رضٌ كان .

وبعد تحضير مسند خاصٍ للصدفة **Blister** المراد استنباها أو زراعتها لحمايتها، يتم غرس الطعم بالغدة التناسلية للحيوان الرخوي الحي **Shell – fish** الذي يعيش بداخلها، والذي يخضع بعد ذلك لمراقبةٍ دقيقةٍ لعدة ساعاتٍ للاطمئنان إلى سلامته، ثم ينقل ويوضع مع بقية المحار المستنبت أو المزروع في سلالٍ عموديةٍ معلقةٍ تحت سطح الماء، ومدلاةً على عمق عشرات الأمتار، وموزعةٍ بطريقةٍ تسمح للغواصين المختصين بمراقبتها يومياً على مدى شهرٍ كاملٍ؛ للتحقق من أن حيوان اللؤلؤ الرخوي **Shell – fish** قد قبل عملية التلقيح

Fertilization، وأنه سوف يقوم بإنتاج وإفراز مادة عرق اللؤلؤ **Mother of pearl** للدفاع عن نفسه .

وقد .أثبتت التجارب العملية في مجال تلقيح حيوان اللؤلؤ الرخوي، أن نسبة / ٤٥% / من حالات التلقيح **Fertilization** تفشل لأسبابٍ لم تعرف حتى الآن، وبصورةٍ عامةٍ، وفي حال نجاح عملية التلقيح فإن حيوان اللؤلؤ الرخوي يحتاج إلى ثلاثة أعوام لتكوين حبة اللؤلؤ المستنبت الناضجة **Cultured pearl** .

أمـــا اللؤلـــؤ الصناعي، فهو شأن آخر، وموضوع آخر؛ لأن عملية التصنيع المعملي **Industrialization** واضحة الأركان والمعالم في جميع مراحل إنتاج هذا النوع من اللؤلؤ الذي يحق لنا أن نطلق عليه أيضاً إسم : اللؤلؤ المقلد .

وفكـــرة اللؤلؤ الصناعي، أو اللؤلؤ المقلد بدأت في العاصمة الفرنســية باريس عام ١٦٨٠ على يد صانع مسابح فرنسي يدعى " جاكوان ".

وتتـــلخص طريقة " جاكوان " في عملية تصنيع اللؤلؤ المقلد، بالمراحل الصناعية التالية :

- تصنيع كراتٍ صغيرةٍ مجوفةٍ من الزجاج الرقيق .
- سحق وعجن مادةٍ كيميائيةٍ تسمى " روح الشرق " بقشـــور نوعٍ خاصٍ من السمك الفضي، للحصول على " روح اللؤلؤ " .
- ســـحق وعجـــن روح اللؤلؤ بالجيلاتين، والجوانين، والسلولوئيد .
- حشـــو هـــذه الكرات الزجاجية الصغيرة بالمعجون الكيميائي المذكور أعلاه .
- تفريغ هذه الكرات الزجاجية الصغيرة المجوفة من ذلك المعجـــون الكيميائي، بعد التأكد من أنه قد استكمل التصاقه بالسطح الداخلي للكرات الزجاجية المجوفة .
- إعـــادة حشـــو الكرات الزجاجية المجوفة التي التصق المعجـــون الكيميائي بسطحها الداخلي بمادة الشمع الأبيض .

- إغلاق ثقب الكرة الزجاجية المجوفة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مراحل تصنيع هذا اللؤلؤ الصناعي أو المقلد، يمكن توظيفها في العديد من عمليات التصنيع التجارية **Commercial Industrialization** لتقليد العديد من أنواع اللآلئ المعروفة بجميع ألوانها المتباينة .

بين اللؤلؤ الطبيعي، واللؤلؤ الياباني المستنبت :

ولكي نتمكن من استيعاب مفهوم اللؤلؤ الصناعي الياباني، علينا بادئ ذي بدء استيعاب مفهوم اللؤلؤ الطبيعي بشكلٍ عامٍ، والذي كنا قد تحدثنا عنه في فصلٍ سابقٍ[١٢٠]، وقلنا إن اللؤلؤ الطبيعي هو اللؤلؤ الذي يتكون داخل المحار الحي الذي يعيش بداخله الحيوان اللؤلؤي الرخوي **Shell – fish** الذي يفرز مادة عرق اللؤلؤ **Mother of pearl** لتبطين الجوانب الداخلية للأصداف بطبقةٍ تسمى " الطبقة اللؤلؤية " لحماية

[١٢٠] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – كيف يتكون اللؤلو – صفحة ٨٣ .

نفسه، وتكون هذه الطبقة التي تتشكل من خلايا عضوٍ لحميٍ من جسم الحيوان الرخوي يسمى " المعطف " لؤلؤيةً لماعةً، وعندما يقوم طفيلي ما بدخول الصدفة أو المحارة التي يعيش الحيوان الرخوي اللؤلؤي بداخلها، فإن هذا الدخول هو بمثابة غزوٍ عدوانيٍ بالغ الخطورة بالنسبة للحيوان الرخوي اللؤلؤي الذي يسارع إلى إفراز مادة **Mother of pearl** عرق اللؤلؤ من " معطفه " لتغليف هذا الطفيلي الذي يكون عادةً يرقة " الستود " الكروية الشكل، البيضاء اللون، التي يتراوح طولها ما بين / ٠,٠٧ إلى ٠,٥٣/ من المليمتر، والتي تعيش في أعماق البحر قريباً من أصداف ومحار الحيوان اللؤلؤي الرخوي **Shell – fish** أو حبة رملٍ صغيرةٍ، أو قطعة صدفٍ صغيرةٍ مكسورةٍ .

أي أن خلايا معطف الحيوان اللؤلؤي الرخوي Shell – fish الذي يعيش داخل الصدفة Blister المحارة يقوم بالدفاع عن نفسه، فيفرز مادة عرق اللؤلؤ Mother of pearl الجيرية الفسفورية الرغوية اللماعة، التي تغلف الجسم الغريب المتطفل

بطبقاتٍ من عرق اللؤلؤ، وتبني حوله طبقات دائريةٍ متتابعةٍ من عرق اللؤلؤ، حتى يحاط الجسم الغريب المتطفل بمادةٍ شبيهةٍ بالصدف، مكونةً بذلك جوهر اللؤلؤ pearl .

وهذه العملية التي تعتبر بداية تكوّن حبة اللؤلؤ فيما بعد، تأخذ بالنمو مع نمو الصدفة نفسها، ويعتقد العلماء من خلال تجاربهم وبحوثهم أن فترة نمو اللؤلؤة داخل الصدفة يستغرق مدة ثلاثة أعوام تقريباً، حيث يصبح طول الصدفة قد وصل إلى حوالي ثلاثة بوصات .

وعلى هذا الأساس أيضاً، لا يعتبر اللؤلؤ جزءاً حيوياً من الصدفة، كما هو حال الحيوان الرخوي **Shell – fish** الذي يعيش بداخلها، بدلالة وجود القسم الأعظم من الأصداف والمحار خاليةً من اللؤلؤ، وفي حقيقة الأمر فإن الحيوان الرخوي " رخوي اللؤلؤ " الذي يقوم بهذه العملية التي ينجم عنها تشكل جوهر اللؤلؤ الثمين، لا يقوم بها بشكلٍ عشوائيٍ، وإنما بشكلٍ غريزيٍ دفاعاً عن النفس نتيجة دخول

جسمٍ غريبٍ طفيليٍ إلى داخل بيته ومسكنه في محارته Blister " الصدفة " .

وخوفاً من هذا الطفيلي الغازي، يقوم حيوان رخوي اللؤلؤ **Shell – fish** داخل الصدفة **Blister** بإفراز مادةٍ مخاطيةٍ هلاميةٍ لؤلؤيةٍ تسمى عرق اللؤلؤ **Mother of pearl**، تحيط بالجسم الغريب المتطفل الذي اخترق جوف المحارة **Blister** ؛ لحماية نفسه من أذى هذا الجسم الغريب المتطفل، وذلك بتغليفه، وجعله أملساً، ناعماً، مستديراً تقريباً حتى لا يؤذيه، وعندما تكتمل عملية تغليف الجسم الغريب بهذه الإفرازات المخاطية الهلامية اللؤلؤية **Mother of pearl** التي يبنيها الحيوان الرخوي داخل المحارة **Blister** على شكل دوائر متتاليةٍ متتابعةٍ متحدة المركز، يطمئن الحيوان الرخوي إلى أن هذا الجسم الغريب الذي غزاه واعتدى عليه لن يتمكن بعد ذلك من إلحاق الضرر والأذى به، فيدعه وشأنه داخل المحارة، فتتصلب هذه الإفرازات، وتتشكل مع الزمن الذي يقدر بثلاثة أعوام تقريباً حبة اللؤلؤ **pearl** التي يتعلق حجمها

بحجم الجسم الغريب الطفيلي الذي دخل جوف المحارة، وبعمر الحيوان الرخوي، والتي ترتبط جودتها بقوة وغزارة إفراز خلايا معطف الحيوان الرخوي **Shell – fish** الذي يعيش داخل المحارة .

وإذا قمنا بشطر حبة لؤلؤٍ إلى نصفين متناظرين، ثم قمنا بوضع إحدى الشريحتين تحت المجهر، وتفحصناها بدقةٍ وعنايةٍ، فسوف نتمكن من مشاهدة مايلي :

١ – دوائر متكاملة النمو .

٢ – طبقاتٍ متحدة المركز، تشبه إلى حدٍ كبير جداً دوائر شريحة البصل .

٣ – تتكون هذه الطبقات من بللورات صغيرةٍ دقيقةٍ من مادة الكالسيوم **Aragonite** .

٤– تتداخل هذه البللورات الدقيقة ببعضها وتتشابك بشكلٍ كامل الاتحاد .

٥ – تثبت طبقات البللورات في مكانها بمادةٍ شبيهةٍ بالغضروف، تسمى " كنكيولن " **coniclcyline.**

٦- تتمكن طبقات البللورات من تحليل أي ضوء يسقط عليها إلى ألوان قوس قزح، وهذا ما يعطي اللؤلؤ **pearl** بريقه الخاص به **Brightness**، الذي يميزه عن غيره من الجواهر المعدنية الصلبة، وهذا البريق الخاص الأخَّاذ، هو ما يسميه الجواهريون " التألق " **Radiate** .

ويعتبر شكل حبة اللؤلؤ عنصراً هاماً في تقييم اللؤلؤ، بل يعتبر عنصراً معادلاً في أهمية لعنصر لون اللؤلؤ، ولذلك فإن خبراء اللؤلؤ يعتبرون اللؤلؤ الكروي الشكل، المناسب للقلائد من أثمن أنواع اللؤلؤ، يليه من حيث القيمة اللؤلؤ الذي يتخذ شكل الزر، أو شكل القطرة، ويسمى اللؤلؤ ذو الشكل غير المنتظم : " الباروكي ".

أولاً

اللؤلؤ المستنبت

Cultured pearl

١ – اللؤلؤ الياباني المستنبت :

في الثامن والعشرين من أيلول / سبتمبر[١٢١] من عام ١٨٩٥ بدأت حكاية اللؤلؤ المستنبت **Cultured pearl** أو اللؤلؤ المزروع، مع عالم الأحياء البحرية الياباني (**ميكي موتو كواكشي**) ومع أن اللؤلؤ الياباني المستنبت **Cultured pearl** لا علاقة له بالتصنيع بمعنى الصناعة المعملية، أو المخبرية **Industrialization** إلا أنه يعرف اليوم شيوعاً لدى عامة الناس باللؤلؤ الياباني الصناعي[١٢٢]، وعلى هذا الأساس

---

[١٢١] – خلال قيامي بدراسة وتأليف هذا الفصل لفت نظري أن الثامن والعشرين من سبتمبر الذي هو موعد نهاية الغوص الكبير " القفال " في زمن الغوص لصيد اللولو في منطقة الخليج العربي، هو ذاته تاريخ بداية حياة اللولو الياباني المستنبت الذي قضى إلى غير رجعة على لولو الخليج العربي الطبيعي الذي ساد على مدى آلاف السنين، فسبحان الله .

[١٢٢] – علي إبراهيم الدرورة – ملامح من تاريخ اللولو في الخليج العربي .

فإن تسمية اللؤلؤ الياباني باللؤلؤ الصناعي يعتبر خطأ فادحاً، والصواب تسميته باللؤلؤ المستنبت، أو اللؤلؤ المزروع **Cultured pearl .**



عالم الأحياء الياباني ميكي موتو

وقد بدأ ميكي موتو حكايته الرائدة مع اللؤلؤ المستنبت، بدراسته الدقيقة لكيفية تشكّل اللؤلؤ الطبيعي، التي تحدثنا

عنها بالتفصيل آنفاً، وفي فصلٍ سابق [١٢٣] ، وبعد أن استكمل دراساته تلك بعنايةٍ فائقة، أدرك ميكي موتو أن أسباب قيام خلايا معطف الحيوان الرخوي اللؤلؤي **Shell – fish** الذي يعيش داخل الصدفة **Blister** أو المحارة بإفراز عرق اللؤلؤ الجيري الفسفوري الرغوي اللماع **Mother of pearl** تنحصر في دفاع الحيوان الرخوي اللؤلؤي عن نفسه، عندما يقوم طفيلي ما بغزو محارته، وعلى هذا الأساس بدأ ذلك العالم الياباني محاولاته الرامية إلى تحريض الحيوان الرخوي اللؤلؤي **Shell – fish** للدفاع عن نفسه، وذلك بإدخال جسمٍ طفيليٍ غريبٍ إلى داخل محارته، أو بعبارةٍ أدق، زرع جسم طفيلي داخل المحارة .

وبعد كمٍّ كبيرٍ من محاولات الزرع استمرت قرابة خمسة عشر عاماً، وفي عام ١٩١٢ ، نجحت محاولات وتجارب ميكي موتو، وخرجت إلى نور الوجود أول لؤلؤةٍ صناعيةٍ يابانيةٍ، أو بالأحرى، أول لؤلؤةٍ يابانيةٍ مستنبتةٍ، أو مزروعةٍ؛

[١٢٣] – أنظر المجلد الأول من هذه الموسوعة – كيف يتكون اللولو – صفحة ٨٣ .

لأن وصف هذا اللؤلؤ الياباني (لؤلؤ ميكي موتو) باللؤلؤ الصناعي **Industrial pearl** هو وصف خاطئ بشكلٍ كاملٍ ومطلق، إذ لا علاقة للصناعة، أو التصنيع المخبري فيه، فكيف نسميه لؤلؤاً صناعياً ؟؟!!

وعلى هذا الأساس فالأصوب والأصح كما قلنا آنفاً أن نسميه لؤلؤاً مستنبتاً، أو لؤلؤاً مزروعاً **Cultured pearl** .

وبعد نجاح ولادة اللؤلؤة اليابانية المستنبتة أو المزروعة، وفي جزيرة (ثوبا) اليابانية، بدأ العمل الإنتاجي المخطط والمبرمج لإنتاج اللؤلؤ الياباني المستنبت **Cultured pearl** على نطاقٍ واسعٍ، وذلك بواسطة فتيات الآما **(AMMA girls)** .

وفتيات الآما، هنَّ فتيات متدربات على الغوص الخاص بزراعة الطفيليات في أصداف ومحار اللؤلؤ المستنبت، في قيعان البحر المحيط بجزيرة (ثوبا) اليابانية، حيث ترتدي فتاة الآما لباساً خاصاً أبيض اللون، يتضمن غطاءً خاصاً بالرأس أبيض اللون أيضاً؛ لإبعاد أسماك القرش، حيث ثبت علمياً أن

سمك القرش يتجنب اللون الأبيض، ربما لأنه يخاف منه، ثم تبدأ عمليات الغوص إلى عمق عشرة أمتارٍ تقريباً، وتعتبر مزارع (ثوبا) البحرية اليابانية التي تنتج اللؤلؤ الياباني المستنبت، والتي يعمل فيها أكثر من مئتي ألف عامل، من أرقى حقول تربية الأحياء المائية في العالم .

والملفت للنظر في هذا المجال أن حبة اللؤلؤ الطبيعية تحتاج إلى ثلاثة أعوامٍ لتنضج، وإلى خمس سنواتٍ لتنضج تماماً، بينما نجد أن حبة اللؤلؤ المستنبت تحتاج إلى ثلاث سنواتٍ فقط لتنضج تماماً، أضف إلى ذلك أن تقنيات اللؤلؤ المستنبت تسمح للمنتج القيام بتلقيح المحار الصغير، والتحكم بعملية التلقيح هذه لإنتاج اللؤلؤ بمواصفات ومعايير جودةٍ عالية المستوى **High quality standard**، والتحكم بنمو قطر حبة اللؤلؤ، وتحسين لمعانها، والمقدرة على تلقيح **Fertilization** المحارة مرةً ثانيةً، إذا كانت بحالةٍ صحيةٍ جيدةٍ، علماً أن المحارة **Blister** قد تعيش حوالي ثلاثين عاماً إذا لم تصب

بأمراضٍ طفيليةٍ تضنيها، وتنهك صحتها، وتضعف قوتها . [١٢٤]

صورة ملونة رقم / ٢٢ /



قلائد اللؤلؤ الياباني المستنبت على صدور الحسناوات

وتعتبر حبة اللؤلؤ التي استخرجت من مياه نهر " كونواي " والمحفوظة ضمن جواهر التاج البريطاني في برج لندن، والتي كان أحد النبلاء الإنجليز قد أهداها للملكة كاترين زوجة شارل الثاني، من أشهر لآلئ العالم .

[١٢٤] – علي إبراهيم الدرورة – المرجع السابق .

٢ – اللؤلؤ الأسترالي المستنبت :

تستند عمليات استنبات **Cultured** اللؤلؤ الأسترالي إلى ذات تقنيات استنبات اللؤلؤ الياباني تقريباً، وهذا اللؤلؤ يستخرج من بحر مدينة (برومي) الأسترالية التي تقع في المحيط الهندي، والمعروفة بأعاصيرها، ومناخها الإستوائي، وبحرها الغني بمحار اللؤلؤ .

وفي عام ١٩١٠ سميت هذه البلدة الساحلية بعاصمة اللؤلؤ العالمي بعد اصطياد أكبر لؤلؤة في العالم من بحرها، والتي أطلق عليها اسم (نبكلنادا كاسيما) وتغطي لآلئ بلدة برومي الأسترالية ما يعادل / ٨٠% / من احتياجات سوق اللؤلؤ العالمي من اللآلئ الكبيرة التي يصل قطرها إلى ثمانية عشر ملليمتراً، بينما لا يتجاوز قطر اللؤلؤ الياباني المستنبت تسعة ملليمترات .[١٢٥]

وتمتلك بلدة برومي الأسترالية الساحلية التي تقع على أطراف المحيط الهندي، أسطولاً بحرياً خاصاً بها للغوص على

---

[١٢٥] – المحطة اللبنانية الفضائية lbc .

اللؤلؤ المستنبت، يبلغ تعداد سفنه حوالي / ٤٠٠ / سفينة، يعمل على متنها أكثر من ثلاثين ألف غواص وبحار .[١٢٦]

---

[١٢٦] - شبكة الإنترنيت .

٣ – اللؤلؤ التاهيتي الأسود المستنبت :

يعتبر اللؤلؤ الأسود المستنبت من أجمل لآلئ العالم على الإطلاق، ويستخرج هذا اللؤلؤ من جزيرة تاهيتي، وقد تم العثور عليه عن طريق الصدفة، ففي عام ١٩٦٠ بدأت مخاطر التلوث البيئي تهدد البحار، فتخوف تجار اللؤلؤ، وبدؤوا إجراء تجارب لإنتاج اللؤلؤ المستنبت بواسطة تقنيةٍ يابانيةٍ جديدةٍ تعتمد على محارٍ خاصٍ يدعى محار (**بنكتاد**) وعلى بلح البحر الذي يعيش في المياه العذبة، لكن هذه التجارب لم تعط نتائج مثمرة رغم اصطياد أكثر من / ٣٠٠ / ألف محارة من بحر جزيرة (**تاتاكوتو**) فبدأ اليأس يتغلغل إلى نفوس القائمين على هذه التجارب، وفي عام ١٩٧٠ حدثت المعجزة الإلهية المنتظرة والمرتقبة عندما حصل الغاصة على محارة (**البيكتادا**) السوداء التي شكلت بداية اللؤلؤ الأسود المستنبت الثمين والنادر .

وتسمى اللؤلؤة السوداء لؤلؤة قوس القزح؛ لأنها تفرش أمام عيني الناظر كل الألوان التي تخطف الأبصار في لحظةٍ واحدة، وهي تجمع في ألوانها الأسمر، والذهبي، والرمادي، والأخضر، والبترولي، والنحاسي، والزهري، وتتميز هذه اللؤلؤة أيضاً بشكليها الدائري، والأجاصي .[١٢٧]

وقد تطورت زراعة وتجارة اللؤلؤ الأسود المستنبت تطوراً كبيراً وملحوظاً، ونستطيع القول إن العمل في مجال استنبات وتجارة اللؤلؤ الأسود قد قطعت شوطاً بعيداً جداً مكّنت هذا النوع من اللؤلؤ من السيطرة على أسسواق اللؤلؤ العالمُية، ليس بسبب جودته، وجماله، وكبر حجمه، وزيادة وزنه وحسب، بل بسبب دقة التنظيم الذي اتبعته وزارة شؤون البحار في الحكومة التاهيتية، التي قسمت منتجي اللؤلؤ إلى ثلاثة مجموعات، كما يلي :[١٢٨]

---

[١٢٧] - شبكة الإنترنيت .

[١٢٨] - شبكة L . B . C الفضائية اللبنانية .

- **المجموعة الأولى :**

مجموعة المنتج الأسري، أي أن أفراد الأسرة الواحدة هم الذين يقومون بإنتاج اللؤلؤ الأسود المستنبت دون الاعتماد على اليد العاملة الأجنبية .

- **المجموعة الثانية :**

مجموعة المنتج الأسري المستثمر، أي أن المنتج في هذه الحالة يكون أكبر من المنتج الذي في المجموعة الأولى؛ لأنه يساوي الأسرة المنتجة، إضافةً إلى العمال المساعدين، ويمتلك المنتج في هذه المجموعة كتلة رأس مال ثابتٍ ومتغيرٍ أكبر، وإمكاناتٍ إنتاجيةٍ أكبر أيضاً، وبالتالي يحق له تشغيل عددٍ محدودٍ من العمال الفنيين المهرة لا يتجاوز العشرة .

- **المجموعة الثالثة :**

مجموعة الشركات التجارية، التي تمتلك الإدارة، والمخابر، والوسائل الإنتاجية الحديثة، وأسطول النقل البري والبحري،

وكافة مستلزمات العمل التجاري، ويحق لهذه الشركات التجارية الضخمة نسبياً تشغيل عدد كبيرٍ من العمال .

وقد فرضت وزارة شؤون البحار في الحكومة التاهيتية، على جميع منتجي اللؤلؤ الأسود المستنبت، الذين تجاوز عددهم خمسمائة منتج، الشروط التالية :

- أن يقوم المنتج باستئجار منطقةٍ بحريةٍ محددةٍ للعمل فيها كمزرعةٍ بحريةٍ لإنتاج اللؤلؤ الأسود المستنبت .
- أن يتعهد المنتج بالحفاظ على سلامة البيئة البحرية التي يعمل في نطاقها ومحيطها .
- أن يقوم ببناء مقرٍ سكني لموظفيه وعماله على البر، قريباً من الشاطئ؛ لسهولة الحركتين الفاعلتين الإنتاجية والمخبرية، ولدقة مراقبة العمل والإنتاج .
- أن يقوم ببناء مخبرٍ حديثٍ مزودٍ بالتجهيزات المخبرية اللازمة .
- أن يلتزم بنصوص قانون العمل، فيسجل كامل العمال الأجانب العاملين لديه .

- أن يحصل على الترخيص التجاري والمهني المنصوص عليه في أنظمة شؤون البحار .
- أن يفرض على عماله الفنيين أن يقوم كل عاملٍ يقوم بزراعة الطعم في صدفةٍ ما، تسجيل اسمه على تلك الصدفة؛ لمتابعة دقة عمله، ونسبة نجاح زراعته .

وفي عام ١٩٩٣ ، وبعد النجاح المنقطع النظير في مجال زراعة اللؤلؤ الأسود التاهيتي، أصدرت وزارة شؤون البحار التاهيتية قراراً تنظيمياً جديداً يقضي باستحداث المجموعة الإنتاجية الرابعة، التي حصرت وظيفتها في شراء كامل اللؤلؤ الأسود المستنبت من منتجيه في المجموعات الثلاث الآنفة الذكر لصالح الحكومة، والعمل على برمجة تسويق هذا اللؤلؤ، بدءاً من التعريف بمزايا اللؤلؤ الأسود المستنبت، مروراً بالإعلان التجاري، وصولاً إلى تصميم وصياغة مجوهرات اللؤلؤ الأسود التي وصلت فعلاً، وبأعلى الأسعار إلى جيد وصدور الحسناوات، وبصورةٍ خاصةٍ الثريات منهن، في هوليود، وواشنطن، وباريس، ولندن، وتمتلك السيدة هيلاري زوجة

الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون مجموعةً ثمينةً جداً من اللؤلؤ الأسود، كذلك زوجة الرئيس الفرنسي جاك شيراك .

وفي عام ١٩٩٥ تمكن الخبراء العاملون في مجال استنبات اللؤلؤ التاهيتي الأسود من تحقيق معجزةٍ علميةٍ حقيقيةٍ تمثلت في :

- التحكم بألوان قوس القزح الأسود في حبة اللؤلؤ الأسود المستنبت، من خلال التحكم بأحد الألوان المشكلة لقوس القزح اللؤلؤي الأسود .
- الاستنبات المتتالي للصدفة الواحدة، وبذلك صار بوسع المنتج أن يستفيد من الصدفة الواحدة أكثر من مرة، مما يعني تقليص تكلفة الإنتاج، بالمقارنة مع تكاليف إنتاج اللؤلؤ المستنبت في بقية المزارع البحرية في العالم . [١٢٩]

[١٢٩] – المحطة اللبنانية الفضائية lbc .

٤ – اللؤلؤ الصيني المستنبت :

نجحت مؤخراً في الصين التجارب التي قامت بها شركة تشنيوان المحدودة للأحياء البحرية لاستنبات اللؤلؤ الملون، والتي أجرتها فى مدينة بيهاي، بمنطقة قوانغشي الذاتية الحكم، والتي تعتبر مدينة اللؤلؤ الصيني في بحر الصين الجنوبي .

وقد أثبت التقييم الفني الذي قامت به مصلحة العلوم والتكنولوجيا بالمنطقة، أن هذه التكنولوجيا العلمية الجديدة لاستنبات اللؤلؤ الملون، تأتي فى مقدمة تجارب استنبات اللؤلؤ الملون على مستوى العالم؛ لأن نجاح تجارب استنبات اللؤلؤ الملون نادرة جداً، إذا ما قيست بتجارب استنبات اللؤلؤ الأبيض، والأصفر، والأسود، ولذلك فقد تقدمت هذه الشركة الرائدة بطلب براءة اختراع إلى المصلحة الوطنية للملكية الفكرية في الصين .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن شركة تشنيوان قد استخدمت تيكنولوجيا حيوية حديثة ومتطورة في عمليات تربية اللؤلؤ البحري المستنبت ذي الألوان :

- الأحمر الوردي .
- الأخضر الزمردي .
- الأزرق البحري / الياقوتي / .

كل ذلك مع المحافظة على مزايا وخصائص اللؤلؤ العالي الجودة **High quality standard** والمتمثلة في :

- الحجم الكبير لحبة اللؤلؤ .
- استدارتها وملاستها **Smooth and circulatory.**
- نقاؤها **Pure** .
- درجة سطوع اللون الزاهي فيها **Brilliancy.**

مما يرفع من مستويات القيمة المضافة التي تعزز القوة التنافسية لهذا اللؤلؤ في أسواقه العالمية . [١٣٠]

---

[١٣٠] - شبكة الإنترنيت .

ثانياً

خصائص اللؤلؤ المستنبت

Pharmacology Cultured pearl

وفي حقيقة الأمر فإن اللؤلؤ المستنبت لا يختلف عن اللؤلؤ الطبيعي في الشكل أو اللون، ولا يمكن التمييز بينهما بالعين المجردة؛ لأن اللؤلؤ المستنبت هو لؤلؤ طبيعي لا صناعي في نهاية المطاف، لكننا، وبواسطة الأشعة السينية، أو بعض الأجهزة المجهرية الدقيقة كالإندو سكوب، نستطيع التمييز بين هذين النوعين من اللؤلؤ، حيث يكمن الفارق بين اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ المستنبت في :

- اللؤلؤ الطبيعي نقي وشفاف بنسبة / ١٠٠% / بينما نتمكن بواسطة أشعة **X** تحت الحمراء من مشاهدة البذرة المزروعة في مركز اللؤلؤ المستنبت **Cultured pearl**.
- يكون الجسم المركزي الطفيلي " البذرة المزروعة " الذي تبني خلايا معطف الحيوان الرخوي اللؤلؤي

Shell – fish حوله الطبقات الجيرية الفسفورية الرغوية " عرق اللؤلؤ " **Mother of pearl** في اللؤلؤ المستنبت أكبر حجماً مما هو في اللؤلؤ الطبيعي .

- في حالة اللؤلؤ المستنبت **Cultured pearl** تكون طبقات عرق اللؤلؤ **Mother of pearl** الدائرية المحيطة بالجسم الطفيلي " البذرة المزروعة " أقل عدداً، وأكثر سماكةً عما هي عليه في اللؤلؤ الطبيعي .
- كلما ازدادت سماكة طبقات عرق اللؤلؤ المستنبت ارتفعت قيمته .
- لا تستطيع العين المجردة الوصول إلى الاستنتاجات الآنفة الذكر، ولا يمكن الوصول إلى هذه الاستنتاجات إلا في المخابر العلمية المتخصصة، وبواسطة الأشعة السينية، والأشعة تحت الحمراء، والأجهزة المجهرية الدقيقة كالإندوسكوب .

لقد نجح اللؤلؤ المستنبت **Cultured pearl** في السيطرة على سوق تجارة اللؤلؤ، بل في التفوق على اللؤلؤ الطبيعي لعدة أسباب، منها :

- اللؤلؤ المستنبت هو لؤلؤ طبيعي في نهاية المطاف، يتكون بذات الطريقة التي يتكون بها اللؤلؤ الطبيعي .
- لا يمكن التمييز بالعين المجردة بين اللؤلؤ المستنبت واللؤلؤ الطبيعي .
- اللؤلؤ المستنبت أرخص من اللؤلؤ الطبيعي، وأوفر إنتاجاً منه .
- حبة اللؤلؤ المستنبت العادية أكبر من حبة اللؤلؤ الطبيعي العادية، وقد تكون أجمل شكلاً واستدارةً .
- بسبب المخاطر وحجم الخسائر الكبيرة التي منيت بها مهنة الغوص وتجارة اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي، وبسبب اكتشاف واستثمار النفط في المنطقة، هجر بحارة الغوص وتجار اللؤلؤ تلك المهنة التي كانت مصدر الرزق الرئيس لأهل المنطقة لمئات السنين،

فحسم الأمر لصالح اللؤلؤ الياباني المستنبت، وصار اللؤلؤ الطبيعي تراثاً من الماضي نعتز به ونفخر .

لقد نجحت طريقة اللؤلؤ المستنبت على نطاقٍ تجاريٍ واسعٍ، وبشكلٍ ملفتٍ للنظر، جعلت تجارة اللؤلؤ المستنبت أكبر بكثير من تجارة اللؤلؤ الطبيعي، وتقوم اليابان حالياً بإنتاج معظم اللؤلؤ المستنبت على مستوى العالم، وذلك من خلال زرع المحار الصغير في مضاجع محارٍ منتقى بعنايةٍ فائقةٍ، وبعد ثلاث سنوات تؤخذ المحارات من مضاجعها إلى أماكن إنتاجٍ خاصةٍ لفتح صدف المحار من قبل عمالٍ مهرةٍ مدربين متخصصين؛ ليضعوا حبيبةً صغيرةً من عرق اللؤلؤ، أو صدف بلح البحر، ثم يضعون المحار في أقفاصٍ سلكيةٍ شبكيةٍ خاصةٍ لحمايتها من أي أعداء محتملين، ثم يغلقون الأقفاص بواسطة خشب الطوق، ويترلونها في ماءٍ هادىءٍ محميٍ على جانب الشاطىء، ولحماية المحار من أعشاب البحر وبعض العوالق البحرية التي تسبب له الأذى، يقوم هؤلاء العمال المهرة

بسحب هذه الأقفاص من مواقعها، ورفعها مرتين كل سنة، أو مرةً واحدةً كل ستة أشهر؛ لتنظيف المحار من الأعشاب والعوالق البحرية، وتسجل بيانات عمليات العناية الخاصة بالمحار على بطاقاتٍ معدنيةٍ مثبةٍ على أقفاص المحار، إلى أن تكتمل فترة نمو اللؤلؤ التي تقدر بثلاث سنوات من تاريخ زرع الطفيلي " البذرة المزروعة، أو الطعم " في بطن المحارة، وقد أثبتت الإحصاءات أن محارةً واحدةً فقط من بين كل عشرين محارة في أقفاص اللؤلؤ المستنبت تحمل في جوفها لؤلؤةً مستنبتةً يستخرجها العمال المهرة من المحارة بعد فتحها، ثم يقومون بغسلها، وتلميعها، وتجميعها، وإرسالها إلى الأسواق مع رفيقاتها لتصل إلى عشاقها ومستهلكيها .

بقي أن نشير هنا إلى أن اللؤلؤ المستنبت كاللؤلؤ الطبيعي، يخدش بيسرٍ وسهولةٍ عند احتكاكه بالمعادن والجواهر الصلبة كالألماس على سبيل المثال لا الحصر، وذلك لأن اللؤلؤ جوهر لين يجب الحفاظ عليه، والاحتفاظ به بعنايةٍ فائقةٍ وفق الشروط التالية :

- يجب حفظ اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ المستنبت بعيداً عن المعادن الصلبة، والجواهر الأخرى، خشية احتكاك حبات اللؤلؤ بتلك المعادن والجواهر .
- لأن حبة اللؤلؤ الطبيعي والمستنبت تغلفها مادة عضوية بالغة الحساسية تسمى " كتكيولين " التي تجف مع الزمن، فإنه يجب حفظ اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ المستنبت بعيداً عن الحرارة وأشعة الشمس المباشرة .
- لأن حبة اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ المستنبت تتكون من بللورات الأراجونيت المكونة لطبقات عرق اللؤلؤ التي تتحلل وتذوب بيسرٍ وسهولةٍ في الحمض، فإنه يجب حفظ اللؤلؤ الطبيعي والمستنبت بعيداً عن الأحماض والمستحضرات الكيميائية .
- يجب غسل وتجفيف الجواهر المصنوعة من اللؤلؤ بعنايةٍ فائقةٍ بعد كل استعمالٍ .

ثالثاً

اللؤلؤ الصناعي المقلد

Industrial pearl

لا علاقة موضوعية حيوية تربط بين اللؤلؤ المقلد، أو اللؤلؤ الصناعي **Industrial pearl** من جهة، واللؤلؤ الطبيعي **Natural pearl**، أو اللؤلؤ المستنبت **Cultured pearl** من جهة ثانية، ذلك لأن اللؤلؤ الصناعي المقلد ينتج معملياً ومخبرياً بواسطة مواد صناعية كيميائية محددة، ووفق رغبات ومواصفات تجارية متفق عليها مسبقاً، بينما يتكون النوع الثاني من اللؤلؤ (الطبيعي والمستنبت) داخل محارة حية، تتحكم بها مشيئة الله سبحانه وتعالى في المقام الأول .

وقد ولدت فكرة اللؤلؤ الصناعي، أو اللؤلؤ المقلد في العاصمة الفرنسية باريس عام ١٦٨٠ على يد صانع مسابح فرنسي يدعى " جاكوان ".

وتستند مبادئ تلك الفكرة إلى طلي كراتٍ صغيرةٍ من الزجاج المصمت، أو الزجاج المجوف بمواد صناعيةٍ كيميائيةٍ مركبةٍ مخبرياً، وهذه المواد هي :

- روح اللؤلؤ .
- الجيلاتين .
- الجوانين .
- السلولوئيد .

وتتلخص بالمراحل الصناعية التالية فيما يتعلق بالكرات الزجاجية المجوفة :

- تصنيع كراتٍ صغيرةٍ مجوفةٍ من الزجاج الرقيق .
- سحق وعجن مادةٍ كيميائيةٍ تسمى " روح الشرق " بقشور نوعٍ خاصٍ من السمك الفضي، للحصول على " روح اللؤلؤ " .
- سحق وعجن روح اللؤلؤ بالجيلاتين، والجوانين، والسلولوئيد .

- حشـــو هـــذه الكرات الزجاجية الصغيرة بالمعجون الكيميائي المذكور أعلاه .
- تفريغ هذه الكرات الزجاجية الصغيرة المجوفة من ذلك المعجـــون الكيميائي، بعد التأكد من أنه قد استكمل التصاقه بالسطح الداخلي للكرات الزجاجية المجوفة .
- إعـــادة حشـــو الكرات الزجاجية المجوفة التي التصق معجـــون روح اللؤلؤ بسطحها الداخلي بمادة الشمع الأبيض .
- إغلاق ثقب الكرة الزجاجية المجوفة .

أما في حالة الكرات الزجاجية المصمتة، فتتم عملية التصنيع بطلاء السطح الخارجي لكرات الزجاج بالمعجون الكيميائي الآنف الذكر، ثم معالجته مخبرياً إلى أن يستكمل التصاقه التام والجيد بالسطح الخارجي للكرات الزجاجية .

وفي كل الأحوال، فإن هذا النوع من اللؤلؤ لا علاقة له لا من قريبٍ، ولا من بعيدٍ بمواصفات اللؤلؤ الطبيعي، أو اللؤلؤ المستنبت؛ لأنه لؤلؤ صناعي مقلَّد، يصنعه الإنسان بيده من

مواد كيميائية داخل المخبر، ويخضع لعمليات تصنيعٍ حقيقيةٍ Industrialization في معامل خاصة كما ذكرنا آنفاً .

ويستطيع الخبراء والمتخصصون التعرف على اللؤلؤ الصناعي المقلد بالعين المجردة، وذلك من خلال التعرف على الحاشية الغير ثابتة من روح اللؤلؤ الجاف، وملاحظة المتراكم منه حول ثقوب حبة اللؤلؤ المقلد، كما يمكن مشاهدة وملاحظة جزءٍ بسيطٍ من الزجاج الذي يغطى ويطلى بروح اللؤلؤ والمعجون الكيميائي المستخدم في عملية التصنيع لكل من الكرات الزجاجية المجوفة، أو الكرات الزجاجية المصمتة .

الفصل السادس

رياضة الغوص الحديثة

والجهود الرائدة في

إحياء تراث الغوص واللؤلؤ

موسوعة الغوص واللؤلؤ – المجلد الثاني

صورة ملونة رقم / ٢٣ /



رياضة الغوص الحديث

Scuba Diving sport

لمحة موجزة عن تاريخ تطور الغوص :

بدأ الإنسان رحلة الغوص **Diving** في أعماق البحار مبكراً، معتمداً على قدراته الجسدية الذاتية، ودون الاعتماد على أية أجهزةٍ تذكر، ثم تطورت آليات الغوص في مرحلة الغوص لاستخراج وصيد اللؤلؤ، فاكتشف الإنسان ما يسمى في لغة أهل البحر في منطقة الخليج العربي **بالمثقال،** الذي هو عبارة عن حجرٍ ثقيلٍ، أو قطعة رصاصٍ ثقيلةٍ مثبةٍ بحبلٍ لمساعدة الغواص في الوصول إلى الأعماق بسرعةٍ بالغةٍ، **والفطام،** والذي هو عبارة عن ملقط من عظام السلاحف، أو قرون الماعز يعمل على سد فتحتي الأنف لمنع التنفس من جهة، ولمنع تسرب الماء من جهةٍ ثانية [١٣١]، ولمعادلة الضغط الواقع أذن الغواص من جهةٍ ثالثة [١٣٢].

[١٣١] – مصادر الذاكرة الشعبية .

[١٣٢] – وفق رواية الذاكرة الشعبية التي أفادنا بها خبير التراث الشعبي الغواص السيد محمد ماجد السالفة عضو مجلس إدارة جمعية الإمارات للغوص والتراث .

وسوف نحاول في هذه العجالة أن نستعرض أهم وأشهر عمليات الغوص الموثقة في التاريخ البشري؛ لنتمكن من فهم تطور آلية الغوص وأدواته : [١٣٣]

- في عام ٤٠٠ ق.م، وبأمرٍ من الإمبراطور الفارسي زركسيس **Zerxes** قام الغطاس الشهير سيلس **Seyllis** بانتشال كنوز السفن الفارسية التي غرقت في قاع الخليج العربي .
- وفي عام ٣٣٣ ق.م استعان الإسكندر الأكبر بالغطاسين لتدمير سور مدينة صور اللبنانية، حيث استخدم الغطاسون في هذه المهمة نوعاً من الأنابيب الخاصة للتنفس وهم تحت سطح الماء .
- وفي عام عام ١٨٧٠ م قام العالم الفرنسي باول برت **Paul bert** بدراسة العلاقة الفيزيولوجية بين الغوص والضغط والتنفس .

---

[١٣٣] - شبكة الإنترنيت .

- وفي عام ١٨٧٤ تمكن العالم البريطاني **Hal dane** هال دان من وضع أول جدولٍ لإزالة الضغط بواسطة التوقف خلال، وبين طبقات الأعماق أثناء عملية الصعود إلى سطح الماء، والذي أطلق عليه فيما بعد مصطلح " طريقة **DECOMPRESSION** " .
- وفي عام ١٨٧٨ قام الخبير **H.A.FLEUSS** الموظف في شركة **SIBE – GORMAN** البريطانية بتصميم جهازٍ للتنفس تحت سطح الماء، يعمل وفق طريقة النظام المغلق، يستخدم فيه الأوكسجين الصافي للتنفس، كما تستعمل في هذا الجهاز مادة البوتاس الكاوية؛ لتنقية الغاز المزفور، أي غاز ثاني أوكسيد الكربون .
- وفي عام ١٩٠٢م، وبالتعاون مع " **ROBERT H. DAVIS** " جرى تعديل هذا الجهاز، بحيث أصبح أنموذجا للغواصات، ولأجهزة الغوص المقفلة في العصر الحديث .



- وفي عام ١٩٤٠ قام لامبرستن **christian J. Lambersten** بتصميم جهاز التنفس المقفل تحت الماء **Scuba** والذي يعتمد على الأكسجين الصافي، وقد استخدمت المخابرات الأمريكية، وقوات الضفادع البشرية الأمريكية هذا الجهاز في عملياتها السرية بنجاحٍ تامٍ .
- وفي غضون مجريات الحرب العالمية الثانية، قام الخبراء بتطوير أجهزة الغوص ذات نظام التنفس المغلق، التي أثبتت فعاليتها عندما قام رجال الضفادع الإيطاليين عام ١٩٤١ بالانقضاض على ناقلة نفط بريطانية في مضيق جبل طارق، ثم تتالت عمليات تطوير هذه الأجهزة على يد الخبراء الأمريكيين والبريطانيين .
- وفي عام ١٩٤٣ قام ضابط البحرية الفرنسية الكومندر **YVES COUSTEAU** بتصميم جهاز

غوصٍ عرف باسم " THE COUSTEAU-GAG MAN
AQUA LUNG " والمزود بخزان أسطواني معدني
لتخزين ضغطٍ مرتفعٍ يصل إلى / ٢٠٠٠ / رطل/
أنش مكعب، أي حوالي / ١٣٥ / ضغط ATM و
BAR .

ومنذ ذلك التاريخ تنحصر استخدامات أجهزة التنفس المقفل في الأعمال العسكرية والتجارية، بينما يستخدم الرياضيون والهواة أجهزة النظام المفتوح .[١٣٤] _[١٣٥]

---

١٣٤ - Padi – Open Water Diver Manual .

١٣٥ - Padi – Adventures in Diving .

صورة ملونة رقم / ٢٦ / رياضة الغوص



لقد حولت أدوات الغوص الحديثة عملية الغوص إلى رياضةٍ حديثةٍ شائقةٍ، ممتعةٍ، مثيرةٍ، يمارسها الناس من الجنسين، ومن كل الأعمار، وخصصت لها نوادٍ رياضيةٍ تقوم على تدريب المنتسبين إليها في أحواضٍ مغلقةٍ أولاً، ثم في مياه البحر الضحلة ثانياً، ثم في مياه البحر العميقة ثالثاً، وصارت هذه الرياضة تتناسب طرداً مع تقدم صناعة السياحة في دول العالم ذات الشواطئ البحرية المناسبة لعمليات الغوص، كشواطئ الخليج العربي، والبحر الأحمر على سبيل المثال لا الحصر،

وعلى هذا الأساس صارت عملية الغوص عمليةً آمنةً، بعد أن كانت عمليةً مليئةً بالمخاطر، وصار زمن الغوص تحت الماء طويلاً جداً بفضل إسطوانات الهواء المضغوط، بعد أن كان قصيراً جداً بالاعتماد على " **الفطام** " فقط .

أما في الماضي، فقد كانت عملية الغوص تتم بواسطة أدواتٍ بسيطةٍ وبدائيةٍ جداً، مما يتيح لنا اليوم إدراك قوة ورباطة جأش الآباء والأجداد، وفهم المخاطر التي كانوا يتعرضون لها، والتي كانت تودي بحياتهم أحياناً .

وإذا قمنا اليوم بإجراء مقارنةٍ سريعةٍ بين أدوات الغوص الحالية، وأدوات الغوص في الماضي تبين لنا الفارق الهائل في عوامل الأمان والسلامة .

تطور أدوات الغوص الحديثة تاريخياً :

على مدى مئات السنين، كان الإنسان يغوص لطلب الرزق من أعماق مياه البحار والمحيطات التي يعيش في أعماقها أكثر من / ٩٠ % / من أنواع الحيوانات الموجودة على كوكب الأرض، والتي تمثل نسبةً كبيرةً من مساحة الكرة الأرضية تصل إلى / ٧١ % / حتى أن العلماء قد أطلقوا على كوكب الأرض اسم " الكوكب المائي **Watery planet** " .

ولأن الحاجة أم الاختراع، طوَّر الإنسان إمكاناته وقدراته في مجال الغوص، وتمكن من اختراع أدوات غوصٍ جديدةٍ متطورةٍ تمكنه من البقاء طويلاً تحت سطح الماء **Scuba**، بعد أن كان يستخدم في غوصه أدواتٍ بدائيةٍ جداً تمكنه من البقاء لدقيقتين، أو لثلاث دقائق وسطياً لا أكثر، وباكتشاف الإنسان لهذه المعدات والأدوات المتطورة، صار بوسعه البقاء لساعاتٍ تحت سطح الماء، الأمر الذي حول الغوص إلى :

١ – مهنة لطلب الرزق : " trade – diving الغوص التجاري " .

٢ – عملية بحثٍ واستكشافٍ علميٍ " الغوص العلمي Scientific – Diving " .

٣ – رياضة يمارسها الناس على اختلاف أجناسهم وأعمارهم، وافتتحت لها النوادي المتخصصة في العديد من دول العالم البحرية " رياضة الغوص Scuba Diving " .

٤ – صناعة علمية متطورة تعتمد أحدث التقنيات التيكنولوجية؛ لإنتاج أفضل أجهزة الغوص الآمنة Scuba.

وقد بدأت الاختراعات في معدات الغوص منذ عشرات السنين، وتحديداً في عام ١٨٧٨ عندما اخترع هنري فلوسس أول جهاز عملي يعمل كدائرةٍ مغلقةٍ للتنفس تحت الماء، وطرد ثاني أكسيد الكربون للخارج .

ثم توالت بعد ذلك الاختراعات في معدات الغوص بسرعةٍ بالغةٍ، وكانت الخطوة الثانية في عالم معدات الغوص قد أنجزت عام ١٨٨٠ على يد عالم وظائف الأعضاء الفرنسي الدكتور بولي الذي أثبت أن التنفس تحت الماء يسبب مرض

شلل الغوص **Diving Paralysed** وأن السبب في ذلك هو النيتروجين السائل في الدم، والناجم عن زيادة الضغط في الأعماق، ثم أثبت بعد ذلك أن الأكسجين يتحول إلى غازٍ سامٍ في الأعماق بسبب زيادة الضغط أيضاً .

وفي عام ١٨٩٩ تمكن لويس بوتان من التقاط أول صورةٍ تحت الماء بواسطة آلة التصوير المائية التي اخترعها مع مصباحٍ و " فلاش " .

وفي عام ١٩٠٥ أكد العالم جون سكوت هالدين أن النيتروجين المتحول إلى سائلٍ تحت ضغط الماء يسبب مرض شلل الغوص، ولكي يتجنب الغواصون ذلك المرض قام برسم جدول " الغوص الآمن **Safe Diving** " الذي يحدد العلاقة بين الضغط والنيتروجين، والذي يبين كيفية تفادي خطر مرض شلل الغوص .

وفي عام ١٩١١ أدخل الألمان الغوص في الحقل التجاري، وطوروا طريقةً علميةً لإعادة استخدام الأكسجين، وفي عام

١٩١٧ شرعوا في استخدام هذه الطريقة في أعماقٍ تصل إلى أربعين متراً، أي ما يعادل / ١٣٠ / قدماً تحت سطح الماء .

وفي عام / ١٩٢٠ / قام اليابانيون بابتكار وتسويق كمامة جهاز تنفسٍ صناعيٍ، يستخدم أسطوانة هواءٍ مضغوطٍ يحملها الغواص عمودياً على ظهره، ولما أثبتت هذه الطريقة نجاعتها في الغوص، استخدمتها البحرية اليابانية على نطاقٍ واسعٍ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى خارج اليابان .

وفي عام ١٩٢٣ التقطت أول صورةٍ ملونةٍ تحت الماء باستخدام الفلاش المصنوع من المغنيسيوم الصناعي .

وفي عام ١٩٣٣ حصل الفرنسي لويس بكورلو على براءة اختراع زعانف الغوص .

وفي عام ١٩٣٤ استخدم بافيترلي باريو في الغوص جهازاً عملياً مزوداً بكمامةٍ وقناعٍ يغطي كامل الوجه، يحتوي على هواءٍ مضغوطٍ يتحكم الغواص به يدوياً، ثم شرع في عام ١٩٣٥ بتدريب الناس عليه في المسبح .

وفي عام ١٩٣٤ ابتكر المهندسان وليم بيب، وأوتيس براتون جهاز الغواصة الساكنة الذي يتدلى من حبلٍ مثبتٍ في السفينة، ويغوص إلى عمقٍ لا يتجاوز / ٦٦١ / متراً، أي ما يعادل /٢١٧٠ / قدماً، وقد جرب المهندسان هذا الجهاز في ساحل برمودا، وقاما بالتقاط بعض الصور تحت سطح الماء لبعض الحيوانات البحرية، ونشرا تلك الصور في كتابٍ أطلق عليه وليم بيب إسم " نصف ميل للأسفل " .

وفي عام ١٩٤٣ قام عالم البحار جاكوز كوستو بعرض فيلمه السينمائي الأول – أبيض / أسود – الذي صوره في الأعماق بمساعدة زوجته سيمون، وذلك بواسطة جهاز التنفس تحت الماء ذي الدائرة المفتوحة، الذي قام كوستو باختراعه بمساعدة المهندس جان جان .

وفي عام ١٩٥٣ قام الدكتور براندر بتصميم وتقديم أول بدلة غوصٍ مصنوعةٍ من مادة النيبورين .

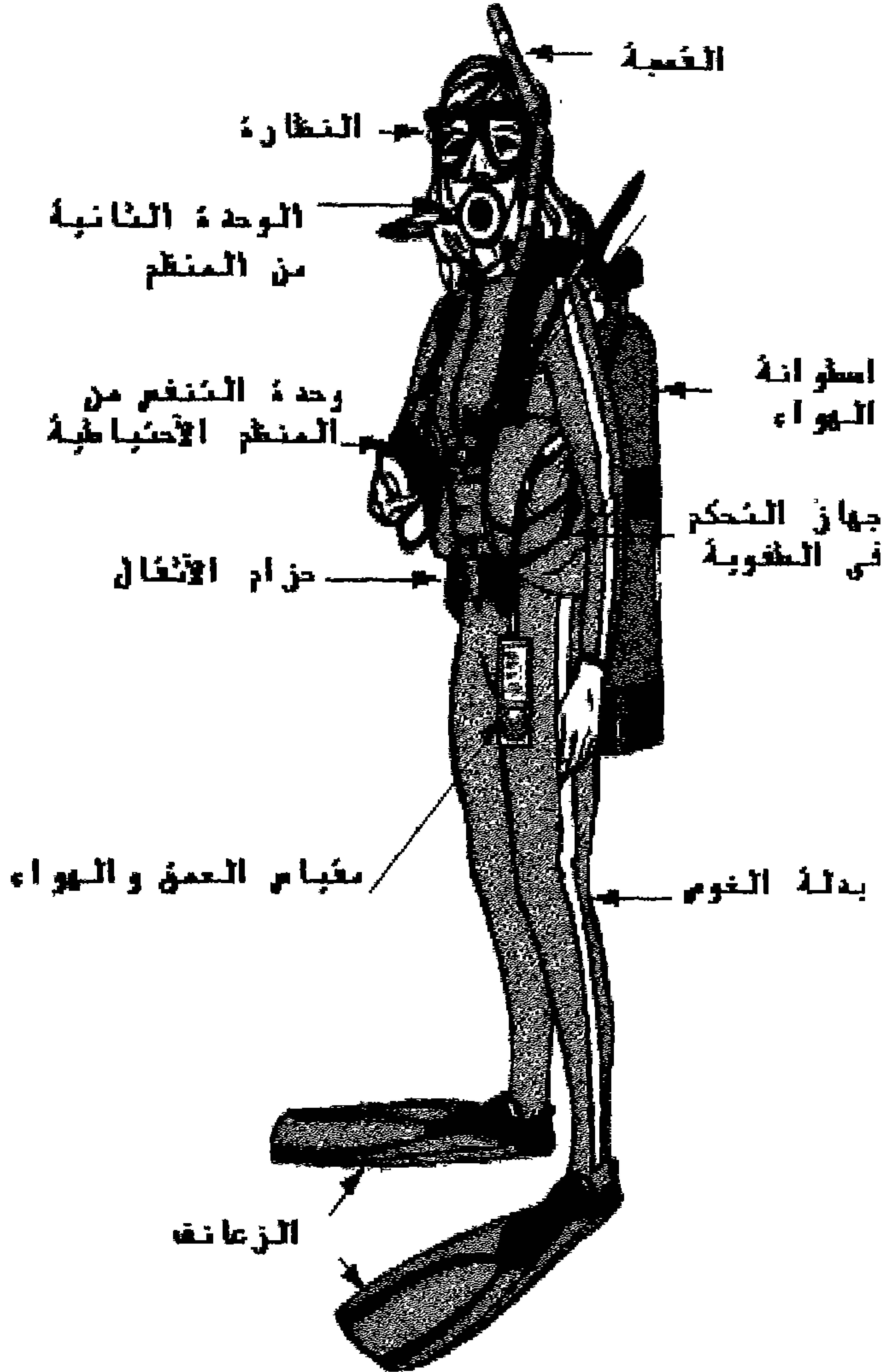
وفي عام ١٩٦٥ حصل (جورج بيوتان) على براءة اختراع الزعانف الميكانيكية .

وفي عام ١٩٦٧ تكونت في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي عدة دولٍ أخرى جمعية طبية تعنى بشؤون الغوص تدعى " جمعية تحت البحر الطبية " .

وفي عام ١٩٨٣ أنتج أول كمبيوتر غوص، مما عزز مبدأ الغوص الآمن لكلٍ من المحترفين والهواة .

معدات الغوص الحديثة

صورة ملونة رقم / ٢٦ /

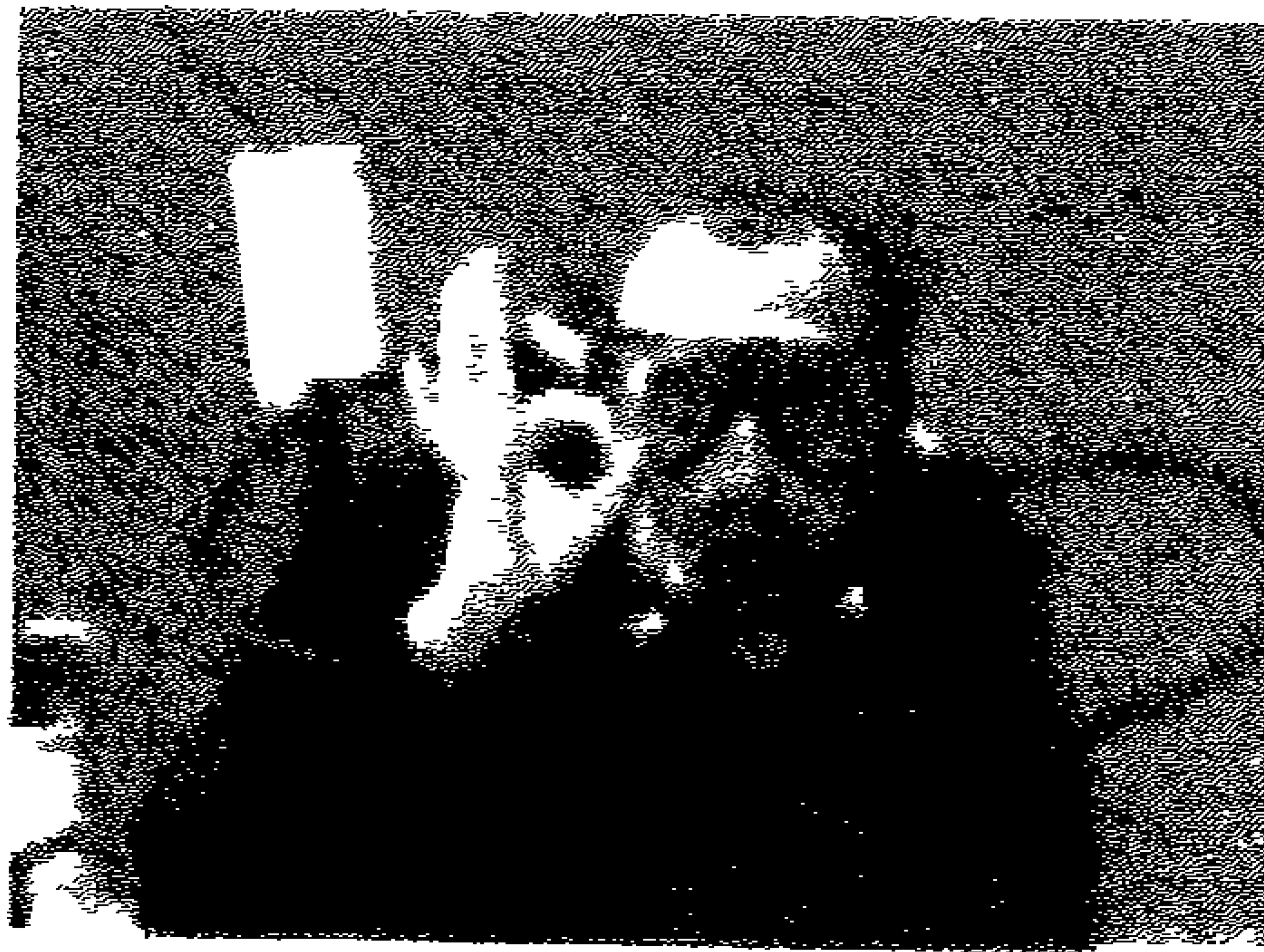


معدات الغوص الحديثة

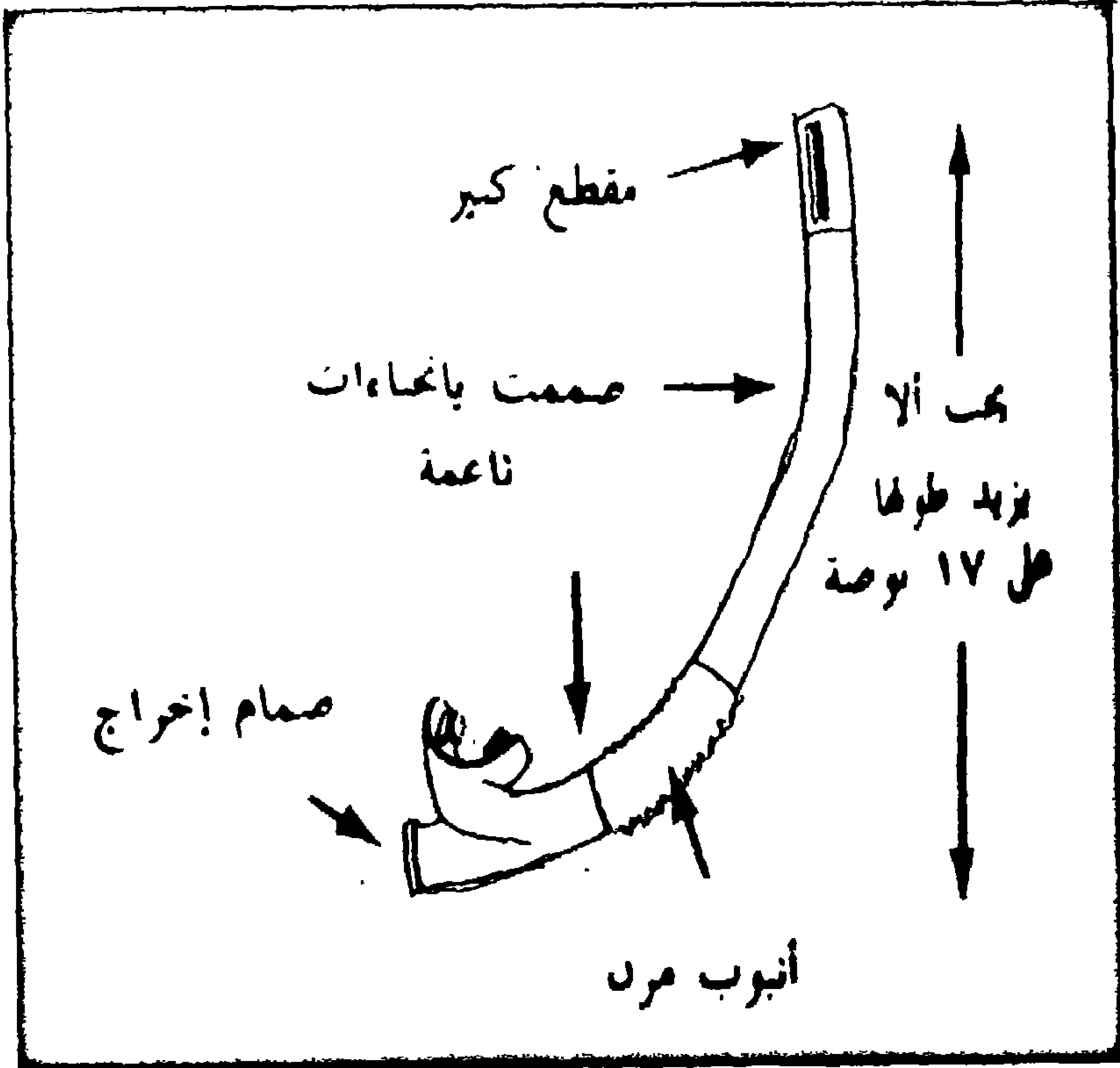
بعد أن كان الإنسان على مدى مئات السنين يستخدم الفطام في الغوص " ملقط يصنع من عظام السلحفاة، أو قرون الماعز لسد فتحتي أنف الغواص " وبعد أن كان لا يستطيع الغوص أكثر من دقيقتين أو ثلاث دقائق، صار يستخدم بدلة الغوص المزودة بالأدوات الحديثة التي تساعده على الغوص الآمن طويلاً في الأعماق، وتتألف هذه الأدوات من :

النظارات - أنبوبة التنفس " القصبة " - الزعانف - أجهزة التحكم في الطفو - أسطوانة الغوص سكوبا — حامل أسطوانة الهواء باكباك - المنظمات ومقاييس ضغط الهواء ..

صورة ملونة رقم / ٢٧ / إشارات الغوص



١ – أنبوب التنفس السطحي " القصبة " :

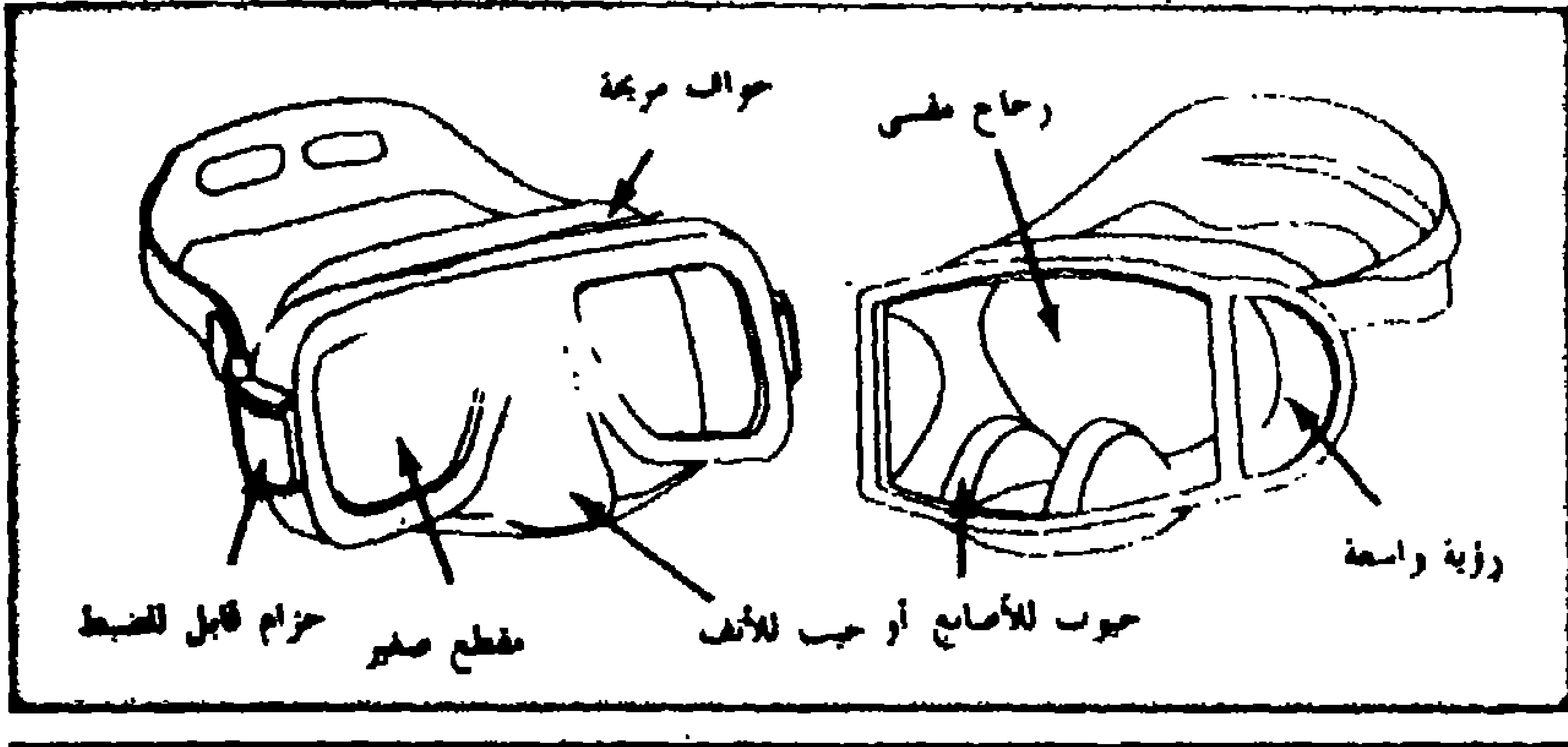


القصبة هي إحدى قطع الغوص السطحي الأساسية التي تتيح للغواص التنفس تحت سطح الماء، دون الحاجة لرفع رأسه إلى

أعلى سطح الماء للتنفس، وبالتالي فهي تتيح للغواص مراقبة ما يلي سطح الماء، ويستعمل الغواصون عادةً أنبوب التنفس السطحي أثناء السباحة على سطح الماء للمحافظة على مخزون الهواء المضغوط في إسطواناتهم .

وجميع أنواع أنابيب التنفس السطحي هي عبارة عن جهازٍ بسيطٍ يتألف من قطعةٍ فموية يضعها الغواص في فمه بشكلٍ مريحٍ، تتصل بأنبوبٍ مريحٍ يمتد إلى أعلى سطح الماء، وتتوافر بعدة أشكالٍ وألوانٍ، وتصنع من خليطٍ من السيليكون والبلاستيك، أو من المطاط والبلاستيك، وعادةً يصنع الجزء العلوي من الأنبوب من البلاستيك المرن، ويصنع الجزء السفلي " القطعة الفموية " من السليكون، أو من مطاط النيبورين .

٢ – النظارة :



تعتبر النظارة نافذة الغواص على عالم الأعماق، فهي تحمي عيونه، وتسمح له بالرؤية بوضوح تحت سطح الماء، وتختلف وظائف نظارة الغوص عن وظائف نظارة السباحة، فالأولى يجب أن تحمي أنف الغواص داخلها على عكس الثانية، وذلك لمعادلة الضغط الواقع على العين والأنف داخل النظارة، وتتكون نظارة الغوص من لوحة وجهٍ زجاجيةٍ تدعى العدسة، وحافةٍ مريحةٍ، وحزام الرأس .

٣ - وحدة التنفس :

تتألف وحدة التنفس من قطعتين رئيستين :

الأولى :

القطعة الفموية التي يضعها الغواص في فمه، والمتصلة بأسطوانة الهواء المضغوط، والتي تسمح للغواص بالتنفس بواسطة سحب الهواء المضغوط من الأسطوانة .

الثانية :

أسطوانة الهواء المضغوط التي يعلقها الغواص عمودياً على ظهره، والمتصلة بأنبوب التنفس الفموي .

وتقوم هذه الوحدة بخفض ضغط الهواء إلى الهواء المحيط، بحيث يتمكن الغواص من تنفس الهواء بضغطٍ ملائمٍ للعمق الذي هو فيه بكل يسرٍ وسهولةٍ .

٤ – وحدة التنفس الإحتياطية :

تتمتع وحدة التنفس الاحتياطية بذات وظائف وحدة التنفس، إلا أنها تتألف من ثلاثة قطعٍ رئيسةٍ بدلاً من قطعتين:

القطعتان الأولى والثانية :

مطابقتان لقطعتي وحدة التنفس الآنفي الذكر .

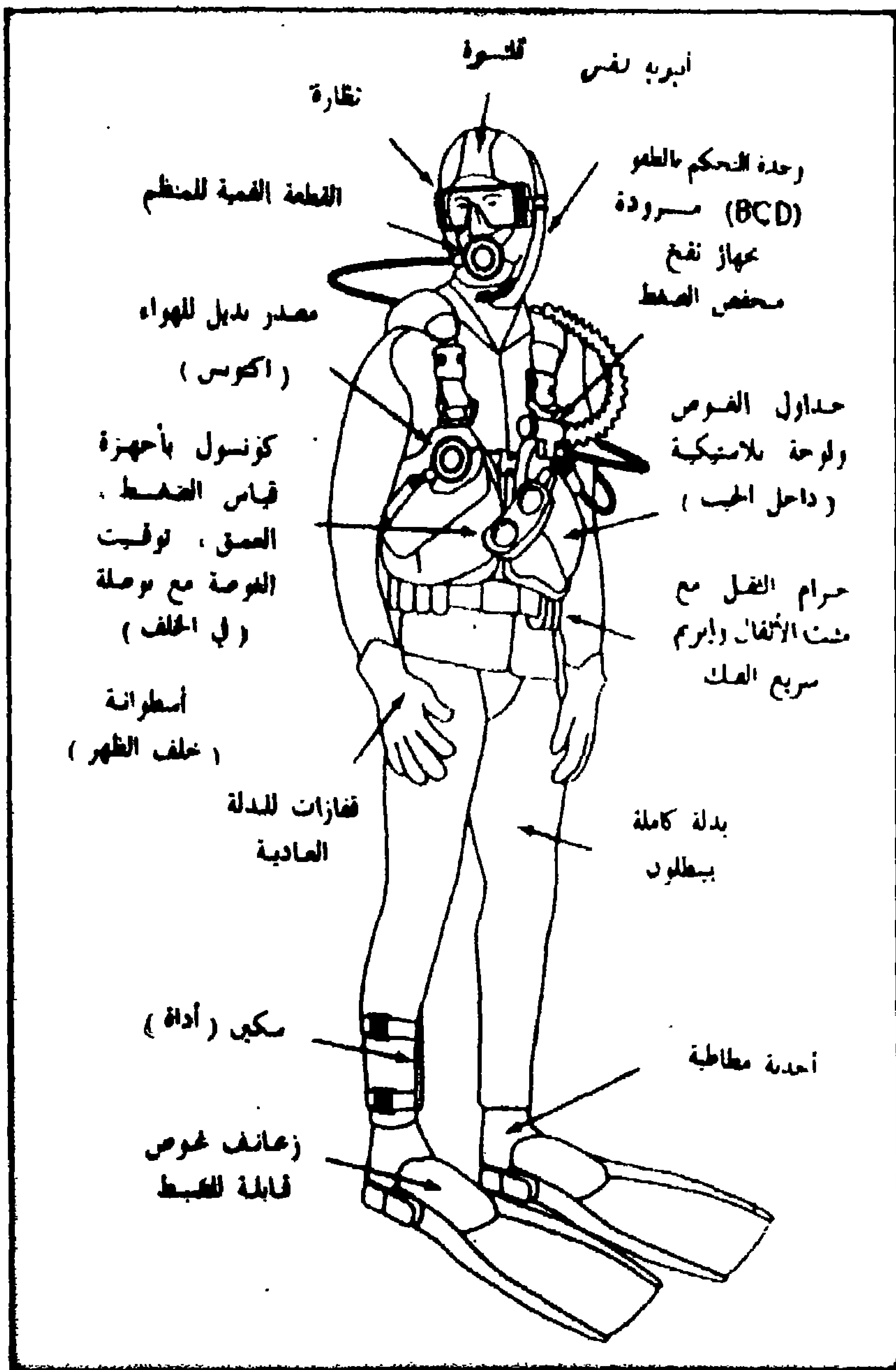
القطعة الثالثة :

خرطوم طويل يسمح للغواص الثاني بالتنفس من وحدة الغواص الأول الاحتياطية عند الضرورة .

٥ – حزام الأثقال :

حزام الأثقال هو حزام مزود بأوزانٍ خاصةٍ تتناسب مع حجم الغواص ووزنه، يثبته الغواص حول خصره، أو على

شكل أثقالٍ توضع في جيوبٍ خاصةٍ داخل جهاز المحافظة على الطفوية، الغرض منه مساعدة الغواص على النزول إلى الأعماق بيسرٍ وسهولةٍ، والبقاء في الأعماق بدون أي مجهودٍ يضطر الغواص إلى بذله؛ لأن الغواص بدون هذا الحزام يعاني من مشكلة الطفو التي تؤدي إلى دفع الماء بالغواص إلى الأعلى .


قلنسوة
أنبوبة تنفس
نظارة
القطعة الفمية للمنظم
وحدة التحكم بالطفو (BCD) مزودة
جهاز نفخ
منخفض الضغط
مصدر بديل للهواء
(اكتوبس)
كونسول بأجهزة
قياس الضغط ،
العمق ، توقيت
الغوصة مع بوصلة
(في الخلف)
جداول الغوص
ولوحة بلاستيكية
(داخل الجيب)
حزام الثقل مع
مشبك الأثقال وإبزيم
سريع الفك
أسطوانة
(خلف الظهر)
قفازات للبدلة
العادية
بدلة كاملة
ببنطلون
سكين (أداة)
أحذية مطاطية
زعانف غوص
قابلة للضبط

٦ – مقياس العمق وضغط الهواء " العداد " :

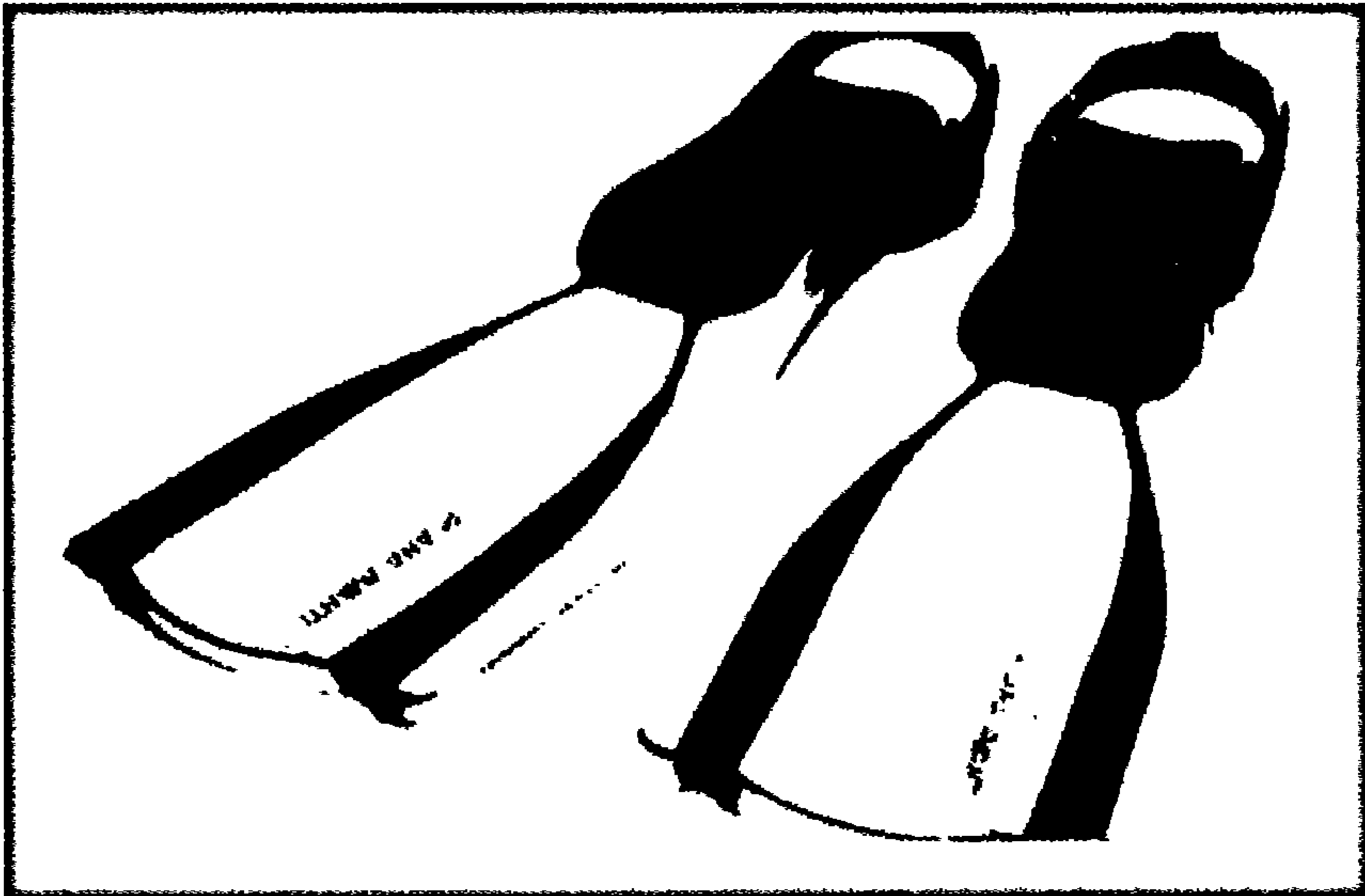
مقياس ضغط الهواء والعمق عبارة عن عدادٍ يتيح للغواص معرفة العمق الذي وصل إليه، ومعرفة كمية الهواء المتبقية لديه في الأسطوانة، وبالتالي فهو يسمح للغواص أن يغوص بأمانٍ، وأن يعود إلى السطح بأمانٍ أيضاً .

واستخدام هذا الجهاز إلزامي أثناء الغوص، ولا يجوز الغوص بدونه، وقد تطور كثيراً في الآونة الأخيرة باعتماد تقنية رقائق السيليكون والكومبيوتر، وصار يتألف من شاشة عرضٍ رقميةٍ أكثر وضوحاً ودقةً من إبرة البوصلة، وقد توصل العلماء إلى اختراع أجهزةٍ الكترونية تسمى " حاسبات الغوص " وهي أكثر دقةٍ من غيرها؛ لأنها تسمح للغواص معرفة العمق والزمن المسموح له البقاء فيه في ذلك العمق، وكمية النيتروجين في جسمه أثناء الغوص، والمسافة التي تفصل بينه وبين سطح الماء، وفترات الاستراحة بين طبقات

الأعماق لتلافي مشكلة ضغط الماء، وسرعة الصعود إلى سطح الماء، والأعماق المحظورة التي لا يجب تجاوزها .

ولأن هذه الأجهزة بالغة الحساسية، فإن الخبراء يوصون بغسلها بالماء العذب بعد كل استخدام، وعدم تعريضها للحراة العالية، أو لأشعة الشمس المباشرة لفتراتٍ طويلةٍ، وعدم وضع أوزانٍ ثقيلةٍ فوقها .

٨ – الزعانف :



تساعد الزعانف على السباحة في الماء بمجهودٍ أقل، وبفعاليةٍ أكبر؛ لأنها تشكل مسطحاً أوسع من مسطح القدمين .

صورة ملونة رقم / ٢٨ / زعانف وبدلة الغوص



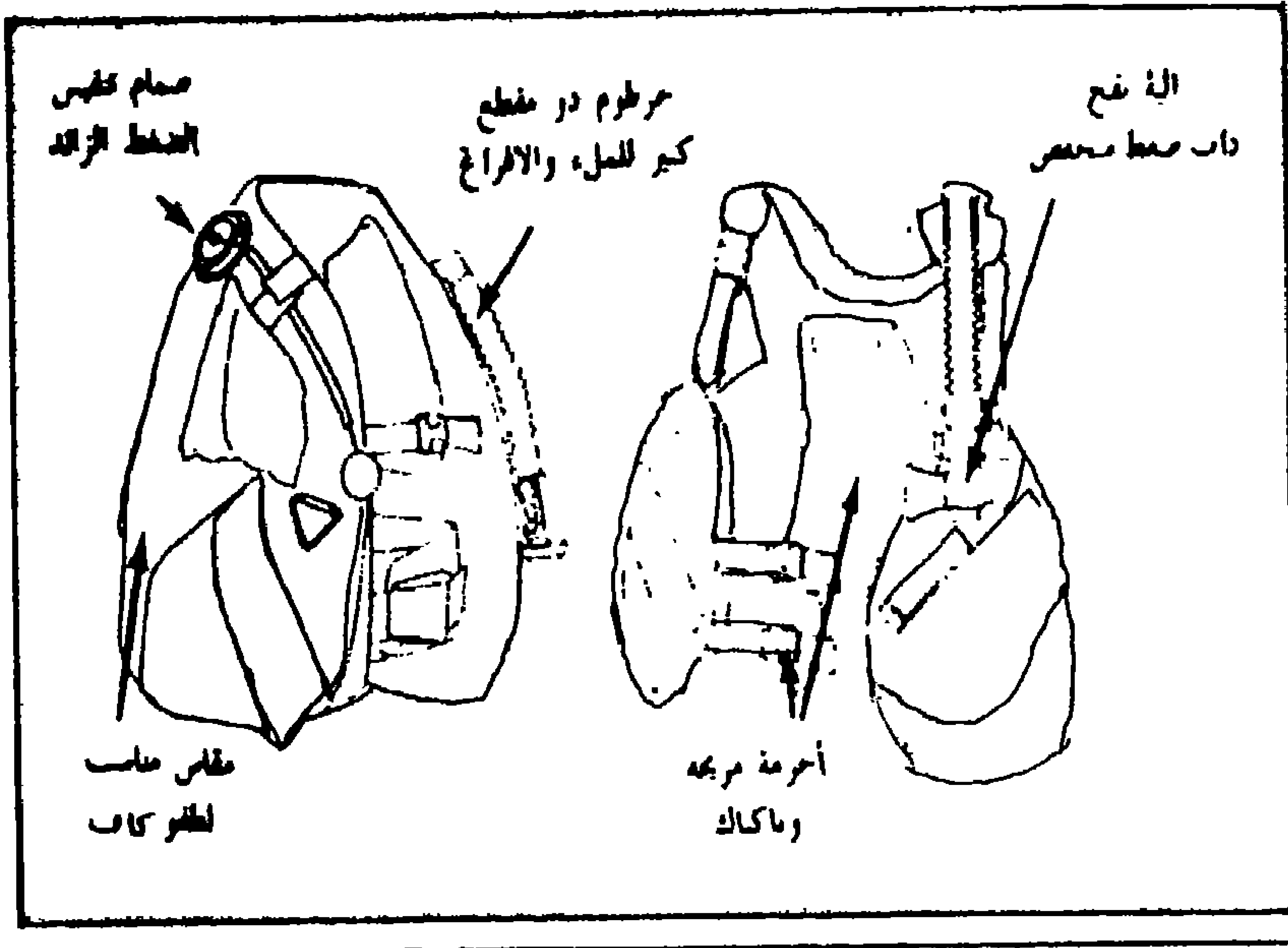
٨ - بدلة الغوص :

بدلة الغوص هي البدلة التي تقي جسم الغواص من برودة المياه، وهي التي تشكل العازل الذي يحمي جسم الغواص من

الاحتكاك بالكائنات والحيوانات البحرية، والشعب المرجانية، وبعض أنواعها يمنع دخول الماء إلى جسم الغواص، وتسمى هذه الأنواع " البدلة الجافة " وتستعمل في المناطق الباردة، أما البدلة العادية فتصنع بسماكاتٍ مختلفةٍ تتناسب ووظائف الغوص، والأعماق المراد الوصول إليها، وكلما ازدادت سماكة البدلة، ازدادت الطفوية، وازدادت مقاومة البدلة لضغط الماء، وازدادت مقاومة البرد في الأعماق .

٩ - جهاز التحكم بالطفو :

جهاز التحكم بالطفو هو عبارة عن كيسٍ قابلٍ للتمدد، يمكن نفخه بالهواء، وتفريغه من الهواء لتنظيم عملية طفو الغواص من الأعماق إلى سطح الماء .



وقد تمكن الخبراء في عالم الغوص من اختراع وابتكار وتطوير أجهزة تحكمٍ بالطفو تملؤ بهواء أسطوانة الغواص من الهواء المضغوط، ويعاد تفريغ هوائها في الأسطوانة، وذلك بواسطة صماماتٍ وخراطيم خاصة، ويعتبر جهاز الطفو من معدات الغواص الإلزامية، علماً أن بعض أجهزة الطفو تشبه في مظهرها إلى حدٍّ كبيرٍ جداً سترة النجاة المتعارف عليها، وهي أمامية التركيب، تشبه معطفاً لا أكمام له، يرتديها الغواص

بإدخال رأسه فيها، ويعتبر هذا النوع من أجهزة التحكم بالطفو الأكثر شيوعاً واستعمالاً في عالم غوص اليوم .

وفي كل الأحوال فإنه لا بد من توافر الخصائص التالية في كل أجهزة التحكم بالطفو :

- خرطوم ذو مقطعٍ واسعٍ لنفخ وتفريغ الهواء بسرعةٍ وسهولةٍ آمنين .
- خزان يتسع لمخزونٍ كافٍ من الهواء يسمح للغوّاص ومعداته بالطفو إلى سطح الماء .
- جهاز نفخٍ سهل التشغيل مزود بصمام تنفيس الضغط الزائد لمنع الانفجار في حالة زيادة نفخها بالهواء بطريق الخطأ .
- جهاز نفخٍ ذو ضغطٍ يتناسب وطاقة خزان الهواء .
- جهاز مزود بأحزمةٍ وأربطةٍ سهلة التركيب، مريحة التثبيت، إنسيابية التوضع على جسم الغواص، وتحول دون الارتفاع إلى عنقه في حالة النفخ .

- جهاز قابل لإضافاتٍ اختياريةٍ يحددها الغواص وفق حاجته، ورغبته، كالجيوب، والصفارة، وحافظات خراطيم الهواء، وحلقات تعليق الإكسسوارات الإضافية .

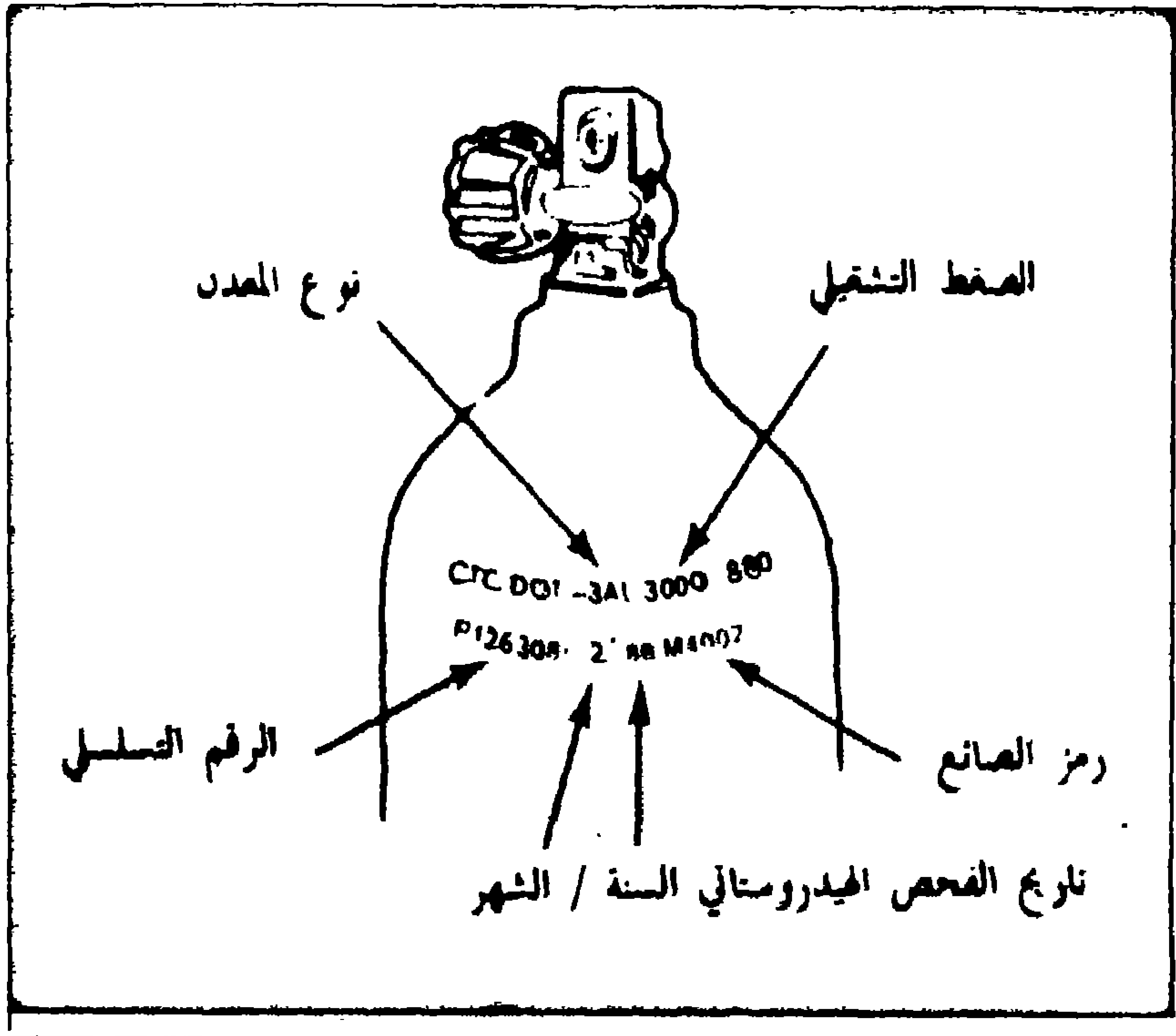
وتصنع سترات الطفو الحديثة من مادة اليوريثان الحافظة للهواء بطريقتين :

- التصميم المزدوج .
- أحادية الكيس .

١٠ - **أسطوانة الهواء المضغوط :**

وهي عبارة عن خزانٍ معدنيٍ أسطواني الشكل، يرتديها الغواص عمودياً على ظهره، وتتصل بفمه بواسطة أنبوبٍ مرنٍ ينتهي بقطعةٍ فمويةٍ، تستعمل لتخزين هواءٍ ذي ضغطٍ

عالٍ للتنفس، وتصنع بسعات مختلفة تستند إلى مقاسها، وضغطها التشغيلي، ويعبر علمياً عن سعتها بالكيلو غرام، أو لتر الماء، أو القدم المكعب من الهواء المضغوط، ويمكن ربط أسطوانتين ببعضهما؛ لتشكلا خزاناً مزدوجاً يوفر مزيداً من الهواء للاستعمال في الحالات الخاصة في الغوص .



فوائد رياضة الغوص

بعد استكمال اختراع أدوات الغوص، أصبح الغوص رياضةً ممتعةً شائقةً لها ملايين العشاق، وآلاف الأندية المنتشرة في كل دول العالم البحرية، وعلى سبيل المثال، يوجد في ألمانيا فقط أكثر من مليوني هاوٍ لرياضة الغوص، ومن منا لم تجذبه الأعماق الساحرة المبهرة، ولذلك فإن من يجرب هذه الرياضة يتعلق بها، ويتوق لممارستها، حتى أنها صارت تشكل جانباً هاماً من صناعة السياحة في كل دول العالم البحرية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نشير هنا إلى سياحة الغوص في البحر الأحمر الذي يعتبر من أفضل مواقع الغوص في العالم لنقاء مياهه، وإمكانية الرؤية البعيدة نسبياً في أعماقه، والذي صار يضم أكثر من / ٢٥ / مركزاً رياضياً لتعليم الغوص. وإذا علمنا أن البحار والمحيطات تحتضن أكثر من / ٩٠% / من الكائنات الحية الموجودة على كوكب الكرة الأرضية، أدركنا روعة الأعماق بجبالها، وغاباتها، وزهورها، ونباتاتها،

وشعبها المرجانية الزاهية الألوان، الجميلة الأشكال، وكائناتها الحية الساحرة، ولكي يستمتع الإنسان بهذا السحر والجمال الإلهي، افتتحت نوادي ومدارس الغوص في دول العالم، وفي الإمارات العربية المتحدة، وفي منطقة الخليج العربي؛ لتعليم الهواة أصول وفنون هذه الرياضة على يد مدربين أكفاء .

صورة ملونة رقم / ٢٩ / رياضة الغوص في الأعماق



ونستطيع أن نشمل فوائد رياضة الغوص بالفوائد التالية :

١ – الغوص رياضة صحية مفيدة، تزود الغواص بالخبرة والتجارب الممتعة والمثيرة .

٢ – الغوص رياضة الاسترخاء الكامل .

٣ – تنص بعض نظريات العلاج الطبي الحديث على ضرورة معالجة بعض حالات الاكتئاب، والقلق، والتوتر بالغطس .

٤ – هنالك نظريات طبية علمية حديثة تتحدث عن فوائد الولادة تحت سطح الماء بالنسبة للأم وللوليد في آنٍ معاً .

٥ – إضافةً إلى كون الغطس قد أصبح رياضة العصر، فهو يشكل مجالاً رحباً لممارسة العديد من الهوايات الممتعة، كالتصوير، وصيد الأسماك، وجمع أصداف ومحار اللؤلؤ، والإسفنج، ودراسة الطبيعة، والاستمتاع بروعة آيات الخالق عز وجل .

٦ – رياضة الغطس تشكل مجالاً واسعاً للتعارف، والصداقة، وتبادل المعارف والخبرات .

٧ – رياضة الغطس تساهم في توسيع دائرة المعارف الإنسانية من خلال الاطلاع على أسرار الأعماق .

٨ – أثبتت التجارب العلمية الطبية أن السباحة تشكل وقايةً من أمراض الشيخوخة، وأن رياضة الغطس تساعد في علاجها، وهذا ما يؤكده الدكتور بول أوبيل المتخصص في علاج أمراض الشيخوخة .

٩ – إستناداً إلى دراسات تجريبية ميدانية أجريت على عشرات المعمرين من الغواصين السابقين في منطقة الخليج العربي الذين تزيد أعمارهم عن /٩٠/ سنة، تبين أن هؤلاء المعمرين في عافيةٍ وصحةٍ جيدةٍ بفضل حياتهم السابقة في البحر والغوص .

١٠ – أثبت التجارب والدراسات العلمية التطبيقية أن العناصر المعدنية الخاصة التي تتوافر في مياه البحر بمعدلاتٍ عالية كاكالسيوم، والبوتاسيوم، والمغنسيوم، واليود تلعب دوراً رئيساً في تحريك وتنشيط الخلايا الجلدية والعظمية التي تصل هذه العناصر المعدنية إليها عن طريق التغلغل عبر المسام، ولذلك فإن الغوص في مياه البحر الساخنة يجدد الخلايا،

ويجدد حيويتها، ويعتبر علاجاً ملموساً ناجعاً لإبطاء عوامل الشيخوخة .

أما فيما يتعلق بمخاطر الغوص، فإنها تتمثل في خطرين رئيسين اثنين، بعد أن صار الغوص يعتمد على وسائل وأدوات الغوص الحديث الآمن التي تحدثنا عنها آنفاً :

- الخطر الأول يكمن في الخوف والذعر الناجمين عن الحالة النفسية للغواص في الأعماق .
- الخطر الثاني يكمن في مخاطر أسماك القرش .

صورة ملونة رقم / ٣٠ / سمك القرش



على مدى مئات، بل آلاف السنين ظلت مهنة الغوص القاسم المشترك الأعظم لأهل منطقة الخليج العربي، ولا نبالغ إن كررنا ما قلناه آنفاً في فصلٍ سابقٍ، إن هذه المهنة قد خلقت على أرض الواقع أول وحدةٍ عربيةٍ كاملةٍ متكاملةٍ سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، اتخذت من كامل منطقة الخليج العربي ميدانها الفاعل، حتى في وحدة المصير والآمال والآلام المشتركة، وعندما نتحدث عن الوحدة، فإننا ندرك ونعي مانقول، وندرك ونعي الفارق الشاسع بين الوحدة والاتحاد، ونشدِّد على أن الغوص قد خلق وحدةً عربيةً حقيقيةً على أرض الواقع، وحدةً وليس اتحاداً، وهذا يعني أن منطقة الخليج العربي قد انصهرت في بوتقةٍ واحدةٍ في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ في مرحلة ما قبل اكتشاف واستثمار النفط، وأن هذا الانصهار هو الذي خلق تلك الوحدة، وهو الذي خلق ذلك القاسم المشترك الأعظم الذي يميز الخليج

العربي عن بقية أرجاء الوطن العربي التي لم تمارس مهنة الغوص .

ولكن .. وبعد اكتشاف واستثمار النفط في منطقة الخليج العربي، والذي تزامن مع اكتشاف اللؤلؤ المستنبت **Cultured pearl**، وتصنيع اللؤلؤ الصناعي **Industrial pearl**، تغيرت الأحوال في منطقة الخليج العربي، وتبدلت بسرعةٍ مذهلةٍ خلقت نوعاً من الفجوة بين الحاضر والماضي، أو بين جيل الحاضر من الأبناء، وأجيال الماضي من الآباء والأجداد، تقابلها فجوة أخرى تتمثل في الفارق الشاسع بين الأصالة المتمثلة بحياة الغوص، والحداثة المتمثلة بحياة المدنية الحديثة والحضر، لا سيما وأن الإمارات، وكامل دول منطقة الخليج العربي، استثمرت ثروة النفط خير استثمارٍ لتحقيق قفزةٍ نوعيةٍ جذريةٍ في ترسيخ نهضةٍ شاملةٍ تستهدف عمليتي البناء في مساري العمران والإنسان .

وفي مجال بناء الإنسان، ومن أجل جسر الفجوة بين الماضي والحاضر، أو بين الأصالة والحداثة، والتي خلقتها ثروة النفط

السريعة المفاجئة، ولكي لا تنجح هذه الفجوة في سلخ الإنسان عن جذور هويته، وسلخ الماضي عن الحاضر، والأصالة عن الحداثة، تكاتفت مؤسسات الدولة والمجتمع المختصة لتلافي هذا الخطر، وبدأت تدفع الأبناء للتواصل مع ماضي الآباء والأجداد العريق بوسيلتين اثنتين :

الأولى :

- بالعودة إلى أصالة الأجداد، وربط الحاضر بالماضي، والأصالة بالحداثة من خلال تنفيذ عمليات غوص الماضي كما كان يقوم به الآباء والأجداد، ولكن بواسطة أجهزة الغوص الحديثة **Scuba** .

الثانية :

- تشجيع رياضة الغوص **Scuba Diving**، وروح المغامرة **Adventure Spirit**، وتوجيه جيل الشباب لممارسة هذه الرياضة التي تمثل جوهر هوية أصالة

منطقة الخليج العربي، وذلك من خلال افتتاح أنديةٍ حديثةٍ للغوص والرياضة البحرية .

أولاً – العودة إلى الأصالة، وربط الماضي بالحاضر

وفي هذا المجال قام العديد من المسؤولين في الدولة، وعلى رأسهم، وفي مقدمتهم، القائد الخالد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله وطيب ثراه، بتشجيع شباب الوطن الذين يجسدون في فلسفة القائد الخالد زايد ثروة الوطن الحقيقية، على الحفاظ على مجمل وكامل تراث آبائهم وأجدادهم، فاعتبر سموه رحمه الله أن تراث الماضي يعني أصالة الأمة، وهويتها :

" الأمة التي لا ماضي لها، لا حاضر لها، ولا مستقبل "

" إن تفكرنا الدائم في الماضي وعظاته، وتفكرنا في الحاضر وآماله، وتفكرنا في المستقبل وتطلعاته المشرقة هو الذي سيقودنا دائماً إلى بناء وطننا، وتقدمه، ونهضته "

ولذلك .. لم يتوقف القائد زايد طيب الله ثراه عند حدود تراث الغوص في مجال الحفاظ على التراث، وإنما اتسعت دائرة اهتمامات سموه رحمه الله لتشمل كامل تراث الوطن، بدءاً من اللباس الوطني، مروراً بالصقور، والتجديف، وسباقات القوارب، والخيل، والهجن، والألعاب الشعبية .. الخ، وصولاً إلى الغوص، وفي مجال الغوص، وبتوجيهاتٍ من سموه رحمه الله نفذت عدة رحلات غوصٍ بحرية في كل المناطق الساحلية في الدولة الزاخرة بمواقع الغوص المتميزة، وخاصةً في الساحل الشرقي، وفي جزيرة صير بني ياس، التي تعتبر من أجمل البيئات الطبيعية في شبه الجزيرة العربية، والتي تعتبر أيضاً من أفضل الملاجيء والمحميات الطبيعية أمناً وهدوءاً .

ويكفي أن نشير هنا إلى أن جزيرة صير بني ياس قد شهدت وعاشت فترات ازدهار حرفة الغوص للبحث عن اللؤلؤ، التي كانت تشكل في مرحلة ما قبل النفط، الدعامة الرئيسة لسبل كسب الرزق والعيش في الإمارات وكامل منطقة الخليج العربي، وكان يرتادها عدد كبير من صائدي اللؤلؤ

لفترةٍ طويلةٍ من الزمن، ورغم تراجع مهنة الغوص على اللؤلؤ في الإمارات وكامل منطقة الخليج العربي، إلا أن هذه المهنة الأصيلة لا تزال تستهوي العديد من رجال وشباب الإمارات، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، النوخذة فرج بن بطي المحيربي رئيس جمعية الإمارات للغوص وقائد رحلات كيفان، والغواص المحترف السيد عبد الله الكندي، وشريكه السيد فراس الكبرة اللذان جعلا من الغوص ورياضته مهنة حياتهما، فهما لا يمارسان هذه المهنة وحسب، وإنما يمتلكان محلاً تجارياً لأدواتها الرياضية في أبوظبي، والمفارقة اللطيفة هنا، أن السيد فراس الكبرة من أهالي بلاد الشام " فلسطين " وليس من أهل الإمارات، أو الخليج العربي، ورغم ذلك فقد تعلق بهذه المهنة الأصيلة، وأحبها، وأخلص لها كما أخبرنا .

والملفت للنظر أن مغاصات اللؤلؤ المحيطة بجزيرة صير بني ياس، والتي ظلت على مدى خمسة آلاف عام تقريباً مصدراً من مصادر الرزق والمعيشة لأهل الإمارات والخليج العربي، لا تزال من أفضل مراكز الغوص على اللؤلؤ في منطقة الخليج

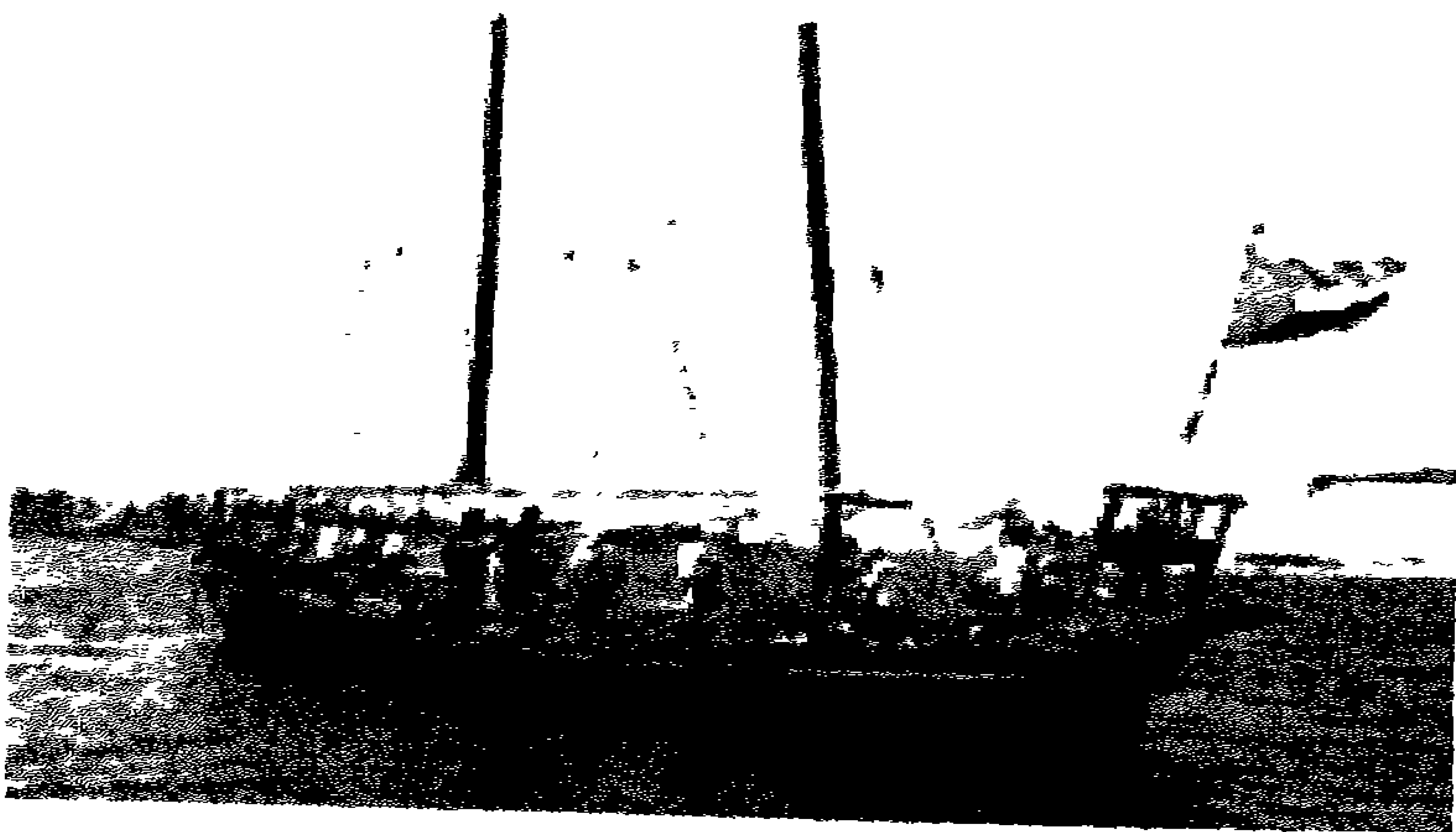
العربي، رغم التلوث البيئي الذي أصاب مياه الخليج العربي بعد عمليات التنقيب عن النفط، وبعد اكتشاف واستثمار النفط، ولم تزل هذه المغاصات تجتذب العديد من الغواصين للبحث عن اللؤلؤ .

رحلات الأصالة

يمكن القول إن جميع رحلات الأصالة كانت استجابةً صادقةً وأمينةً لنداء الوطن الذي تمثل في توجهات وتوجيهات القائد الخالد زايد رحمه الله للحفاظ على التراث .

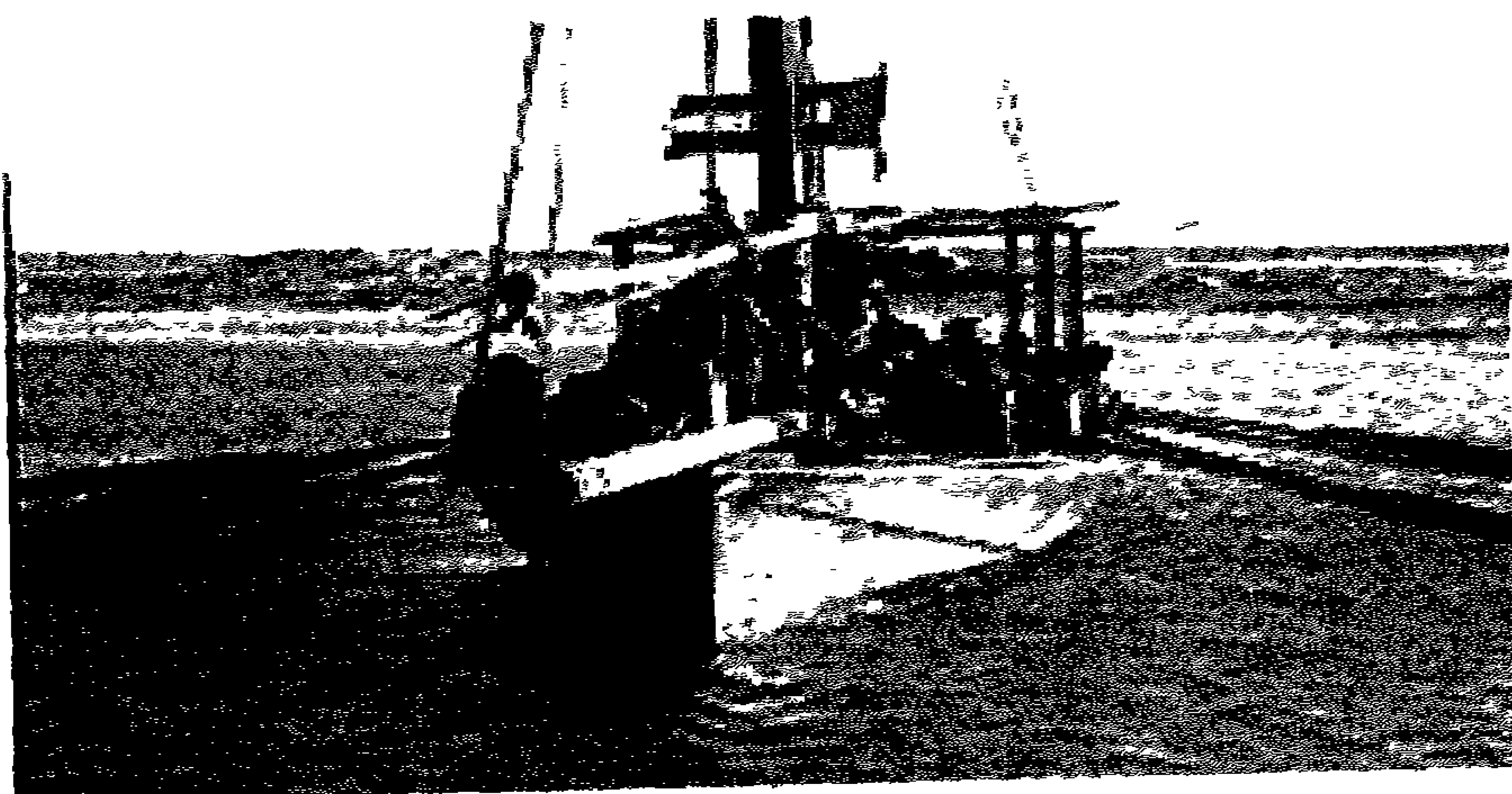
وفيما يلي سوف نستعرض أهم هذه الرحلات، ثم سنقوم بدراسة إحداها، وهي رحلات الباز :

صورة ملونة رقم / ٣١ / رحلات الأصالة



- رحلات صاحب السمو رئيس الدولة .
- رحلات سمو الشيخ حمدان بن محمد آل نهيان .
- رحلات الوصل التي انطلقت من دبي بقيادة الأستاذ علي صقر السويدي، اعتماداً على خارطة مغاصات اللؤلؤ التي كان سمو الشيخ مانع بن راشد آل مكتوم قد أعدها عام ١٩٣٩ .
- رحلات السفينة " كيفان " التي تملكها جمعية الإمارات للغوص، والتي قادها النوخذة فرج بن بطي المحيربي .
- رحلات الباز .

صورة ملونة رقم / ٣٢ / إحياء الماضي



رحلات الباز :

١- في صيف ١٩٨٣ وبدعم وتمويل من صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي حفظه الله خرجت سفينة الغوص (الباز) من دبي، والمزودة بالمعدات والأجهزة الحديثة من تكييف، وتبريد، وغاز، وكاميرات تصوير تحت الماء، وأجهزة اتصال، وأدوات الغوص الحديثة التي تسمح للغواص بالبقاء تحت الماء ما يقارب ثلاثة ساعات متواصلة، من سلندرات غاز، وأدوات تنفس، وملابس غوص خاصة، ومصابيح إنارة مائية، ونظارات مائية، وكان على متن سفينة الباز / ٤٥ / مواطناً شاركوا في رحلة إلى مغاصات لؤلؤ الخليج العربي المهجورة منذ / ٣٠ / عاماً، وقد استغرقت هذه الرحلة شهراً واحداً، وعادت بحصيلة ثمينة تقدر ب /٨٠٠ / حبة لؤلؤ .

٢- تكررت هذه الرحلة بخمسين مواطناً لمدة / ٢٥ / يوماً.

٣- قام / ٢٣ / مواطناً بقيادة النوخذة فرج بن بطي المحيربي برحلة غوصٍ محليةٍ في مغاصات دلما، واستغرقت تلك الرحلة / ٢٤ / يوماً .

٤- في عام ١٩٩٠ قامت ذات المجموعة برحلة غوصٍ استغرقت شهراً كاملاً، لكنها كانت ضعيفة المردود بسبب التلوث الذي أصاب المنطقة من حقول النفط البحرية، وخاصة حقل نوروز الإيراني .

٥- اختتمت الباز رحلاتها بقيادة النوخذة فرج بن بطي المحيربي برحلة غوصٍ قصيرةٍ مدتها عشرة أيام فقط إلى مغاصات جزيرة دلما، وكان على متنها خمسة غواصين مواطنين فقط، اعتمد اثنان منهم على أدوات الغوص الحديثة **Scuba**، بينما قام الآخرون بالغوص بالطريقة التقليدية بواسطة الفطام والمثقال، وقد تمكن هؤلاء الغاصة من جمع

/ ٤٠ / كيساً من المحار من أربعين قاعاً متفاوتة الأعماق في مغاصات (أم الصلصل) ذات الشهرة التاريخية .[١٣٦]

صورة ملونة رقم / ٣٣ /



رحلات الغوص الحديثة تعني تواصل الأبناء مع تراثهم وهويتهم الوطنية ونضال آبائهم وأجدادهم

١٣٦ – أنظر الفصل الخامس من المجلد الأول من هذه الموسوعة / مغاصات الإمارات والخليج العربي – صفحة ٢٧٨ .

ثانياً – تشجيع رياضة الغوص

ولتشجيع رياضة الغوص **Scuba Diving** ، وروح المغامرة **Adventure Spirit**، ولتوجيه جيل الشباب لممارسة هذه الرياضة التي تمثل جوهر هوية أصالة الإمارات وكامل منطقة الخليج العربي، ولكي تنتشر رياضة الغوص في الدولة، نشطت مؤسسات الدولة في دعم وتنفيذ الإجراءات التالية، أو التوصية بضرورة استحداثها وتنفيذها :

- ضرورة إدراج موضوع الغوص والتراث في المناهج الدراسية في جميع المرحل الدراسية، بدءاً من المرحلة الإبتدائية، وحتى المرحلة الجامعية .
- تشجيع جيل الشباب للانضمام لنادي دبي العلمي – قسم البحار، والعمل على افتتاح فروعٍ جديدةٍ له على مستوى الدولة، وإضافة فرعٍ خاصٍ بالغوص في نادي أبوظبي للرياضات البحرية .

- إنشاء الاتحاد الإماراتي لرياضة الغوص، والمطالبة بعضويته الدولية، والتعاون مع الاتحادات الشقيقة في المنطقة .

- تحفيز الشباب وتشجيعهم للمشاركة برحلات الغوص الجماعية التي تنظم بتمويلٍ من بعض المسؤولين في الدولة، أو التي تنظمها بعض مؤسسات وأندية الإمارات .

- ضرورة استحداث وإنشاء متحفٍ علميٍ رياضيٍ تراثيٍ وثائقيٍ عن الغوص، يضم :

١ - كل ما يتعلق بمهنة الغوص التي كانت على مدى قرابة خمسة آلاف عام مهنة المهن، والمهنة الرئيسة في الإمارات والخليج العربي، بدءاً من الكتب والخرائط والوثائق، مروراً بالصور والأفلام، وصولاً إلى الأدوات والدانات .

٢ – كل ما يتعلق بأعماق بحر الخليج العربي، بدءاً من شعاب المرجان، مروراً بالصدف والمحار، وصولاً إلى الحيوانات البحرية المفترسة، والسامة، والمؤذية .

٣ – كل ما يتعلق بالغوص كرياضة حديثة، بدءاً من أدواتها ودوراتها، مروراً بأنديتها ومراكزها ومتاجرها، وصولاً إلى فوائدها الصحية، والنفسية، والاجتماعية .

- ضرورة تنظيم الرحلات المدرسية والجامعية إلى متحف الغوص الآنف الذكر، لتعريف الطلبة بتاريخ نضال آبائهم وأجدادهم، ولتعريفهم بالغوص كمهنة ورياضة، ولتعريفهم بدور الغوص في رسم معالم منطقة الخليج العربي اقتصادياً، واجتماعياً، وسياسياً، وتشجيعهم على كتابة الدراسات والبحوث حول الغوص، وتاريخه، وتطور أدواته وغاياته، وتحوله من مهنة إلى رياضة، وتجارة، وسياحة، وعلوم بحرية .
- ضرورة إنشاء فرع الكشافة البحرية التابع لاتحاد كشافة الإمارات، والذي يتوجب عليه تنظيم

الرحلات الكشفية البحرية للقيام برياضة الغوص، وزيارة الجزر والمغاصات " الهيرات " القديمة .

- لأن الغوص كان القاسم المشترك الأعظم لكامل منطقة الخليج العربي، فإنه يتوجب على مؤسسات الخليج العربي القيام بتنظيم رحلات الغوص، وتشجيع الشباب على المشاركة في هذه الرحلات التي يستحسن أن تكون تراثيةً، سياحيةً، علميةً، اجتماعيةً تاريخيةً في آنٍ معاً .

صورة رقم / ٣٤ / أدوات الغوص القديمة



مراكز رياضة الغوص في الإمارات

أولاً – مراكز غوص أبوظبي : [137]

Abu Dhabi Sub
AquaClub Al Meena Zayed Tel 02-673 1111 Fax 02-673 1113
Email:theclub@emirates.net.ae

Abu Dhabi Tourist Club
Near Le Meridien Hotel
Tel 02 672 3400 Fax 02677 2516
Email adclub@emirates.net.ae

Blue Dolphin Company LLC
Hotel Iinter-Continental Abu Dhabi
Tel 02 666 9392 Fax 02 666 6802
Email sindbadbd@hotmail.com

---

[137] – شبكة الإنترنيت .

Golden Boats
Le Meridien Abu Dhabi
Tel ٦٦٥ ٩٩٢٩ Fax ٦٦٧ ٣٧٣٥
goldmat@emirates.net.ae Email

Marina Divers
Tourist Club Area
Tel ٠٢ ٦٦٦ ١٠٥٥ Fax ٠٢ ٦٦٥ ٧٣٣٧
divers@emirates.net.ae Email

Sirenia Marina Club
Tel ٠٢ ٠٥٠ ٦١٣ ٤٥٨٣
Fax ٠٢ ٧٦١ ٢٧٤
hvpappin@emirates.net.aeEmail

Gulf Marine Sports
P.O. Box ٣٢٩٤٥
Abu Dhabi,
Tel: (٩٧١-٢) ٦٧١٠٠١٧
Fax: (٩٧١-٢) ٦٧١٠١٧٧
e-mail: info@gulfmarinesports.com.

ثانياً – مراكز غوص دبي [١٣٨]

Al Boom Diving
Al Wasl Road
Tel ٠٤-٣٤٢ ٢٩٩٣ Fax ٠٤-٣٤٢ ٢٩٩٥
abdiving@emirates.net.aeEmail

SCUBA ARABIA
DIMC
Le Meridien Mina Seyahi
Tel: ٠٤ ٣٩٩٢٢٧٨
Fax: ٠٤ ٣٩٩٣١١١
diveimc@emirates.netEmail:

Trade Centre Apartments, Block C
Tel: 04 3314014
Fax: 04 3310680
Email : scuba@emirates.net.ae

Pavilion Dive centre
Jumeirah Beach Hotel
Tel ٤٠٦ ٨٨٢٧ Fax ٣٤٨ ٤٧٥٤
Email:
phil.oshea@thejumeirahbeachhotel.com

---

[١٣٨] – شبكة الإنترنيت .

Scuba Dubai
Trade Centre Apartments, Block C
Tel ٠٤ ٣٣١٧٤٣٣
Fax ٠٤ ٣٣١٠٦٨٠
Email : info@scubadubai.com

Scuba International
Heritage & Diving village
Tel ٠٤ ٣٩٣ ٧٥٥٧
Fax ٠٤ ٣٩٣ ٧٨٨٣
scubaint@emirates.net.ae Email

Scubatec
Sana Building
Tel ٠٤ ٣٣٤ ٨٩٨٨
Fax ٠٤ ٣٣٦ ٦٤٦١
scubatec@emirates.net.aeEmail

ثالثاً – مراكز غوص الشارقة : [١٣٩]

Sharjah Dive Club
Sharjah Wanderers Sports Club
Tel ٠٦ ٥٣٥ ٧٥٠٥ Fax ٠٦ ٥٦٦٣٢٢٦
joescott@emirates.net.ae Email

[١٣٩] – شبكة الإنترنيت .

Pearl Marine Sports Center
Tel: ٠٦ ٥٦٦٣٦٢٦
Fax: ٠٦ ٥٦٦٥٤٨٨
pearldiv@emirates.net.aeEmail:

رابعاً – مراكز غوص عجمان :

SCUBA ARABIA
Aqua Marine Diving Services
Tel ٠٦ ٧٤٤٤٩٣٧
Fax ٠٦ ٧٤٤٤٩٣٨
aquamarineaj@yahoo.comEmail:

Ajman Kempinski Hotel & Resort
Tel ٠٦ ٧٤٥ ١٥٥٥
Fax ٠٦ ٧٤٢ ٣٣٣٦
ajikia@emirates.net.ae Email

خامساً – مراكز غوص الفجيرة :

Al Boom Diving
at Oceanic Hotel
Khor Fakkan, Sharjah
U A E
Tel ٠٩-٢٣٧٠٢٩٩
Fax ٠٩-٢٣٧٠١٩٤
sbdiving@emirates.net.ae Email:

Scuba ٢٠٠٠
Al Badiya Beach
Tel ٠٥٠ ٦٤٩ ٥٥٤٠
dim@emirates.net.ae Fax ٠٩٥٥٤ ٠٤١٣ Email

سادساً – مراكز غوص خورفكان :

Al Madhani Sea Tourist & Diving
Near Dibba Oman
Tel ٠٥٠ ٦٩٠٥٠٨٠ Fax ٠٩ ٢٣٨٣٣٧٠

Diving House
On the corniche road
Tel ٠٩ ٢٣٨ ٣٦٣٨
Fax ٠٩ ٢٣٨ ٧٣٨٣
Email : dive٤fun@emirates.net.ae

Seven Seas Diving Centre
Near Khor Fakkan Souk
Tel ٠٩ ٢٣٨ ٧٤٠٠ Fax ٠٩ ٢٣٨ ٧٤٤٠
Email : diving@emirates.net.ae

وبسبب أهمية الدور الحضاري الذي تلعبه مراكز الغوص في دولة الإمارات العربية المتحدة، والذي يساهم مساهمةً فعالةً في ترجمة فلسفة القائد الخالد زايد في تعزيز معالم الهوية الوطنية من خلال إحياء تراث الإمارات والخليج العربي، وربط الأجيال بماضي الآباء والأجداد المشرف، فقد ارتأينا أن نقدم في هذه الموسوعة أنموذجاً عن عمل هذه المراكز، واخترنا لهذا الغرض جمعية الإمارات للغوص، فنسخنا ما قالته الجمعية عن نفسها في شبكة الإنترنيت : [١٤٠]

---

[١٤٠] - جمعية الإمارات للغوص – شبكة الإنترنيت

The Emirates Diving Association,
P.O. Box. ٣٣٢٢٠, Dubai, UAE.

Tel : ٠٤ - ٣٩٣٩٣٩٠. Fax: ٠٤ - ٣٩٣٩٣٩١

جمعية الإمارات للغوص

Emirates Diving Association (EDA)

Emirates Diving Association (EDA) was established in Dubai on ٢٣/٠٢/١٩٩٥ .

صورة ملونة رقم / ٣٥ / جمعية الإمارات ورياضة الغوص



جمعية الإمارات للغوص

Emirates Diving Association (EDA)

Emirates Diving Association (EDA) was established by a Federal Decree, No. (23) for the year 1995 article No. (21) on 23/02/1995 and chose Dubai as its base. The Decree stipulates the following responsibilities for EDA.

- To Legislate and regulate all diving activities in the UAE.

- Be responsible for the diving environment and environmental education to the diving and non-diving community.

- Promote and support the diving industry within the UAE by coordinating the efforts of the diving community.

- Promote diving safety in the commercial and recreational diving fields through standardization of practices.

- Promote and preserve historical aspects of diving within the gulf region.

- An interim board of directors was established soon after the decree, to draw the board's frame work for the EDA objectives, as well as hand over the associations to specialized dedicated volunteer individuals in each discipline so that each one of the above responsibilities can be achieved in a professional and organized manner .

Mission Statement

To conserve, protect and restore the U.A.E. marine resources by understanding and promoting the marine environment and environmental diving.

Legislate and regulate all diving activities in the UAE.

Like any other recreational or commercial activities, underwater activities also need to follow a well-defined framework as well as performance and quality guidelines. While the EDA understands and appreciates that the majority of enterprises and clubs operating in the country do follow standard industry guidelines in their respective disciplines, there are those that are below standard, actively violating or simply not conforming to any guidelines. The EDA intends to protect the rights and privileges of the first group and help the second to fall in line. The EDA regulatory programme addresses four main areas within the dive industry:

- The Individual Diver: guidelines for diving in the Emirates.
- The Recreational Diving Enterprise: guidelines for training, equipment sales, equipment servicing and diving vessels and diving medicine.
- The Commercial Diving Enterprises: conformity to an established worldwide standard like the IMCA, North Sea or similar. Also covers scientific research diving practices.
- Dive Clubs: guidelines for Dive Clubs & dive organizations .

- To be responsible for the diving environment and environmental education in the diving and non-diving communities .
- To promote and support diving within the UAE by coordinating the efforts of the diving community and other governmental organisations. i.e. coast guard, Municipalities, tourism departments .
- To promote diving safety both in the commercial and recreational diving fields through standardisation of practices.
- To promote and preserve historical aspects of diving within the Gulf region.
- A non-profit association, such as the EDA, is now an essential and important need within the diving community that needs unification in order to create a true market for the support industries - if we want to continue having support industries! The rapid growth of recreational diving-related pressures means that divers themselves, with EDA support, will have to be more active in policing the environmental consequences. As training escalates to such a degree, that the UAE is becoming a veritable centre for training disciplines, the EDA needs to cast a falcon's eye over the local applied standards. Regulating means policing, and the EDA has various measures at its disposal to enforce policy over any schools or centers that do not comply fully with the EDA standards. However, before reaching that stage, the EDA will endeavour to work with everyone in order to attain the levels that any self-respecting diving community would aspire to anywhere in the world.

The Association's Objectives

The EDA is appealing to all divers to come forward with suggestions, ideas and problems. By understanding the EDA's objectives, it becomes easier to see how the individual diver can get involved. So with that in mind, here are the EDA's primary objectives:

To ensure satisfactory standards or practice for recreational and commercial diving are in place and conformed to at all times.

To create an EDA Membership scheme; establishing a database for all divers, benefit values with relation to retailers and services and including a regular newsletters.

To conserve the marine environment through observation, reporting and protective measures, the EDA believes that divers can be extremely useful for recording and reporting, and sometimes preventing environmental abuse. The EDA is planning to launch various environmental protection and awareness schemes like the international Year of the Reef survey, a mooring buoy deployment programme, coastal clean-ups, etc. The EDA is cooperating with local, federal and international agencies for this purpose. The EDA is also forging ties with international research institutions from around the world, and shall be participating in marine research studies, and sustaining a marine life database.

To promote diver safety through education, standards and provision of facilities; the EDA wishes to establish an emergency system for divers, including :

Diving emergency procedures and contacts.

Dive accident treatment and the use of hyperbaric facilities.

Seminars on safety and the use of chambers for divers and non-divers alike.

To offer local diving medical coverage in case the need arises.

To promote and maintain the local diving heritage, and preserve the traditions and history of local pearl diving, EDA is now located in the diving village in the shindagha area where EDA exhibits pearl diving, fishing, and a marine life park currently being drafted by aquarium specialists. EDA will continue to promote pearl diving through its regular annual trips throughout the Gulf islands.

To liaise with international diver training organizations and international diver safety organizations.

EDA hosted talks, presentations, film shows, slide shows, school presentations, and interaction with other environmental groups.

There are certainly many ways that the diving community can help the EDA. Jamal Bu Hannad calls for help from the public, "We really do need your help! In the conservation movement active participation by a committed public is essential. Without a determined wave of supporters to press for change, marine species and ecosystems at risk cannot be protected, So join us and help to make a difference". So YOU can make a difference. To find out how to become an EDA member, please contact:

The Emirates Diving Association,
P.O. Box. 33220, Dubai, UAE.
Tel : 04 - 3939390. Fax: 04 - 3939391

وفيما يلي نقدم لمحةً موجزة لمهام ووظائف **جمعية الإمارات للغوص** التي أنشئت بموجب المرسوم الاتحادي رقم / ٢٣ / لعام ١٩٩٥ ، والتي اختارت إمارة دبي مقراً لها :

- أن تشرف على أنشطة الغوص في دولة الإمارات العربية المتحدة .
- أن تأخذ على عاتقها عبء مسؤولية حماية بيئة الغوص، والتثقيف البيئي لمجتمع الغواصين وغير الغواصين .
- أن تشجع وتدعم صناعة الغوص في الإمارات .
- أن تدعم عوامل أمان الغوص في كافة مجالات الغوص في الإمارات .
- أن تدعم وتحمي مجال تاريخ الغوص في الإمارات ومنطقة الخليج العربي .

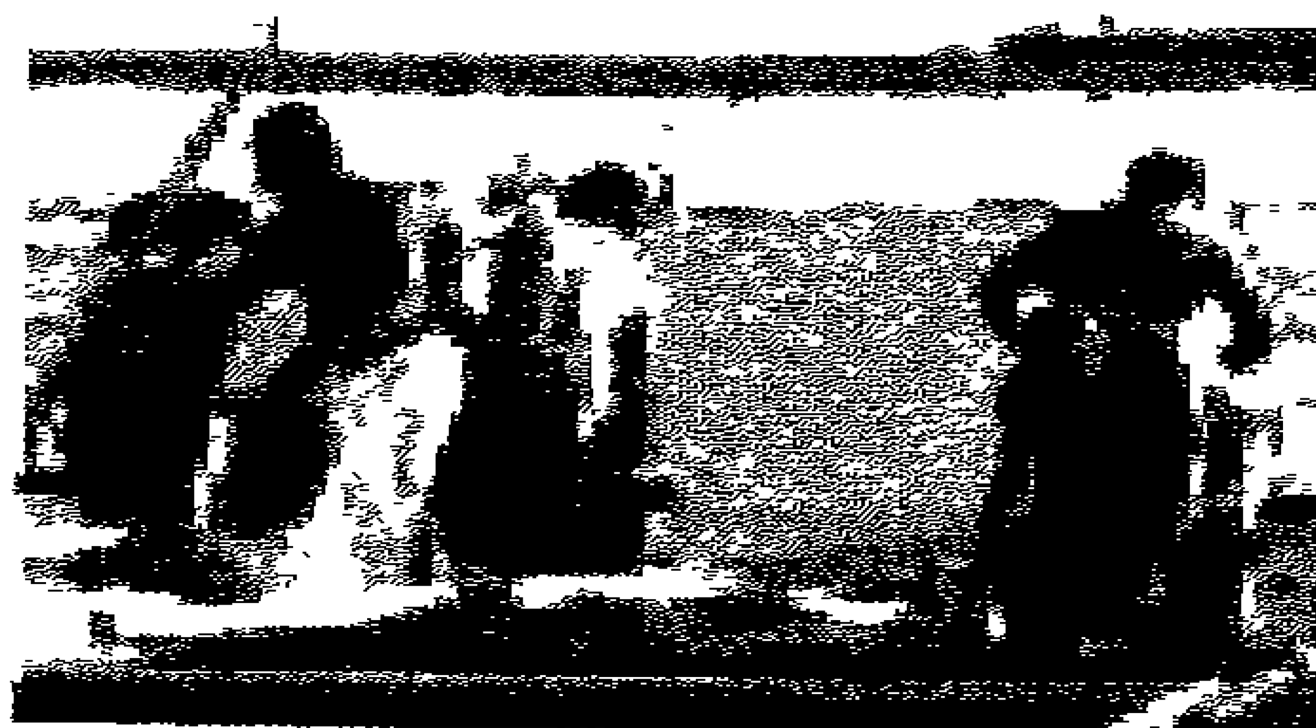
الإمارات و سياحة الغوص

منذ اللحظة الأولى لولادتها، وعملاً بفلسفة قائدها وقيادتها عملت الإمارات على بناء الإنسان والعمران في آنٍ معاً، وبالتوازي والتكامل .

وفي إطار عمليتي البناء هذه شمخت صروح المدارس، والمعاهد، والجامعات، والمستشفيات، والمصانع، والمعامل، والأندية، وشُقّت الطرق، وبُنيت الجسور، وقُهرت الصحراء الصفراء القاحلة التي تحولت بعون الله وفضله إلى بساتين ومزارع خضراء يانعة، واهتمت الدولة بصناعة السياحة بكافة أشكالها وشعابها، وخاصةً السياحة العلاجية التي تستثمر ينابيع المياه المعدنية، والسياحة التراثية التي تستثمر أوابد ومعالم الماضي الخالد التليد، ودخلت دولة الاتحاد الفتية عصر النهضة الحضارية الشاملة بتقنياتها المعاصرة المتطورة، دون أن تتخلى عن هويتها العريقة الأصيلة الفذة، ومن هذا المنطلق تجلى الاهتمام الحكومي بالسياحة التراثية التي تستنطق

تاريخ الماضي الغني بفخاره، المجيد بعزته واعتزاز أبنائه به براً وبحراً، ليس من أجل تعزيز الهوية الوطنية الغالية من خلال ربط الماضي بالحاضر لبناء المستقبل الزاهر وحسب، ولكن من أجل تعريف العالم بذلك الماضي الفذ الذي صهر مجتمع الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ في بوتقة الوحدة العربية الحقيقية، ولذلك لا غرابة أبداً إن تلمسنا اهتماماً رسمياً وشعبياً متميزاً بمفردات الغوص اقتصاداً، وحرفةً، ومعاناةً، وتاريخاً، وذكرياتاً، وأدبياتٍ في كل زوايا صناعة السياحة التراثية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وفي كل دول منظومة الخليج العربي .

صورة ملونة رقم / ٣٦ / البحارة على متن سفينة الغوص



صورة ملونة رقم / ٣٧ / من أدوات الغوص واللؤلؤ القديمة



وعلى هذا الأساس بني اهتمام الدولة بصناعة السياحة التراثية، وبمراكز رياضة الغوص التي تحدثنا عنها آنفاً، وعلى هذا الأساس أيضاً بَنَت صناعةُ السياحة ومراكزُ رياضة الغوص أنشطتها السياحية، والترفيهية، والرياضية، والعلمية، ويعتبر الساحل الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة البيئة الملائمة للغوص والسباحة؛ لأنه جنة الأسماك الصغيرة، والمرجان، والبيئة المناسبة لممارسة السباحة تحت الماء في مياهه الضحلة الدافئة .

وتوفر كل من جزيرتي الشرق الواقعة في خليج خورفكان، و" سنوبي " الواقعة مقابل موتيل الشاطئ الرملي على الساحل الشرقي، مكاناً رائعاً للسباحة تحت الماء في المياه الضحلة الدافئة .

وفي هذا المجال أطلقت دولة الإمارات العربية المتحدة في الآونة الأخيرة بادرةً تعتبر الأولى من نوعها على مستوى العالم كله، حيث أعلنت إمارة دبي عزمها على إنشاء فندق " هيدروبوليس " الذي يعد أول فندقٍ من نوعه يقام تحت سطح الماء، وسيرسخ الفندق الذي سيقام مقابل شاطئ الجميرا على مساحةٍ قدرها / ١٠٧,٧٠٠ / ألف متر مربع بتكلفةٍ إجماليةٍ تتجاوز / ٥٠٠ / مليون دولار أميركي، أي ما يعادل نحو مليارٍ، و / ٨٣٥ / مليون درهم إماراتي، ويعتبر هذا المشروع الذي يضم نحو / ٢٢٠ / جناحاً مفهوماً جديداً كلياً للإقامة المترفة ضمن أجواء فريدةٍ لا مثيل لها،

ومن المتوقع أن يتم إنجاز هذا المشروع الرائد العملاق في أكتوبر من عام ٢٠٠٦ المقبل .[١٤١]

ومما يجدر ذكره هنا أن هذا الفندق الفذ الرائد سياحياً، والذي لا مثيل له في العالم، والذي سيشيَّد تحت سطح الماء في منطقة الجميرة في إمارة دبي، وعلى مسافة تبعد عن الشاطئ حوالي / ٣٠٠ / متر، والذي سيرتبط مع اليابسة بنفقٍ لنقل السياح والنزلاء بواسطة سياراتٍ كهربائيةٍ، لم تولد فكرته من فراغ؛ لأنها ولدت من رحم الاعتزاز بتراث الإمارات والخليج العربي، ومن رحم الفخر بماضي الآباء والأجداد الذين نذروا أنفسهم لوطنهم وأمتهم .

[١٤١] – شبكة الإنترنيت وصحف الدولة .

الفصل السابع

الغوص والبحر في الأغاني والنهمات الشعبية

موسوعة الغوص واللؤلؤ – المجلد الثاني

تمهيد :

تشير الدلائل التاريخية إلى أن البحر قد استهوى وشغل الإنسان في منطقة الخليج العربي منذ آلاف السنين، وتشير أيضاً إلى أن هذا الإنسان قد اشتغل بمهنة الغوص لصيد اللؤلؤ من أعماق حوض بحر الخليج العربي منذ خمسة آلاف عام تقريباً، ولذلك انصهر الإنسان والبحر والغوص في أعماق عقول الناس وعواطفهم، حتى صار شرايين حياتهم اليومية، مثلما انصهروا هم فيه، حتى صاروا أمواجه التي لا تهدأ ليلاً أو نهاراً، وملوحته التي تعني لهم شهد الحياة الدنيا، وعلى هذا الأساس لم يعد ممكناً الفصل بين البحر والغوص من جهة، وبين الناس وأغانيهم وأمثالهم وألغازهم من جهةٍ ثانية .

والحديث عن الناس في منطقة الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ، يعني الحديث عن كل الناس في كامل منطقة الخليج العربي، وليس في منطقةٍ محددةٍ دون سواها؛ لأن الغوص لصيد اللؤلؤ - كما سبق وقلنا - قد خلق على

الأرض أول وحدة عربية حقيقية، سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وفولكلورياً أيضاً، فالأغاني والأهازيج والأناشيد التي كان يرددها نهّامة رأس الخيمة، هي ذات الأغاني والأهازيج والأناشيد التي يرددها نهّامة أبوظبي، ونهّامة دبي، ونهّامة البحرين، ونهّامة الكويت، وكل نهّامة الخليج العربي، قد تختلف بعض المفردات بين مكانٍ وآخر، لكن متن موضوع النشيد، يظل على حاله في كل أرجاء منطقة الخليج العربي .

وقد ورد أول ذكرٍ تاريخيٍ لغناء البحارة في عام ٣٤٦ هـ في كتاب المسعودي (مروج الذهب) الذي تحدث فيه عن أغنيةٍ لبحارةٍ يترنمون بذكر مدينة " بربري " التي تقع على سواحل أفريقيا، والتي اشتهرت بأمواجها الثائرة الهائجة، والتي أنشدوا لها :

بربري و جفوني ومــوجك المجنـــون

جفوني و بربري و موجها كما تري

وتصور وثائق الغوص في البحرين، وفي كامل منطقة الخليج العربي جوانب هامة من تاريخ الغوص على اللؤلؤ، كالإعلانات الحكومية التى تحدد موعد بداية موسم الغوص الكبير " العود " والتي كانت تسمى (الركبة) وموعد نهايته، والتي كانت تسمى (القُفّال) .

وبين الركبة والقفال كانت المنطقة تعيش حالةً من الحركة النشطة الدؤوب، تبدأ من روزنامات النواخذة، و " تبّات " الغواصين، مروراً بدفاترهم التي تدون وتوثق نشاطهم، ومكاسبهم، وكشوف حسابات النواخذة، والطواشين، وتجار اللؤلؤ، وصولاً إلى مراسلاتهم، وتراخيصهم، وتراخيص سفنهم، ووثائق تسجيلها الحكومية الرسمية ... الخ .

وكان كل الرجال الذين يتمتعون بصحةٍ جيدةٍ يحرصون على المشاركة فى موسم الغوص الكبير " العود " ثم في مواسم الغوص الصغيرة القصيرة الأخرى كغوص الردة، والرديدة . ولأن موسم الغوص الكبير هو موسم الغوص الأهم، وهو موسم الغوص الرئيس زمناً، وكثافةً، ونشاطاً، ومردوداً،

ولأنه الموسم الأكثر قسوةً، وشقاءً، وعذاباً، ولتخفيف آلام القسوة والعذاب والشقاء، وعلى مدى مئات السنين، ظهرت بعض التقاليد الخاصة بطقوس البحر والغوص، ومن أهم هذه التقاليد أغاني وأناشيد البحر والغوص، والتي كانت تنقسم إلى قسمين :

الأول :

أغاني وأناشيد البحارة على ظهر السفينة خلال موسم الغوص، أي في فترة الحر في فصل الصيف .

الثاني :

أغاني وأناشيد البحارة على اليابسة بعد انتهاء موسم الغوص، أي في فترة البرد خلال فصل الشتاء .

وقد اتفق عدد كبير من الباحثين في شؤون البحر والغوص على تسمية هذه الأغاني والأناشيد بأغاني وأناشيد العمل،

نظراً لكون هذه الأغاني والأناشيد كانت تؤدى خلال ممارسة العمل؛ لتحفيز العاملين على رفع وتيرة أدائهم، ولكونها كانت تؤدى بالتوافق الإيقاعي مع حركة العمل، التي نعني بها هنا الحركة المنتظمة لمجاديف السفينة، وإن كانت تبدأ عملياً مع صوت سحب حبل المرساة، الذي يعني الشروع بالإقلاع والعمل، وكان النهّام يبدأ نهمته عادةً بمصطلح " **يا مال .. يا مال** " الذي يقابله في الأغاني العاطفية المصطلح الغنائي " **يا ليل .. يا ليل** " واذا كان الباحثون في أغاني الطرب قد تمكنوا من تعريف مفهوم المصطلح الغنائي الشائع " يا ليل .. يا ليل " فإن الباحثين في نهمات الغوص لم يتمكنوا من تحديد مفهوم وتعريف " يا مال .. يا مال " وظل التساؤل قائماً منذ زمن الغوص لصيد اللؤلؤ حتى الآن، ترى ما الذي كان يعنيه النهّامون بمصطلح : " يا مال .. يا مال ؟؟!! " وما الذي كانوا يعتقدون أنه قد مال فعلاً ؟؟!!

هل كانوا يقصدون به الصاري، أم الحظ، أم الرجل الذي كان يدخل موسم الغوص واقفاً كالجبال الشمّ، ثم يخرج منه خائراً لا يقوى على الحراك ؟؟!!

وفي كل الأحوال، فالنهَّام كان يلعب دوراً رئيساً على متن سفينة الغوص، في رحلة الغوص الكبير، التي كانت تستمر طيلة فصل الصيف، ولذلك كان النوخذة يختار النهّامين بدقةٍ وعنايةٍ لا تقل عن دقته وعنايته عند اختيار بقية بحارته وغاصته، فالنهَّام صاحب الصوت القوي الشجي الصدَّاح، يساهم إلى حدٍّ كبيرٍ جداً في شحذ الهمم، وتعزيز العزائم .

النهمة ودورها الفاعل في نفوس البحارة :

وقبل أن نتحدث عن النهمة، وعن دورها المؤثر الفاعل في نفوس البحارة على متن سفينة الغوص، في موسم الغوص الكبير، علينا أن نتحدث عن مفهوم ومعنى " **النَّهمة** " في اللغة العربية؛ لكي ندرك أبعادها في الفعل والتأثير .

يقول ابن منظور في لسان العرب :

النَّهْمَةُ : تعني بلوغ الهمَّة في الشيء، ونهمني فلانٌ، أي زجرني، ونَهَمَ يَنْهِمُ نَهيماً : وهو صوت كأنه زَحِير، وقيل هو صوت فوق الزئير، وقيل نَهَمَ يَنْهِمُ لغةٌ في نَحَمَ يَنْحِمُ، أي زَحَرَ، والنَّهْمُ والنَّهِيمُ : صوتٌ وتوعدٌ وزجرٌ، والنَّهَامُ الأسد لصوته، والنَّاهِمُ الصارخ، ونهمت الإبل زجرها لتجدَّ في سيرها، والمِنْهامُ من الإبل التي تطيع على النهم، وهو الزجر، والنَّهْمُ زجرك الإبل تصيح بها لتمضي، وعلى هذا الأساس، فالنهمة تقابل الحداء، والحداء معروف عند العرب

منذ القديم، وهو الغناء للإبل كي تجدَّ في سيرها، وكلما كان الحادي عذب الصوت سارت الإبل سيراً حثيثاً، فهل كانت نهمة البحر مشتقةً من النهم التي تعني زجر الإبل لتجدَّ في سيرها، من منطلق أن الحداء لحثّ الإبل على السير، والنهمة لحث البحارة على العمل ؟؟

يقول الأزهري :

مالك لا تَنْهِمُ يا فلاَّحُ　　　إنَّ النَّهِيمَ لِلسُقَاةِ راحُ

ومن الثابت تاريخياً أن للنهمة تأثير كبير على البحارة الذين كانوا ينجزون أعمالهم الشاقة بهمةٍ ونشاطٍ، غير مبالين بالمشقة والتعب وعناء البحر، لاسيما إذا كان النهَّام شجي الصوت، قوي الأداء، وعلى هذا الأساس فالنَّهمة نوع من أغاني العمل حسب تقسيمات باحثي الفولكلور والفنون الشعبية .



وفي كتابه " تاريخ الغوص على اللؤلؤ " يورد المؤرخ الكويتي سيف مرزوق الشملان حكايةً طريفةً عن حادثة وقعت لأحد البحارة خلال رحلة غوص لصيد اللؤلؤ [١٤٢]، حيث أخذ النهام ينهم زهيريات، ومع طول زمن ومسافة التجديف، أخذت الحماسة تدب في مشاعر البحارة، الذين تجاوبوا مع غناء النهام، وكانت تلك الحماسة أعلى لدى أحدهم، ولشدة حماسته وطربه، قفز إلى الأعلى، ثم هوى بجسده على سطح السفينة، وضربه بقدمه اليمنى بقوةٍ بالغةٍ، فكسر أحد الألواح الخشبية دون أن يشعر، واخترقت قدمه اليمنى لوح الخشب المكسور، وعندما سحبها بقوةٍ وسرعةٍ نحو الأعلى ليعيد الكرة، تمزقت القدم، وراحت تنزف الدماء،

[١٤٢] - سيف مرزوق الشملان – تاريخ الغوص على اللولو .

والبحار في نشوته وحماسته في العمل، لا يشعر بما جرى له، ولما شاهد البحارة دماءه على سطح السفينة نبَّهوه، ومنعوه من متابعة العمل، وحالوا بينه وبين نشوته وحماسته .

ويشير بعض الباحثين إلى أن الشعر الذي كان النهامة يغنون قصائده كان على نوعين :

- الزهيري - أو الموال .
- والمواليا الذي كانوا يسمونه أميلي .

ويقول المؤرخ الكويتي سيف مرزوق الشملان في كتابه الآنف الذكر إن الزهيري هو الموَّال، وقد أخذ اسمه من المواليا، وفي نشأته أخبار وآراء كثيرة يعود بعضها إلى نكبة البرامكة [١٤٣]، مما لا يتسع المجال لذكره في هذا الحيز، ولربما كانت لفظة يا مال مأخوذة من اختصار يا مواليا، فيقولون يا مال يا مال، أو هوب يا مال، ثم يشرعون في غناء القصيدة، فيما يردّد البحارة بهمهمةٍ، تشبه إلى حدٍّ كبيرٍ

[١٤٣] - سيف مرزوق الشملان — المرجع السابق .

همهمة أهل الطرق الصوفية ،حتى تنتهي النهمة، فان لم يكتمل العمل، يواصل النهام حداءه البحري بقصيدةٍ جديدةٍ تستثير الهمم والعزائم .

وهنا علينا ألا ننسى دور الآلات الموسيقية المصاحبة لهذه الأغاني والأناشيد، والمتمثلة بالطبل والطُوَس، إضافةً إلى الآلة الرئيسة الأهم، المتمثلة بأكف البحارة .

وقبل الخوض في تصنيف أنواع هذه الأغاني والأناشيد، نودّ أن نتحدث عن دور هذه الأغاني والأناشيد في تقوية وتعزيز العديد من الجوانب الإيجابية في نفوس البحارة :

- الجانب الديني العقائدي :

تظهر الأهمية الدينية العقائدية بوضوحٍ وجلاءٍ مطلقين في كامل جوانب الحياة الاجتماعية في منطقة الخليج العربي في مرحلة الغوص لصيد اللؤلؤ، ما قبل اكتشاف واستثمار

النفط، لكن دور المعتقد الديني، يتميز بأهميةٍ خاصةٍ في حياة البحارة على متن السفن، وذلك بسبب :

- أهمية المعتقد الإيماني الديني، في تقوية الإرادة والعزيمة الفردية والجماعية، لمواجهة خرافات الجنِّ والشياطين، في زمن الجهل والخوف والظلمة .
- أهمية المعتقد الإيماني الديني، في تقوية الإرادة والعزيمة الفردية والجماعية، وتحفيز البحارة لرفع وتيرة عملهم، وزيادة نشاطهم، وتحسين أدائهم .

ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى أن العمل على متن السفينة كان يرتبط بصلاة الفجر، فلا يبدأ ذلك العمل الشاق المنهك إلا بعد أدائها، وبعد أن يصيح النوخذة بأعلى صوته :

" اطلبوا الله "

وبعد أن يرد عليه البحارة جميعاً بقولهم :

ينـزل الغاصة إلى البحر، ويبدأ العمل اليومي، ولذلك فإننا نجد أن أداء النهامين لأغاني وأناشيد البحر، كان يرتبط إلى حدٍّ كبيرٍ جداً بهذا المعتقد الديني الإيماني المطلق، والذي كان يظهر في نغمات ونبرات ذلك الأداء الخاص المنصهر بشكلٍ من أشكال الهمهمات الدينية الصوفية .

- الجانب النفسي :

كان العمل في مهنة الغوص، من أقسى وأشد أنواع العمل على الإطلاق في مرحلة ما قبل النفط، وكانت مخاطر تلك المهنة تثير الرعب في قلوب البعض، كما تثيرها مخاطر الحروب في قلوب بعض الناس أيضاً، ولم لا .. فالغوص كالحرب، في كونه معركة من أجل العيش والبقاء، مع الفارق في المضمون، وهكذا .. وكما في المعارك والحروب، يردّد الجنود بعض الهتافات الحماسية؛ للتخلص من حالة الخوف والفزع النفسية، تمهيداً للدخول في أجواء القتال

والمعركة، يردد البحارة والنهامة بعض الأغاني والأهازيج؛ للتخلص من حالات الخوف، والفزع، والاكتئاب، والحزن، وللدخول في أجواء الهمة، ومعركة العمل .

- **الجانب الاجتماعي :**

من المفيد أن نشير هنا إلى أهمية دور الأداء الجماعي لأغاني وأناشيد البحر في تعزيز وتقوية روح التعاون والعمل الجماعي للبحارة على متن سفينة الغوص، فالأداء الجماعي المشترك للأناشيد، سوف يؤدي إلى أداءٍ جماعيٍ مشترك في العمل؛ لأن المشاركة الجماعية هذه تساهم في صهر البحارة في بوتقةٍ واحدةٍ طيلة موسم الغوص، وبشكلٍ منتظمٍ ومدروسٍ أيضاً .

- **جانب العمل المتناسق بروح الفريق :**

إن التوزيع المتناغم المتناسق في أداء النهامين لأغاني وأناشيد البحر والغوص على متن سفينة الغوص، يعزز روح فريق العمل الواحد التي تنبض بالمحبة، والمودة، والتفاهم، والتآلف،

ومن يستمع اليوم إلى ذلك التوزيع في الأداء، يدرك على الفور مدى التفاهم والتآلف الذي كان سائداً بين البحارة على متن سفينة الغوص .

- **الجانب التنظيمي :**

كان العمل على متن سفينة الغوص منظّماً تنظيماً دقيقاً جداً، بتسلسلٍ هرميٍ انضباطيٍ انضباطاً مطلقاً، وقد انعكس هذا التسلسل والانضباط على أغاني وأناشيد البحر والغوص، بحيث أصبح لكل حلقةٍ ومرحلةٍ من مراحل العمل في موسم الغوص على متن سفينة الغوص أغانيها الخاصة، وأناشيدها الخاصة، بدءاً من مرحلة رفع المرساة، مروراً بمرحلة رفع الأشرعة والإقلاع " الركبة " وصولاً إلى المرحلة النهائية، أو اليوم الأخير لموسم الغوص " القُفّال " .

ويقول الباحث عبد العزيز المسلم، مدير إدارة التراث بدائرة الثقافة والإعلام في الشارقة، إن لكل عمل نهمته الخاصة به، ومن هذه النهمات :

- **نهمة الجداف، أو الميداف :**

وهي تنقسم إلى نهمتين :

- الأولى خفيفة .
- والثانية متوسطة .

- **نهمة الشراع :**

يقوم البحارة بغنائها مع إخراج الشراع .

- **نهمة الخطفة :**

يقوم البحارة بغنائها مع رفع الشراع، ويستمرون بالغناء إلى أن يصل الشراع إلى أعلى الدقل الذي يسمى " القب " وكانوا كلما رفعوا الشراع باعاً، أنزلوه ذراعاً، وكانت تلك النهمة مصحوبةً بتصفيقٍ قويٍ وحادٍ على إيقاعٍ خاصٍ .

- **نهمة الشرت :**

والشرت هو أحد أهم حبال الشراع .

- نهمة الخراب :

والخراب حبل طويل يثبت السفينة أثناء الغوص .

- نهمة الجيب :

والجيب هو أصغر أشرعة السفينة، وهو مثلث الشكل .

وتنقسم نهمة الجيب إلى قسمين :

الأول : عند رفع الجيب .

والثاني : عند إنزال الجيب، وطيِّه، ووضعه داخل الكيس المخصص له .

أنواع أغاني البحارة

كما سبق وقلنا، فإن أغاني البحارة تنقسم إلى قسمين :

الأول :

أغاني وأناشيد البحارة على ظهر السفينة خلال موسم الغوص، أي في فترة الحر في فصل الصيف .

الثاني :

أغاني وأناشيد البحارة على اليابسة بعد انتهاء موسم الغوص، أي في فترة البرد خلال فصل الشتاء .

وقلنا أيضاً، إن لكل مرحلةٍ من مراحل العمل على متن سفينة الغوص أغانيها الخاصة بها، والتي تعبر عنها، وعلى هذا الأساس، فأغاني " الركبة " تختلف عن أغاني " القفال " حيث تعبر الأولى عن فراق الأهل والديار، بينما تعبر الثانية عن الفرحة بلقاء الأحبة، والعودة إلى الأهل والديار .

أغاني البحر

١ – أغاني السنكني :

السنكني مقام موسيقي هندي الأصل، دخل فنون الخليج العربي بواسطة التمازج الثقافي الذي أحدثته رحلات النقل، والرحلات البحرية التجارية المتبادلة [١٤٤]، ويغني البحارة هذا النوع من الأغاني عندما يحين موعد " الركبة " والإقلاع في رحلة الغوص الكبير " العود " وتحديداً عندما يكون البحارة يعملون في تنظيف السفينة، وطلي غاطسها بالشونة، وأغاني السنكني هي الأغاني الوحيدة التي يستعين فيها البحارة أحياناً بآلة نفخٍ موسيقيةٍ تدعى (الصرناي) إلى جانب الآلات الإيقاعية الأخرى التي لا يستغنى عنها في أغاني البحارة، على ألا ننسى أن تصفيق الأكف يعتبر الإيقاع الأهم في جميع أغاني البحارة في البحر على متن سفينة الغوص، أو في البر

---

١٤٤ – أنظر الفصل الرابع في المجلد الأول من هذه الموسوعة / مجتمع الإمارات والخليج العربي في حقبة ما قبل اكتشاف واستثمار النفط – صفحة ٢٢٩ .

بعد الانتهاء من موسم الغوص الكبير، وتتميز أغاني (السنكني) بطول الجملة الموسيقية من جهة، وصعوبة أدائها من جهةٍ ثانيةٍ .

٢ – أغاني المخموس :

يقوم البحارة بأداء أغاني (المخموس) أثناء قيام البحارة والأهالي بجر السفينة من اليابسة إلى البحر، في بداية فصل الصيف، إيذاناً ببدء موسم الغوص الكبير " العود " .

٣ – أغاني الهليبدة :

يقوم البحارة بأداء أغاني الهليبدة عندما يدفعون بالسفينة إلى البحر، وعندما تبدأ تتهادى على سطح الماء .

٤ – الزهيرية :

يقوم البحارة بغناء الزهيرية عند وداع الأهل والأحبة للسفر في رحلة الغوص الكبير .

٥ – الهوب مال :

ما إن تبحر السفينة في عرض البحر حتى يبدأ البحارة بأداء أغاني الهوب مال .

٦ – أغاني البريخة :

يقوم البحارة بأداء أغاني (البريخة) أثناء عملية سحب حبل المرساة (الخراب) .

ولأن حالات سحب حبل المرساة تختلف حسب وضع، وحالة، وموقع سفينة الغوص، فإن أغاني (البريخة) تختلف أيضاً؛ لتنسجم مع حالة السفينة، وعلى هذا الأساس، هنالك ثلاثة أنواعٍ لأغاني البريخة :

– بريخة على صدره :

وتؤدى عندما يكون الحبل قصيراً، أو فى حالة وجود كومةٍ كبيرةٍ من المحار على متن سفينة الغوص، لا تسمح للبحارة

بحرية الحركة، ويشترط عند أداء البحارة لأغاني (بريخة على صدره) أن تكون الرياح ساكنةً؛ لكي لا يسقط البحارة في البحر .

- **بريخة دوّاري :**

تؤدى هذه الأغاني عندما تكون كمية المحار الموجود على سطح السفينة كبيرة، لكنه يسمح للبحارة بسحب حبل المرساة (الخراب) بشكلٍ دائريٍ حول أطراف السفينة .

- **بريخة جلاسي :**

يؤدي البحارة هذه الأغاني عندما يكون البحر هائجاً لا يسمح لهم بالوقوف خشية السقوط، الذي قد يحدث بسبب حركة السفينة الناجمة عن حركة الأمواج المتلاطمة، ولذلك تجدهم يجلسون في صفين متقابلين على طول السفينة لسحب حبل المرساة (الخراب) ويؤدون أغاني (بريخة جلاسي) .

٧ – أغاني الدوّاري والهولو

وكان البحارة يؤدون هذه الأغاني عند رفع الشراع، وفي الحالات التالية :

- أثناء رفع الشراع الكبير .
- أثناء رفع الشراع المتوسط الذي كان يسمى بلغة أهل البحر " الجيب " .
- أثناء طيّ الشراع الكبير .
- أثناء طيّ الشراع المتوسط .
- أثناء جرّ السفينة براً، أو بحراً (اليرار) .
- أثناء تجديف السفينة بحراً (ميداف) .

أغاني البر واليابسة

(الفجري)

أما الأغاني التي كان البحارة يؤدونها وينشدونها بعد نهاية موسم الغوص الكبير في مجالسهم على اليابسة، فكانت تسمى (الفجري) أو أغاني الترفيه والتسلية .

وتختلف أغاني (الفجري) عن أغاني البحر؛ لأنها :

- تؤدى على اليابسة في المجالس، وليس في البحر على متن السفن .

صورة ملونة رقم / ٣٨ / البيوت والأحياء القديمة



- تؤدى بعد نهاية العمل في موسم الغوص الكبير .
- تؤدى خلال فصل الشتاء، وليس خلال فصل الصيف.
- تؤدى للترفيه، وليس للتحفيز .
- تؤدى لقتل الملل في الوقت الضائع بين موسمي الغوص.
- أهداف ومضمون هذه الأغاني الترفيه والتسلية .

أقسام ومقاطع الفجري

تنقسم أغاني الفجري إلى خمسة أقسام رئيسة :

١ — الجرحان : وهو المقطع الأول، أو القسم الأول من الفجري، وهو عبارة عن موالٍ حزينٍ يؤديه النهام منفرداً .

٢ — التريلة : المقطع الذي يلي مقطع الجرحان مباشرةً، وتؤدي المجموعة لحنه الرئيس بعد أن ينتهي النهام من مواله، وقبل أن تبدأ الآلات الموسيقية العزف .

٣ – غناء المجموعة بمرافقة الآلات الموسيقية .

٤ – مواصلة النهام غناء الزهيرات " أغاني العتاب والغزل "

٥ – القفلة، أو الخاتمة .

الآلات الموسيقية المصاحبة لأداء الأغاني

لما كانت أغاني البحر هي أغاني العمل الشاق، التي تؤدى تحت أشعة الشمس الحارقة، على متن السفينة التي تغص بالبحارة، ولما كانت أغاني الفجري هي أغاني التسلية والترفيه، التي تؤدى في فصل الشتاء البارد، داخل المجالس الرحبة الواسعة، فإنه من البدهي أن تكون الآلات الموسيقية المصاحبة لهذين النوعين من الأغاني متباينةً في النوع والعدد، وإنه من البدهي أيضاً أن يكون تصفيق الأكف هو الإيقاع الأهم في هذين النوعين من الأغاني، وعلى هذا الأساس فعدد الآلات الموسيقية المصاحبة لأغاني فن (الفجري) أكثر من عدد الآلات الموسيقية المصاحبة لأغاني العمل في البحر على

متن سفينة الغوص، كما أن نوعيتها تختلف أيضاً، فأغاني الفجري تؤدى بمصاحبة آلات موسيقى الطبل، والمراوس، والجحلة، والطوس، إضافةً إلى إيقاع تصفيق الأكف، بينما تؤدى أغاني البحر بمصاحبة آلات موسيقى الطار، والطبل، والطوس، وإيقاع تصفيق الأكف، وقد جرت العادة ألا يجتمع الطار مع المراوس والجحلة، فإما الطار، أو المراوس والجحلة .

وهنا علينا ألا ننسى أن هنالك أغانٍ خاصةٍ بالصحراء، والترحال فوق رمالها وكثبانها، وكما هو النهام مطرب البحارة في البحر على متن سفينة الغوص، فالحادي هو مطرب البدو الرحل فوق رمال وكثبان الصحراء، لكن أغاني البحر تختلف عن أغاني الصحراء من حيث أهدافها، وأدوارها، وكما سبق وأسلفنا، فإن لكل مرحلةٍ من مراحل رحلة الغوص أغانيها الخاصة الهادفة إلى تحفيز البحارة، وصهرهم في روح عمل الفريق الواحد، وتخفيف عناء ومشقة رحلة الغوص التي لا تطاق ولا تحتمل .

ولأن البحر كان نافذة الولوج إلى أرجاء العالم، تمازجت ثقافات البحارة، وتداخلت، وانصهرت في بعض الحالات، كما في حالة فنون الغناء، ولذلك نجد أن فنون أغاني البحر في منطقة الخليج العربي قد اكتسبت العديد من ألوان فنون الشعوب والأمم الأخرى التي احتكت بها، وخاصةً فنون الهند وأفريقيا، فنجد المقامات الموسيقية الهندية كمقام السنكي قد انصهر بالإيقاعات الإفريقية " الطنبور الكيني " ليعطينا الأغاني البحرية التي تؤدى بهمهمةٍ صوفيةٍ لا ألذ منها ولا أحلى، تتداخل فيها إيقاعات تصفيق الأكف، مع إيقاعات تلاطم الأمواج، مع إيقاعات نبضات قلوب البحارة المؤمنين، الصابرين، المتضامنين المتكافلين في السراء والضراء .

مقاطع من قصائد أغاني البحر

قبل أن تهب رياح السابعة في الثامن والعشرين من سبتمبر / أيلول حيث يتساوى الليل بالنهار[١٤٥]، يبدأ البحارة بالاستعداد النفسي للعودة إلى الأهل والأحبة والديار بعد طول فراقٍ، وغيابٍ، وعذابٍ، وشقاءٍ، وعندما تحين ساعة الصفر، تتجمع سفن الغوص " السنيار " حول سفينة قائد السنيار " السردال " الذي يسمى أيضاً أمير الغوص، الذي كان يعين عادةً بأمر من حاكم الإمارة، والذي يقوم بإطلاق إشارةٍ متفقٍ ومتعارفٍ عليها، كالتلويح بالعلم، أو رفع الراية على الصاري، أو رفع الأشرعة، أو إطلاق طلقة بندقية، والتي كانت تعني الإعلان عن انتهاء موسم الغوص، والأمر بالعودة إلى الأهل والديار، والتي كانت تعني بلغة أهل البحر في ذلك الوقت " القُفّال " .

---

١٤٥ – كما سبق وقلنا آنفاً فإن هذا الموعد كان يعتبر موعداً افتراضياً اتفق أهل البحر في منطقة الخليج العربي عليه؛ لأنهم اتفقوا أيضاً على أن يكون موعد بدء موسم غوص الردة بتاريخ ١ / ١٠ ، لكن هذه المواعيد ليست مواعيد مطلقة، إذ يحق للنوخذة أن يعلن القفال قبل، أو بعد ٢٨ / ٩ .

وما إن يلمح، أو يسمع النواخذة والبحارة أمر السردال بالإعلان عن القفّال، حتى يتوجهوا بسفنهم، وقلوبهم، وعيونهم نحو الأهل والديار، بينما حناجرهم تردد أجمل وأروع الأشعار التي تعبر عن الشوق والحنين، في ألحانٍ شجية لا أحلى منها ولا أرق، إيقاعاتها نبضات الأفئدة، وتصفيق الأكف المتعبة المنهكة، ونغماتها عذبةٌ رغم التعب، حنونةٌ رغم الشقاء.

وفي ذات الوقت الذي تتوجه فيه سفن الغوص بأناشيدها المشتاقة نحو الأهل والديار، تنطلق سفن الأهل من الديار إلى عرض البحر للترحيب بالأحبة العائدين، وعلى متن سفن العائدين والمرحبين في آنٍ معاً، تتعالى نغمات أهازيج وأغاني البحارة والرجال الذين يرقصون فرحاً على ألواح خشب السفن، لتضيف إيقاعات أقدامهم نكهةً خاصةً إلى إيقاعات قلوبهم، وأكفهم المتداخلة مع إيقاعات تلاطم الأمواج على جانبي السفينة التي لا تقل شوقاً إلى الديار عن بحارها، والتي

تتمايل طرباً ونشوةً وسعادةً بالعودة الميمونة بأمان الله وسلامته .

وعندما تلتقي في عرض البحر سفن العائدين المظفرين بعد الشقاء والتعب، بسفن المرحبين بتلك العودة الميمونة المنتظرة بفارغ الصبر، تكون النسوة على الشاطئ قد أطلقن زغاريدهن التي تعانق السماء، فترسل غيومها لتظلّل أزاهير الحب والوفاء .

ولم تكن هذه الصورة الشاعرية الرائعة تختلف في مضموها بين شاطئٍ وآخر على امتداد الخليج العربي، وإن اختلفت بعض ألواها شكلاً لا مضموناً، من خلال الاختلاف في كلمةٍ ما، أو مفردةٍ ما، ويظل المضمون النبيل السامي هو ذاته في أبوظبي، مثلما هو في دبي، ورأس الخيمة، وقطر، والبحرين، والكويت، فالغوص، وزمن الغوص، كان حقاً وفعلاً زمن الخليج البهيج رغم شقائه وآلامه ومرارته؛ لأنه كان زمن الحب، والمودة، والنقاء، والتكافل، والتضامن، والقيم النبيلة السامية، ولأنه كان زمن الوحدة العربية

الحقيقية التي ولدت على أرض الواقع بالفطرة والواقع والقيم، لا بالقرارات والشعارات والعَلَم .

وفي الأبيات الشعرية الشعبية التالية نقدم صورةً مستنسخةً، موجزةً عن تلك الصورة النبيلة الصادقة :

أم الحنايا يدفوها على السيف

كلهم اصبيان تجر الماديف

يا رايحين الغوص باسير وياكم

لي جروا الميداف باجر وياكم

لاقعد على الفنة واسمع حكاياكم

يا نوخذاهم لا تصلب عليهم

ترى البحر بارد غصب عليهم

ترى حبال الغوص قطع ايديهم

وفي كتابه " تاريخ الغوص على اللؤلؤ " يذكر المؤرخ الكويتي سيف مرزوق الشملان أن بعض الشعراء العاميين الذين كانوا يعملون كبحارةٍ في مواسم الغوص، كتبوا العديد من القصائد في القفال، والتي عبروا فيها عن مشاعرهم الجيّاشة للقاء الأهل والأحبة والديار[١٤٦]، وفي تلك القصائد نتلمس بعض الصور الطريفة، حيث تمنى أحد هؤلاء الشعراء أن تهب العواصف، وأن يثور البحر؛ لكي يعود البحارة باكراً إلى الديار، أو لكي يعودوا إلى اليابسة، ويتوقفوا عن العمل ولو ليومين اثنين فقط؛ لأن الغوص شقاء الحياة، وحياة الشقاء، كما يورد حكايةً طريفةً عن حادثةٍ وقعت لأحد البحارة خلال رحلة غوص لصيد اللؤلؤ، حيث أخذ النهام ينهم زهيريات، ومع طول زمن ومسافة التجديف أخذت الحماسة تدب في مشاعر البحارة الذين تجاوبوا مع غناء النهام، وكانت تلك الحماسة أعلى لدى أحد البحارة، ولشدة حماسته وطربه قفز إلى الأعلى، ثم هوى بجسده على سطح السفينة، وضربه بقدمه اليمنى بقوةٍ بالغةٍ، فكسر أحد

---

[١٤٦] - سيف مرزوق الشملان – المرجع السابق .

الألواح الخشبية دون أن يشعر، فاخترقت قدمه لوح الخشب المكسور، وعندما سحبها بقوةٍ وسرعةٍ ليعيد الكرة، تمزقت قدمه، وراحت تنزف الدماء، والبحار في نشوته وحماسته في العمل لا يشعر بما حدث له، ولما شاهد البحارة دماءه على سطح السفينة نبهوه، ومنعوه من متابعة العمل، وحالوا بينه وبين نشوته وحماسته المفرطة .

ومن تلك النهمات التي كانت تثير مشاعر البحارة، فتزيدهم نشوةً وحماساً، اخترنا هذا الزهيري :

من حين خطك اتى نار بدليلي لهب

حرمت طيب الهوا بعدك خليلي لهب

من عقب شخصك ترى كل من مثالك لهب

دونك دليلي عجز عن الوداد ومال

هايم وغصني ذبل بعدك سريع ومال

بالروح لو ينشري وصلك شريت ومال

والروح لمبشري خلي بشوقك لهب

وللشاعر سالم بن تويم قصيدة طويلة يعبر فيها عن هذه الحالة، ويصف فيها شوقه للعودة إلى الأهل والأحبة والديار عندما يحين موعد القفال، ويقول في أبياتها :

من عقب مشي مع عرب زين الاوصاف

اليوم صارت شفاقة شوفة السيف

هني من شرف على كل مشراف

شرف وغنى في طوال المشاريف

والعصر سير بم مملوح الاوصاف

الصاحب اللي علمنا فيه بالصيف

يا وي والله يا فتى مصياف

عشب وغدير وقرب زين التواصيف

واليوم نسكن فنه ومجداف

الله لا يجزي صفوف المجاديف

ومن القصائد التي كان يرددها البحارة في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ، والتي كانت تصور شقاء الغوص والعمل في البحر، هذه القصيدة التي يرد فيها ذكر للغواص والسيب :

الغيص يشكي الضيم من بحر الاهوال

والسيب واقف ودم مثل النصيبه

ويركض على المجذاف لي صاح يا مال

ونوم الملا بالليل ما نهتني به

ورحنا السفر والموج يانه جبال

في غبة منها المنايا قريبة

لا حولنا ديره ولا حولنا جال

ولا من ذرا بالفيق بنلتحي به

الاسواد الليل من دونهم حال

وبحر كسيف دوم تطبخ غبيبه

وجن السفينة حددنا صابها هبال

تصعد وتنزل كل بحر تعدي به

لكن القفال الذي كان يعتبر عيداً حقيقياً في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ، بل كان يعتبر عيد الأعياد، وأفضل الأعياد على الإطلاق، لم يكن كله أغنية فرحٍ وسعادةٍ، ولم يكن كله عودةً ميمونةً مظفرةً إلى الأهل والديار، فكم من أسرٍ نكبت في ذلك اليوم عندما فوجئت بالنوخذة يسلمها حصيرة معيلها إعلاناً بوفاته غرقاً، أو مرضاً، أو افتراساً، وكم من نواخذةٍ، وطواشين، وبحارةٍ خسروا في موسم الغوص، وكم من بحارةٍ وغواصين، أو سيب عادوا إلى أسرهم عجزةً بعد إصابتهم بالشلل، أو الكسر، أو البتر، لكن تكافل الناس وتضامنهم في السراء والضراء في ذلك الزمن البهيج، هو الذي كان يحول بين المصيبة وآثارها المدمرة، فتجد الجميع

يقفون بكامل طاقاتهم لمساعدة المحتاج والمنكوب، حتى يتجاوز عثرته، ويتخطى كبوته، ويتابع مسيرة حياته كما ينبغي، وكأن المصيبة لم تحدث إلا في الخيال، وكم من أسرةٍ انتقلت من حالٍ إلى حالٍ أفضل بعد وقوعها في عثرةٍ أو نكبةٍ ألمت بها بسبب تكافل وتضامن المجتمع معها .

وحول تلك المآسي يقول الشاعر عبد الله بن غصاب :

ونة عجوز عندها جاهلين

للغوص تركبهم عجوز فقيره

تاخذ عليهم يوم هي غايبيني

وترجى فضايلهم تجيها كثيره

واشمام تلوهم على بزتيني

وهدوا الأيادي روسهم مستديره

وسيوهم غمرية فاتريني

صاحوا وصاح النوخذة مع وزيره

ينخا هل العادات والمستحيني

قالوا زرف عنهم بسودا غزيره

وعقب البطا يوم جو منكفيني

من له عشير جاك يبغى عشيره

قامت تنشد من لفا نادريني

والكل منهم جا بداله حصيره

أغاني القُفّـال .. و النهمـة

لأن القُفّال كان يعني العودة إلى الأهل والأحبة والديار بعد طول شقاءٍ وعذابٍ وغياب، فإنه يتميز بطقوسه، وأغانيه، ونهماته الصادقة المعبرة عن الشوق والحنين، وتصور لنا الدكتورة حصة السيد زيد الرفاعي في كتابها أغاني البحر تلك الطقوس، فتقول :

كان الأهالي يخرجون عن بكرة أبيهم إلى ساحل البحر في موعد القفال، وكانت النساء تقمن بأداء بعض الطقوس الطريفة التي كان يعتقد أنها تعجل بعودة سفن قوافل الغوص التي كانت تسمى " سِنْيارْ " — عدد سفن السنيار الواحد يتراوح بين / ٥٠ / إلى / ١٠٠ / سفينة غوص — فيأخذن قطة يغطسنها في البحر سبع مرات، ويقمن بتسخين قضيبٍ من الحديد يكوين به البحر (ليتوب ؟؟!!) ويعيد لهن رجالهن البحارة سالمين غانمين، ويصنعن (حُلُولاً ؟؟!!) أي دواء سائلاً مليناً ومسهلاً مركباً من الأدوية الشعبية، ثم

يقمن بسكبه في البحر اعتقاداً منهن أنه يعجل بعودة البحارة، وفي غضون القيام بهذه الطقوس الطريفة، كانت النسوة تغني بأصواتها الشجية أنشودة القُفّال الرائعة (توب يا بحر) بتوزيعٍ رائعٍ أيضاً يتناغم ويتماهى بين المغنية والمجموعة :

- المغنية : توب .. توب .
- المجموعة : يا بحر .
- المغنية : أربعه والخامس دخل .. توب .. توب.
- المجموعة : يا بحر .
- المغنية : جيبْهُم .
- المجموعة : يا بحر .
- المغنية : يا اللّومي .
- المجموعة : هات بن رومي .
- المغنية : يا القَاز .
- المجموعة : هات بو قمّاز .
- المغنية : يا الدانه .
- المجموعة : جُرِّي شملان من ذانه .

- المغنية : يا الجوهره .
- المجموعة : هاتي حسين من ظْهَرَهْ .
- المغنية : يا النباته .
- المجموعة : جُرِّي حسين من عَبَاته .
- المغنية : يا الرحى .
- المجموعة : هاتي اللّي يْكَيِّل منْ ضِحَى .
- المغنية : يا التمره .
- المجموعة : لا تكَطعين الخُمرَه .
- المغنية : جيبْهُمْ .
- المجموعة : خاطفين بْجيبْهُمْ .

وكان المستقبلون عند الشاطئ يهلّلون عند عودة سفن الغوص إلى الديار والأهل، وهم يلهجون بأغاني تعبر عن فرحتهم الغامرة، في الوقت الذي تتغنى فيه النسوة :

المغنية : يا خوي محلى السفن لي لزَّت السِيفْ .
المجموعة : صَاجَّه (أي صادقة، أو صدقت) .
المغنية : كلهم صبيان تجر المجاديف .

المجموعة : صَاجَّه .

المغنية : يا نواخذهم لا تصلُّبْ عليهم .

المجموعة : صاجّة .

المغنية : ترى حبال الغوص كَصَّت يديهم .

المجموعة : صاجّة .

المغنية : يا ليتني دهينه وادهن يديهم .

المجموعة : صاجّة .

المغنية : يا الصاجّه ويا الصاجّه ما صدكتي .

المجموعة : صاجَّه . [١٤٧]

أما النهام الذي على متن السفينة، والذي هو مطرب بحارة السفينة، مثلما هو الحادي في قوافل البدو الرحَّل في الصحراء، فكان ينشَد في طريق العودة إلى الأهل والديار أشعار تلك الأغاني الصادقة المعبرة التي يردد البحارة بعده مقطعاً منها يسمى " **اللازمة** " .

[١٤٧] – د . حصة السيد زيد الرفاعي – أغاني البحر .

وبصورةٍ عامةٍ كان النهام ينشد نوعين من القصائد :

الزهيري والمواليا، أو اليامال، وقد سبق لنا أن ذكرنا النهمات الخاصة بكل مرحلةٍ من مراحل العمل على متن سفينة الغوص، بدءاً من دفع السفينة إلى البحر قبيل " الركبة، أو الدشة " ولغاية اليوم الأخير من موسم الغوص " القفال " .

الفصل الثامن

الغوص والبحر

في

الألغاز

والأمثال الشعبية

موسوعة الغوص واللؤلؤ — المجلد الثاني

أولاً – أمثال الغوص والبحر :

نستطيع القول إن الأمثال الشعبية النابعة من أعماق آمال وآلام مهنة الغوص، وأمواج بحر الخليج العربي تعتبر من أدق الأمثال تعبيراً عن الواقع، وعلى سبيل المثال نسوق بدايةً هذا المثل الشعبي؛ للدلالة على دقة ما نقول :

" البِلْدْ سبعة .. والبحر سبعة "

والمقصود بهذا المثل الشعبي أنه إذا كان طول حبل البِلْدْ الذي كان يستخدم لقياس عمق البحر سبع باعات، وكان عمق البحر الذي يقاس بذلك البِلْدْ سبع باعات أيضاً، فإن طول حبل البلد يكفي لقياس عمق البحر بالتمام والكمال، دون زيادةٍ أو نقصان، ويضرب هذا المثل الشعبي عندما يتمكن مبلغ المال المرصود لعملٍ ما من سدِّ الحاجة المطلوبة دون زيادةٍ أو نقصان .

كما كانت الأمثال الشعبية المستوحاة من مجتمع الغوص والبحر في منطقة الخليج العربي من أجمل وأطرف الأمثال الشعبية العربية، وذلك بسبب قسوة المعاناة، وصدق المشاعر، وجو المحبة والوئام الذي كان سائداً في مجتمع الغوص بحراً وبراً، إذ كان يكفي للنوخذة أو البحار العطشان أن يلوّح بمنديله الأسود ليتسابق الرجال إليه حاملين له ماء الشرب، كما كان يكفي للسفينة التي تعاني من مشكلةٍ ما أن ترفع الراية السوداء لتسارع إليها جميع السفن لنجدتها .

ولأننا لا نستطيع ذكر جميع الأمثال الشعبية التي كانت سائدةً في زمن الغوص؛ لأن الأمر يحتاج إلى كتابٍ خاص بها[١٤٨]، فسوف نختار بعض الأمثلة التي بوسعها أن تعبر عن تلك الأمثال الحكيمة الطريفة :

---

[١٤٨] – سوف نحاول بالتعاون مع بعض الباحثين في مجال التراث العربي الخليجي جمع وإصدار هذه الأمثال، إلى جانب كل ما يتعلق بحياة مجتمع الخليج العربي في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ بإذن الله تعالى .

المثال الأول :

" لا يغرك حمر حيابه ترى ليحانه شريش "

ولأن معظم أبناء هذا الجيل في منطقة الخليج العربي، وفي كافة أرجاء الوطن العربي، لا يسعهم فهم مغزى هذا المثل الشعبي الزاخر بالحكمة والطرافة، فسوف نحاول أن نشرح مغزاه بشكلٍ مبسط .

لا يغرك : لا يغشك، ولا يخدعك .

حمر : من الأحمر، أي اللون الأحمر .

حيابه : الحياب هو جسد السفينة الذي يكون أحمر اللون، لامعاً بعد دهنه بدهان " الصلّ " .

الليحان : ألواح الخشب التي تبنى السفينة بواسطتها .

الشريش : أخشابٌ محليةٌ ضعيفةٌ رخيصة القيمة؛ لأنها لا تقوى على مقاومة أمواج وأعاصير البحر كأخشاب الساج القوية الغالية الثمن، لكن أخشاب " السّاج " القوية الغالية تصبح كأخشاب " الشريش " الضعيفة الرخيصة بعد دهنها

بدهان " الصلّ " الأحمر اللون، لكن هذا التشابه ينحصر في الشكل فقط، دون المضمون .

وعلى هذا الأساس، فالمثل يقول في مغزاه وحكمته :

إياك أن تستسلم لغش وخداع المظهر الخارجي الجميل لسفينة الشريش، فخلف هذا الدهان الأحمر اللامع الجميل ليحان الشريش الهزيل الضعيف الرخيص .

ومع أن هذا المثل كان يخص جودة السفن، إلا أنه صار يتسع لميادين مختلفة في الحياة ينطبق عليها ذات المضمون في المغزى، بدءاً من الأشياء والأحياء، وصولاً إلى البشر، وعلى سبيل المثال، إذا التقى شخص ما بصديقٍ له، لم يلتقيه منذ زمنٍ طويلٍ، ووجده شكلاً على خير ما يرام، وفي أحسن حال، في الوقت الذي يكون فيه ذلك الصديق مريضاً، أو مديناً، أو يعاني من مشكلةٍ ما، ولأنه لا يعلم حقيقة الأمر، امتدح حالة صديقه، وأثنى عليها وفق ما رآه شكلاً، عندئذٍ يتبسم ذلك الصديق، ويقول لصاحبه الذي يثني على الشكل الظاهر :

" لا يغرك حمر حيابه .. ترى ليحانه شريش "

المثال الثاني :

" ما يسيب عليك إلا غيص "

ويقال هذا المثل في حال الاعتماد على شخصٍ خبيرٍ ذي علمٍ ودرايةٍ بأمرٍ ما للقيام عليه، والإشراف على تنفيذه على أكمل وجه .

المثل الثالث :

" محمل ما فيه سْكَانْ "

ويقال هذا المثل في حال تعثر تنفيذ أمرٍ ما، بسبب ضعف إمكانات المسؤول القائم على تنفيذه، أو بسبب قلة خبرته ودرايته العلمية والعملية .

المثل الرابع :

" مركب طبعان ويتوح من يزواه "

ويقال هذا المثل للإنسان الذي وقع في ورطةٍ ما، ويعمل على توريط الآخرين معه دون مبرر .

المثل الخامس :

" من الديرة إلى البنديرة "

ويقال هذا المثل للتعبير عن استهجان البشر لحالة الترف المفاجئة، أو الشهرة المفاجئة التي تصيب إنساناً ما، ويقابل هذا المثل في بلاد الشام مثل يقول :

" من القفة لداها "

المثل السادس :

" موب كل من يه وخاط سريحة "

وهذا المثل يعني أن القيام بأي عملٍ كان في الحياة، يتطلب مهارةً وتخصصاً، حتى لو كان ذلك العمل في غاية البساطة والسهولة .

المثل السابع :

" نوخذاوين طبعوا محمل "

صار مفهوماً لدينا أن النوخذة يعني قبطان، أو ربان، أو قائد السفينة، وعلى هذا الأساس فالمثل يعني أن السفينة لا تقاد إلا بربانٍ واحدٍ فقط، وبربانين اثنين تغرق، ويقابل هذا المثل في بلاد الشام مثل يقول :

" إذا كتروا الطباخين احترقت الطبخة "

المثل الثامن :

" نوخذة دوك بيزاتك .. وين باشوف الزود باخاير "

ويعني هذا المثل أن الإنسان ليس مقيداً في حياته العملية؛ لأنه حر في اختيار مجال عمله ومهنته .

المثل التاسع :

" طبعان طبعان دوس على تريجه "

طبعان : غارق .

التريج : حافة السفينة .

والمثل يعني أنه إذا كانت السفينة ستغرق حتماً دون أدنى شك، فالأفضل أن تغرق بسرعة .

المثل العاشر :

" دانه في اخربه "

و" الدانة " كما هو معروف تعني اللؤلؤة الجميلة الممتازة النادرة، والـ " اخربه " تعني المحارة السيئة الخربة، وهذا المثل

يقال للفتاة الذكية الجميلة التي تنحدر من أسرةٍ متخلفةٍ، فقيرةٍ، لا علاقة لها بالعلم والثقافة والأدب .

المثل الحادي عشر :

" السمكة الخايسة تخيس السمك كله "

ومعنى هذا المثل أن الإنسان السيء يسيء إلى كل من حوله من الأصدقاء، مثلما تسيء السمكة المتعفنة إلى الأسماك الأخرى المحيطة بها .

المثل الثاني عشر :

" الشيص في القبة حلو "

وهذا المثل يقال في الأشياء الرخيصة التافهة، التي تصبح فجأةً غالية القيمة والثمن، عندما تتحول من سلعةٍ عاديةٍ، إلى سلعةٍ

نادرة مرغوبٍ فيها؛ لأنه لم يتبق في المكان المحيط بها ما يماثلها، أو يشابهها .

المثل الثالث عشر :

" إعمل خير وكطه بحر "

وهذا المثل يعني أن من يفعل الخير يجب أن يفعله لوجه الله سبحانه وتعالى، وبدافع حب فعل الخير، لا من أجل المباهاة بين الناس، أو من أجل مكاسب منتظرة، أو مرجوة .

المثل الرابع عشر :

" قيس قبل ما تغوص "

وهذا المثل يعني أنه يتوجب على الإنسان أن يحسن حسابات العمل الذي سوف يقدم عليه؛ لكي لا يقع في المحظور .

المثل الخامس عشر :

" كل هواء وله شراع "

أي أن لكل مشكلةٍ حل يناسبها .

المثل السادس عشر :

" لو تكدّ كدّ الوحوش غير رزقك ما تحوش "

وهذا المثل شائع في أرض الكنانة أيضاً، وهو يجسد الدعوة المؤمنة الحكيمة لطلب الرزق في حدود طاقة الإنسان وإمكاناته، دون التكالب على الدنيا وما فيها؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد قسَّم الأرزاق بين البشر .

المثل السابع عشر :

" قلب سمكة "

يقال هذا المثل للشخص الجبان، ضعيف الإرادة .

المثل الثامن عشر :

" حصباه فيها دقة "

الحصباة هي اللؤلؤة الممتازة، والدقة هي العيب الذي يصيب حبة اللؤلؤ، وعلى هذا الأساس، فإن هذا المثل يعني أن خصلةً سيئةً في رجلٍ جيدٍ مرموقٍ، تحطّ من قدره وشأنه بين الناس في المجتمع .

المثل التاسع عشر :

" طبعان ويهوس على التريكة "

ويتطابق معنى هذا المثل مع معنى المثلين الشعبيين :

" زاد الطين بلّة " و " أراد أن يكحلها عماها "

ويضرب هذا المثل في الشخص الذي يزيد الأمور سوءاً بتصرفاته الحمقاء .

المثل العشرون :

" يوم يخيس الملح بايش نملّح "

ويضرب هذا المثل في حال انحراف الشخص المؤتمن على أمرٍ ما، أو مسؤوليةً ما، أو على المال العام .

وبسبب أهمية الغوص والبحر في حياة الناس في الماضي، وإلى جانب الأمثال الشعبية، كانت الأسماء والمصطلحات الخاصة بالغوص والبحر تستعار لتركيب وصف الأشخاص، وعلى سبيل المثال :
إذا أراد الناس وصف شخصٍ ما أنه شرسٌ، قويٌّ، خبيث، فإنهم يصفونه بقولهم :
" **يريور** " أي سمكة قرش .

وإذا أرادوا أن يصفوا شخصاً ما بالغباء والبلادة والكسل، فإنهم يصفونه بقولهم :

" **هامور** " لأن سمكة الهامور، وبسبب بلادتها وكسلها، يمكن اصطيادها بيسرٍ وسهولةٍ، رغم حجمها الكبير الضخم.

كما أن صفة الهامور كانت تستخدم لوصف الأغنياء، وكبار التجار .

بينما تستخدم صفة، أو إسم " **عفاطي** " التي تعني صغار السمك على صغار التجار .

وصفة " **شعري** " على الرجل الذي يصعب التعامل معه، والذي يقال عنه في اللغة العربية الفصحى : " زئبقي " وهنا تستخدم صفة " شعري " لأن سمك الشعري يتملص ويراوغ، ويتعب صياده كثيراً .

وإذا أرادوا وصف رجلٍ على أنه طويل جداً كانوا يقولون عنه :

" **طويلٌ كالدقل** " والدقل هو صاري السفينة .

وإذا أرادوا أن يقولوا إن شخصاً ما قد أفلس، فإنهم يقولون:

" **إنكسر بيصه** " والبيص هو عمود السفينة الفقري الذي في أسفل السفينة، والذي ترتبط به جميع ألواح وأضلاع السفينة

المكونة لبناء جسدها، والذي إذا كُسر، تفتت ألواح السفينة كلها، وتباعدت .

ثانياً – الألغاز الشعبية :

وفي هذا الصدد نود أن نشير إلى أن الألغاز الشعبية في زمن الغوص لصيد اللؤلؤ كانت كثيرة، لكنها كانت تصاحب جلسات سمر أغاني " الفجري " التي سبق لنا أن تحدثنا عنها، والتي قلنا إنها كانت تتم على اليابسة بعد " القفال " داخل المجالس، أي في فصل الشتاء والبرد، ولا تصاحب رحلات الغوص الشاقة المريرة التي كانت تتميز بالعمل المرهق الدؤوب، وهذه الألغاز الشعبية التي تبلغ المئات، ذكر بعضها المؤرخ التراثي المعروف الدكتور عبد الله الطابور في كتابه : " أشهر الألغاز الشعبية في الإمارات " ومع أن هذه الألغاز قد صارت معروفةً ومكشوفةً، وتكاد تخلو من الإثارة لكثرة تداولها، إلا أننا سنستعرض بعضها، وخاصة المتعلق منها بالبحر، والبحارة، والغوص، والسفينة؛ لأن تلك الألغاز تظل تحتضن عبق التاريخ والتراث وماضي الآباء والأجداد، مثلما تحتضن المتعة في الحنين إلى تلك الأيام الخالدة، وقبل أن

نستعرض تلك الألغاز، نود أن نشير إلى أنها تلفظ باللهجة العامية المحلية الدارجة، وليس باللغة العربية الفصحى [149]

- الألغاز الشعبية القديمة :

١ – لغز الشاي :

" أسود في السوق أحمر في البيت "

٢ – لغز الشمس والقمر :

" اثنين لا صلوا ولا صاموا، لا هم شفاعة ولو بالدين قاموا "

٣ – لغز الصومال :

" أوله ألف و لام، ووسطه أركان الإسلام، وآخره ألف و لام "

٤ – لغز السحاب :

" أسود وأبيض والأسماء واحده، و لا يستطيع الناس له مساس "

٥ – لغز الطار " الإيقاع الشعبي " :

" إن حطيته طار، إن هدّيته طار، إن عقيته طار، إن وديته طار "

٦ – لغز الهواء :

" الله خلق شي بدون صوره ويعم الدنيا كلها "

---

١٤٩ – د . عبد الله الطابور – أشهر الألغاز الشعبية في الإمارات .

٧ – لغز شبك الصيد " اللّيخ " :

" بيت بنيناه .. يستر الله على بنيانه، تنعد نجوم السما .. ولا تنعد بيبانه "

٨ – لغز شراع السفينة :

" بياضه بياض القطن، وان سحبناه انتفخ بطنه "

٩ – لغز النجوم :

" تروني كبر البلحه .. وانا كبر الناقه اللقحه "

١٠ – لغز النار :

" تاكل من غير فم وبطن .. إذا أطعمتها عاشت .. وإذا سقيتها ماتت "

١١ – لغز لهيب النار :

" جملنا بالأرض بارك، وذيله بالسما يعارك "

١٢ – لغز السفينة :

" جاريه تجري كجري السحايب، في بطنها نسل، وما مسها بعل، إذا شربت ماتت ومات نسلها، وإذا عطشت دامت ودام لها النسل "

١٣ - لغز السفينة :

" حامل ومحمول .. نصفه ناشف .. ونصفه مبلول "

١٤ - لغز الرياح :

" حبه حبه خفيفه، في الجو طايره مثل الريشه، وتتمايل يمنى وشمال، وتحط على أميال "

١٥ - لغز السلحفاة " الحمسه " :

" حجر حجرجر حجاره لا .. رقبه طويله زرافه لا .. تبيض تفقس دجاجه لا "

١٦ - لغز الشمس والقمر والنجوم :

" خبز الخمير، وقالب الجبن، وسح النثير "

١٧ - لغز البحر :

" دومه يصيح ليل نهار "

١٨ - لغز البحر :

" شو اللي إيشل (يشيل) الحديد، ويعيز (يعجز) عن حمل المسمار "

١٩ - لغز الضوء :

" شو الشي اللي يخرج من الزجاج دون أن يكسره "

٢٠ - لغز القمر :

" سحة بسر في كل بلاد منتشر "

٢١ - لغز البرق والرعد :

" شو الشي اللي نشوفه ولا نسمعه، ونسمعه ولا نشوفه "

٢٢ - لغز دلة القهوة :

" شو الفتاة اللي حسين شمها لكن ما تزهى بلا ولدالها "

٢٣ - لغز السراب :

" شو هو الشي اللي تشوفه ولا تلحقه "

٢٤ - لغز القمر :

" شي كلما زاد نقص "

٢٥ - لغز اللؤلؤ :

" شي غالي صعب المنالي .. تلقاه في البحر لونه يلالي "

٢٦ - لغز النجوم :

" شو الشي في الليل يصحى وفي النهار يختفي "

٢٧ - لغز السماء :

" صحن أزرق، في النهار خالي، وفي الليل متروس "

٢٨ – لغز الطبل :

" صوته عالي وبطنه خالي "

٢٩ – لغز المحاره :

" صندوق صنيديق، قفله من الله ومفتاحه عندي "

٣٠ – لغز الشمس :

" طاسه على طاسه – في البحر غطاسه "

٣١ – لغز الشمس :

" طاسه حل تغط في البحر ما تبتل "

٣٢ – لغز محارة اللؤلؤ :

" فكّر وافتكر .. البنت حامل والأم بكر "

٣٣ – لغز القرقور :

" كب ومنفوخ .. وبالبحر مطروح .. وكل يوم يقتل عشرين روح "

٣٤ – لغز البحر :

" ما هو الشي اللي يستطيع حمل قنطار .. ولا يستطيع حمل المسمار "

٣٥ - لغز السفينة :

" مندوس في البحر يدوس "

٣٦ - لغز الضوء :

" ما هو الشي الذي يدخل في الماء ولا يبتل "

٣٧ - لغز القارب :

" ماهو الشي الذي يمشي مدة طويلة، وعندما يصل ينقلب على ظهره "

٣٨ - لغز الهلال :

" ما هو الشي بعد ما يموت يصبح حي "

٣٩ - لغز مياه البحر :

" يفيد الناس في كثير من الأمور، ومنه غسيل الثياب والماعون، ويفيد النبات بعد التبخير "

٤٠ - لغز السفينة :

" المناصب ماي .. والقدر حطب .. اللحم فيه يتكلم .. يا إله العجب "

- الألغاز الشعبية الحديثة المحيرة :

ولأن هذه الألغاز الشعبية الآنفة الذكر أصبحت معروفةً ومكشوفةً لكثرة تداولها، ولكي نجدد عملية التحريض على التفكير، فسوف نعرض في هذا المجلد من هذه الموسوعة ألغازاً شعبيةً جديدةً، بأسلوبٍ معاصرٍ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الألغاز نحن من قام بإعدادها ونظمها شعراً شعبياً، وحلها بيدنا لكل من يرغب في معرفته، مع الإشارة إلى أن جميع الألغاز التالية تخص البيئة الإماراتية بشكلٍ خاصٍ، والخليجية بشكلٍ عامٍ، ولأن بدو الصحراء كانوا يشاركون أحياناً في مواسم الغوص لصيد اللؤلؤ عندما تضن الطبيعة عليهم بالرعي والماء والكلأ، فقد أدخلنا بعض الألغاز التي تتجاوز حدود البحر والغوص، لتصل إلى ما هو أبعد من تلك الحدود .

اللغز الأول :

لا تستعجل ما ني بيمّـــك　　　جدك عكّك ماتت أمك
كنت بيدّي سلاحي وزندي　　　فروخ اليوم بتجهل إسمك

اللغز الثاني :

يا ريّـــال توكّـــل بالله　　　لا تنســـاني بين المـــاضي
لا تهملني بعصر الكشخة　　　كنت افديك بأغلى ولادي

اللغز الثالث :

يوم الغازي دشّ دياره　　　دفنت غازيها بخشومه
نامت بعد غياب الغاره　　　حتى خبرنا بكل علومه

اللغز الرابع :

أسود شبه الليل الحالك　　　والشمس تزين له ردانه
يشرد يوم يشوف المالك　　　والعفه وشمه و ميزانـــه

اللغز الخامس :

شبه السرج بظهر الخيل والفارس صقر مدرب
عاشق للسكره و الويل عاشق تعذيب معذب

اللغز السادس :

يرقص يوم الصيف يضمه بعد الفجر وقبل المغرب
يحمل كتر البحر بكمّـــه حتى يسافر دلهي ويثرب

اللغز السابع :

كان الحاكم بين الناس وكنـــز البحر بصندوقه
كان الآمر مثل الراس وصكّ الدهر على عروقه

اللغز الثامن :

كيف الشمس تغير لونه وجـــه الغالي يغيـــر لونه

بشت المعرس دش دياره		ولون الغالي الهند تصونه

اللغز التاسع :

شبه العرق ببطن الناقه		يجري الدم بكل عروقه
كان محرّم عن عشاقه		صار محلل ل اللي يذوقه

اللغز العاشر :

صايم من قبل الإسلام		لكن أبـــداً ما صلى
يعشق عسكور وخيّام		و بعد النصر بيتحلى

اللغز الحادي عشر :

شبه العين تسيل وتهمل		يوم تفـــارق غالي مدلل
ترقد لما الشمس تضوي		ولما تغيب تذوب وتذبل

اللغز الثاني عشر :

وحدك تسحبني للقاع	وتتركني بقاعي غرقان
لا تحميني من اليريور	ولا تحمي مني المرجان

اللغز الثالث عشر :

ماضينا يا الغالي راح	وصرنا من آثار الأمس
يا ما أنشدنا الأشعار	زهيري واليامال وبس

اللغز الرابع عشر :

أسود فوق و أبيض تحت	وتحت الأبيض أبيض ثاني
كانوا رمز فحول الأمس	ومازالوا رمزي وعنـــواني

اللغز الخامس عشر :

كانت تولد من غير دايه	في ديرتنا، وكانت غايـــه
ماتت في ديرتنا اليـــوم	وصارت في اليابان حكايه

حقاً .. لقد كان زمن الغوص لصيد اللؤلؤ في مرحلة ما قبل اكتشاف واستثمار النفط في منطقة الخليج العربي يستحق أن نطلق عليه بكل فخرٍ واعتزازٍ إسم " حقبة اللؤلؤ " التي أرجعتني صفحات هذه الموسوعة بمجلديها إلى نقائها وشوائبها، وإلى طهارتها وقسوتها، ومع أن تلك الحقبة قد انتهت تاريخياً إلى غير رجعة، لكنها ستظل، ويجب أن تظل في عقول وقلوب وذاكرة كل العرب، وبشكلٍ خاص أبناء منطقة الخليج العربي؛ لأن معالم تلك الحقبة هي التي رسمت لأبناء الخليج العربي معالم هويتهم الإسلامية العربية الأصيلة .

تمت بعون الله

والحمد لله رب العالمين

موسوعة الغوص واللؤلؤ — المجلد الثاني

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول البشرية وهاديها ومنارتها، أفضل الخلق، وخاتم الرسل والأنبياء، سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وبعد

منذ بدايات عام ١٩٩٣ وأنا أفكر في كتابة موضوعٍ يترجم محبتي لهذا الجزء الحبيب الغالي من الوطن العربي الكبير المفدى، وما دفعني لهذا التفكير – إلى جانب المحبة – جوانب عدة، منها :

- عملي كباحث ثقافي في مركز الدراسات والوثائق بالديوان الأميري برأس الخيمة .
- اعتقادي الراسخ أن بعض من كتبوا في تاريخ الإمارات والخليج العربي – وخاصة من غير العرب – قد أساؤوا لهذا التاريخ العريق عن حسن نية، أو عن سوء نية .
- اعتقادي الراسخ أن تاريخ وتراث الإمارات والخليج العربي لم يزل منهلاً خصباً للكتابة والتأليف والإبداع .

وبعد أن تأرجحت أفكاري بين موضوعٍ وآخر، استقر بي المطاف عند البحر، لكن الصورة لم تكن قد اتضحت لي، وظلت معالمها تتأرجح بين أبطال الغوص لصيد اللؤلؤ القابع في قلب المحار الذي في قاع بحر الخليج العربي، وبين أبطال أمجاد مفاصل أحداث التاريخ التي صنعت على صفحات بحر الخليج العربي، وبين قلاعه وحصونه وأسواره أبعاد الواقع الراهن، ثم قررت أن أقلع بين الأمواج على متن سفينتيْ تاريخ اللؤلؤ، ولؤلؤ التاريخ، واخترت الغوص في صفحات وذاكرة الماضي البهيج التليد؛ لأستنطق نبض تلك الأيام، ولأدون خلجاتها التي تفاخر بها، انطلاقاً من :

- إيماني الراسخ أن اللؤلؤ وزمن الغوص لصيده قد شكل القاسم المشترك الأعظم لأهل الخليج العربي .

- إيماني الراسخ أن ذلك القاسم المشترك الأعظم قد خلق أول وحدة عربية حقيقية على أرض الواقع العربي .
- وخلق حالةً خاصة من المحبة، والتآخي، والمصالح الاقتصادية المشتركة والمتبادلة، والآمال والآلام المشتركة، التي صهرت كل أهل منطقة الخليج العربي في بوتقتها الطاهرة التي تجاوزت كل النظريات الآيديولوجية العقيمة .
- والتي بدأت تصهر بعض العرب من خارج حدود منطقة الخليج العربي، ممن استهوتهم مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ، فتسابقوا إلى الخليج العربي الموحد تحت لواء ذلك الزمن البهيج، ليدخلوه، ويتنقلوا في أحضانه الدافئة حباً، وإلفةً، ومودةً دون الحاجة إلى جوازات سفرٍ، وتأشيرات دخولٍ وخروجٍ .

وهكذا .. دونت ما أخبرتني به تلك الأيام عن الملاح العربي الجلفاري أحمد بن ماجد، ونشرت تلك الحكايات في سلسلة قصصية تاريخية للأطفال مؤلفةٍ من اثنين وخمسين جزءاً، دون أن أتوقف عن تدوين حكايات الغوص واللؤلؤ، والتي بدأتها تحديداً في أواخر عام ١٩٩٣ في جمعية ابن ماجد للفنون الشعبية والتجديف برأس الخيمة، ومن أفواه أصحاب الذاكرة الشعبية الوفية لتلك الأيام، ومع ذلك لم تكن أفكاري قد استقرت وتبلورت تماماً حول آفاق طموحي في الكتابة عن الغوص واللؤلؤ، وكنت كلما توصلت بيني وبين نفسي إلى تصورٍ معين، وقرارٍ محدد، أشعر أن كنوز لآلئ الغوص أثمن بكثير من كنوز أفكاري، فأتوسع، وأضيف، ثم أراجع ما كتبت فأجد نفسي مقصراً، وهكذا إلى أن حسم الأمر على يد صاحب السمو الوالد الشيخ صقر بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى، حاكم رأس الخيمة حفظه الله ورعاه عندما طلب مني أن أعرض على سموه الكريم ما كتبته عن الغوص واللؤلؤ، ففعلت، ثم قدمت أوراقي لوزارة الإعلام والثقافة للحصول على إذن الطباعة، بعد أن اطمأن قلبي إلى رأي سموه حفظه الله بما كتبت، وإلى موافقة سموه على مضمون ماكتبت، ثم إلى التشجيع الطيب الذي خصني به سمو الشيخ سعود بن صقر القاسمي ولي العهد ونائب الحاكم،

رئيس مركز الدراسات والوثائق، والذي تجلى برعاية سموه لكافة مراحل إنجاز هذه الموسوعة، حتى لحظة دخولها المطبعة .

ورغم كل الجهود التي بذلتها لاستكمال مضمون هذه الموسوعة لتشمل كافة جوانب الحياة في الإمارات والخليج العربي في مرحلة ما قبل استثمار النفط، إلا أنني اكتشفت قبيل تقديم أوراق هذه الموسوعة إلى المطبعة، أنه كان يجدر بي الخوض في موضوع لم أتعرض له بالتفصيل بين فصول وفقرات الموسوعة، ولأن كتابة ذلك الموضوع تحتاج إلى وقتٍ إضافيٍ طويلٍ نسبياً، ولأن عدم إدراج ذلك الموضوع في فصلٍ خاصٍ به لا يؤثر على قيمة المضمون العلمي للموسوعة، ولأن الموسوعة في وضعها الراهن استكملت كل القضايا التي تحيط بالغوص، قررت أن أقدم للقارئ الكريم الطبعة الأولى من الموسوعة على ماهي عليه، وأن أبدأ الكتابة في الموضوع الجديد، لكي أطرحه في الطبعة الثانية بإذن الله، وفي كل الأحوال فالكمال لله تعالى وحده .

وهنا أود أن أنوه إلى جانبٍ علميٍ آخر يتعلق بهوامش الموسوعة أسفل صفحاتها، حيث تعاملت مع أسلوبين اثنين في هذا المضمار :

- الأول :

ذكر المرجع المعتمد عندما يكون الهامش متعلقاً بمرجعٍ، أو مرجعين واضحين ومحددين .

- الثاني :

الإشارة إلى أنني اعتمدت مجموعة من المراجع الوارد ذكرها في فهرس المراجع في نهاية الموسوعة، فقطفت معلوماتها الخاصة بالفقرة التي أريد، وجمعتها، وصهرتها بتصرف، وشكلت منها باقةً تقدم للقارئ الكريم الفائدة الشاملة الكاملة بإذن الله، بعيداً عن الخوض بحيثيات تفاصيل التفاصيل، والمعلومات المكررة بأشكالٍ وقوالب مختلفة ومتباينة، وبعيداً عن زحمة الهوامش التي لا تعقد ثمراً في هذه الحالة، ولا أبالغ

إن قلت إنني في بعض هذه الحالات اعتمدت كتباً، وصحفاً، ومجلات، إضافةً إلى معلومات شبكة الإنترنيت، ومعلومات الذاكرة الشعبية لرجال البحر والغوص الذين التقيتهم، والذين تشرفت بتدوين أسمائهم الكريمة في فهرس المراجع .

ومن نقطة البداية ولغاية لحظة دخول هذه الموسوعة حرم المطبعة تعاملت مع فعلين متناقضين تماماً :

الفعل الأول أسعدني، وأدخل البهجة إلى قلبي، والحماس إلى روحي؛ لبذل المزيد من العطاء لخدمة هذا الوطن الحبيب المفدى الذي أعشق، والذي تجسد بما لقيته من المواقف الكريمة النبيلة المشجعة التي طوقني بها حضرة صاحب السمو الوالد الشيخ صقر بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى، حاكم إمارة رأس الخيمة، وولي عهده الأمين سمو الشيخ سعود بن صقر القاسمي، حفظهما الله، إضافة إلى بعض المفكرين والباحثين المرموقين، والمهتمين بالقضايا والشؤون الثقافية، والتراثية، والتاريخية .
والفعل الثاني آلمني، وأصاب عزيمتي دون أن يتمكن من كسرها، فزادني قوةً على قوةٍ، وبأساً على بأسٍ، وإصراراً على إصرارٍ، ولذلك فإنني أتوجه بجزيل الشكر لكل الذين حاولوا وضع العصي في عجلات طموحي، والحيلولة دون ولادة هذا العمل الكبير، راجياً منهم أن يعيدوا النظر في ضمائرهم؛ لأن الوطن، ورسالتنا النبيلة السامية نحوه، والتي عاهدنا الله العلي القدير على الوفاء بها، ونذرنا أنفسنا لها، فوق كل اعتبار .

ولأن الوطن يعطينا دائماً أكثر مما نعطيه، فإنني أجدد العهد لله والوطن، على أن أبذل قصارى جهدي لخدمته حتى آخر خفقة فؤادٍ في نبض حياتي .
والله ولي الأمر والتدبير والتوفيق .

٥ / ٤ / ٢٠٠٤ — المؤلف

المراجع

أولاً – مراجع الكتب والوثائق

١ – **القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .**

٢ – جورج فاضلو حوراني – العرب والملاحة في المحيط الهندي .

٣ – كارستن نيبور – رحلات في الجزيرة العربية وبلدان أخرى في الشرق .

٤ – رودريك أوين – الفقاعة الذهبية – وثائق الخليج العربي .

٥ – قدري قلعجي – الخليج العربي .

٦ – د . عبد الله الطابور – المختصر في أشهر نواخذة الغوص والسفر .

٧ – د . عبد الله الطابور – أشهر الألغاز الشعبية في الإمارات .

٨ – إبراهيم الخوري – سلسلة منظر الملاحة الفلكية في المحيط الهندي أحمد بن ماجد – إصدار مركز الدراسات والوثائق بالديوان الأميري برأس الخيمة .

٩ – كل ما كتب ونشر عن الغوص واللؤلؤ في شبكة الإنترنيت .

١٠ – كل ما كتب ونشر عن الغوص واللؤلؤ الصحف و المجلات .

١١ – حكومة رأس الخيمة / دائرة السياحة – **رأس الخيمة سحر الطبيعة وكنوز التاريخ .**

١٢ – قناة L . B . C الفضائية اللبنانية / اللؤلؤ الأسود .

١٣ – د . فالح حنظل / معجم الغوص واللؤلؤ .

١٤ - بادي - دليل الغواص المبتدئ .

١٥ - بادي – دليل مغامرات الأعماق .

١٦ – سيف مرزوق الشملان - تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي / الجزء الأول .

١٧ - سيف مرزوق الشملان - تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي / الجزء الثاني .

١٨ – عبد الله خليفة الشملان – لؤلؤ البحرين .
١٩ – الصادق محمد سليمان – اللؤلؤ في الخليج تاريخ وثروة وثقافة .
٢٠ – راشد الزياني – الغوص والطواشة .
٢١ – كزافييه بيغان بيلكوك – الإمارات التاريخ الأسطوري لساحل اللؤلؤ .
٢٢ – د . عبد الله يوسف الغنيم – كتاب اللؤلؤ .
٢٣ – دونالد وألويز باش – الأصداف في السواحل الجنوبية للخليج العربي .
٢٤ – نبيل مصطفى أبو شليب، و د . ي . ب غوبانوف – أسماك القرش في الخليج العربي .
٢٥ – لوريمر – دليل الخليج .
٢٦ – الذاكرة الشعبية، والمعلومات الشفاهية .
٢٧ – بيتر فاين – صير بني ياس .
٢٨ – إبراهيم راشد الصباغ – صيد اللؤلؤ .
٢٩ – د . سالم راشد تريس القمزي – مواقع صيد اللؤلؤ وتجارته في الإمارات .
٣٠ – علي أحمد الشرقاوي – الكويت واللؤلؤ .
٣١ – علي بن دميثان القمزي – رحلة الغوص .
٣٢ – ناصر حسن الكاس آل علي – أسماك من الإمارات .
٣٣ – د . يعقوب يوسف الحجي – صناعة السفن الشراعية في الكويت .
٣٤ – د . حصة السيد زيد الرفاعي – أغاني البحر .
٣٥ – نجيب عبد الله الشامسي – الإمارات في سفينة الماضي .
٣٦ – د . معن خليل عمر – الإمارات والمفاعيل العملاقة .
٣٧ – علي إبراهيم الدرورة – ملامح من تاريخ اللؤلؤ في الخليج العربي .
٣٨ – نجلة العزي – اللؤلؤ والأحجار الكريمة .
٣٩ – الإمارات والعولمة – المؤلف .
٤٠ – د . عبد المقصود حجو – البحار كنوز القرن ٢١ .

٤١ – مجدي كامل مراد / محمد خليفة العمري - الغوص في دولة الإمارات العربية المتحدة ـــ إصدار لجنة التراث والتاريخ بدولة الإمارات العربية المتحدة .
٤٢ – ناصر حسين العبودي – صفحات من آثار وتراث دولة الإمارات العربية المتحدة .
٤٣ – فيصل المندوس – الصراع بين القواسم والإنجليز في الخليج العربي .
٤٤ – روزنامة النوخذة سلمان عبد اللطيف العيسى – إعداد وتحقيق د . يعقوب يوسف الحجي .
٤٥ – د . عبد الرحمن زكي – الأحجار الكريمة في الفن والتاريخ .
٤٦ – حمدي تمام – القائد والمسيرة .

ثانياً – مراجع الذاكرة الشعبية

١ – حديث الذكريات / أرشيف جريدة البيان / الإمارات .

٢ – لقاءات شخصية .

- معالي الوزير المفوض علي محمد راشد عبد الله .
- الأديب المؤرخ نجيب عبد الله الشامسي .
- النوخذة فرج بن بطي المحيربي رئيس جمعية الإمارات للغوص .
- البحار الغواص جمعة خليفة أحمد بن ثالث عضو مجلس إدارة جمعية الإمارات للغوص والتراث .
- البحار الغواص محمد ماجد السالفة عضو مجلس إدارة جمعية الإمارات للغوص والتراث .
- الوالد ناصر حسن الكاس رئيس جمعية ابن ماجد .
- الوالد الشيبة خميس الرميثي مستشار التراث بنادي تراث الإمارات .
- الوالد سيران القبيسي .
- الوالد تلاب بن هلال المنصوري .
- الوالد فلاح بن جابر بن مفرح بن حويل بن جهيم الاحبابي كبير وشيخ قبيلة الاحباب .
- الوالد علي بن عبيد بن تميم .
- الوالد علي أحمد مستشار التراث بنادي التراث .
- الوالد عبيد خليفة سالم .
- الوالد خلفان بن سيف بن بدر .
- الوالد خلفان عبد الله مانع الشامسي .
- الوالد راشد بن خليفة المطروشي .

- الوالد خميس سعيد الجلاف .
- الوالد أحمد صالح الهمش .
- الوالد عيد المحيربي .
- الوالد سالم الطنيجي .
- الوالد عابد بن ثاني بن سيف المري .
- الوالد الشيبة علي بن حسن الشيخ الرميثي .
- الوالد عيسى سيف المالكي .
- الوالد شافي محمد الرميثي .
- الوالد خميس راشد زعل الرميثي .
- الوالد إبراهيم بن صالح كروع .
- مؤرخ الذاكرة الشعبية عبد الله خلفان عسكور .
- المؤرخ أحمد حسن خرخور " **مؤلف كتاب القلاع والحصون في رأس الخيمة** "
- الوالد أحمد محمد بن عبد الله الفضل .

وأخيراً وليس آخراً المؤرخ الباحث د . عبد الله الطابور الذي يمتلك ثروةً من وثائق الذاكرة الشعبية، والذي حاورته طويلاً في كثيرٍ من تفاصيل هذه الموسوعة .

الفهارس

أولاً – فهرس المواضيع

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

ثانياً – فهرس الصور الملونة

ثالثاً – فهرس الصور العادية

رابعاً – فهرس الخرائط

خامساً – فهرس الجداول والبيانات

إذن طباعة رقم ٧٩٨
تاريخ : ٢٠٠٤/٢/١٠

رقم التصنيف
هـ . ب . ر
٠٣١,١٦٥

تاريخ الإصدار ٥ / ٣/ ٢٠٠٥

طبع بمطبعة الإمارات للنشر والطباعة برأس الخيمة
هاتف : ٠٧-٢٢٨٤٤٠٠ فاكس : ٠٧-٢٢٨٤٤٠١

صدر للمؤلف :

١- موسوعة الغوص واللؤلؤ في مجتمع الإمارات والخليج العربي في مرحلة ما قبل النفط " المجلد الأول " .

٢- موسوعة الغوص واللؤلؤ في مجتمع الإمارات والخليج العربي في مرحلة ما قبل النفط " المجلد الثاني " .

٣ – الإمارات والعولمة – دراسة اقتصادية .

٤ – الربان والسيف – القصة الفائزة بجائزة الشيخة فاطمة بنت هزاع بن زايد آل نهيان .

٥ – الأقحوانة البيضاء – قصة .

٦ – جلفار وأسود البحر – قصة .

٧ – الأصالة – ديوان شعري .

٨ – الصقر – ديوان شعري .

٩ – بكائية قلب – مسرحية .

١٠ – السلسلة القصصية التاريخية " أحمد ابن ماجد " الموجهة للأطفال، والمؤلفة من / ٥٢ / جزءاً .

١١ – السلسلة القصصية التاريخية " ظبي البشارة " والمؤلفة من / ١٢ / جزءاً .

١٢ – سبعة عشر فيلماً وثائقياً عن دولة الإمارات العربية المتحدة بثتهم أقنية أبوظبي – دبي – الشارقة .

مخطوطاته وأعماله التي تحت الطبع :

١ – آفاق الاستثمار في إمارة رأس الخيمة .

٢ – جلفار من ماجان حتى الآن .

٣ – فلسطين العربية بين اليهودية والصهيونية .

٤ – اليوبيل الذهبي – مسرحية شعرية إستعراضية .

٥ – قوافي – ديوان شعري .

٦ – النشامى – ديوان شعري .

٧ – الشريرة والإنترنيت – قصة

٨ – سيجارة والدي – قصة .

هذا الكتاب

المجلد الثاني :

يتحدث هذا المجلد في فصله الأول عن حالات ملكية سفينة الغوص لصيد اللؤلؤ، وعن وضع اللؤلؤ بعد القُفّال وقبل المتاجرة به في الأسواق، وعن دوائر تجارة اللؤلؤ، وفي فصله الثاني يتحدث عن مصاعب الحياة على متن سفينة الغوص، وعن أمراض رحلة الغوص، وعن مخاطر الأعماق التي تواجه الغواصين، وفي فصله الثالث يتحدث عن فوائد ومنافع الغوص لصيد اللؤلؤ اقتصادياً، واجتماعياً، وقانونياً، وفكرياً، وثقافياً، وسياسياً، وصحياً، ويتحدث في فصله الرابع عن أسباب اندثار وانهيار عصر مملكة الغوص لصيد اللؤلؤ، وفي فصله الخامس يتحدث عن خصائص ومزايا كل من اللؤلؤ الطبيعي، واللؤلؤ المستنبت، ثم يتحدث عن تجارب اللؤلؤ المستنبت في العالم : الياباني، والأسترالي، والصيني، والأسود التاهيتي، كما يتحدث عن اللؤلؤ الصناعي المقلد، وعن الفوارق بين اللؤلؤ المستنبت، واللؤلؤ المقلد المصنع مخبرياً، وفي فصله السادس يتحدث عن رياضة الغوص الحديثة، وعن تاريخها، وفوائدها، وتطور أدواتها ومعداتها عبر التاريخ، وعن أهمية دور مراكزها في الإمارات، وعن دور جمعيات الإمارات للغوص في إحياء تراث الآباء والأجداد في مهنة الغوص لصيد اللؤلؤ، وعن رحلات الأصالة التي تقوم بها هذه الجمعيات، وعن أهمية دور سياحة الغوص في الإمارات، وفي فصله السابع يتحدث عن البحر والغوص في الأغاني والنهمات الشعبية، وعن أغاني البحر، وأغاني البر " الفجري " وفي فصله الثامن والأخير يتحدث هذا المجلد عن الغوص و في الأمثال والألغاز الشعبية .